قِرَاءَةٌ فِي أُمِّ الْكِتَاب

قِرَاءَةٌ فِي

أُمِّ الْكِتَاب

محمد حسين الأنصاري

منشورات

مؤسسة الشيخ الانصاري

الإهداء :

إِلى مَنْ علَّمَني استِعْمَالَ اللِّسَان ،

وَمِنْهُ تعلَّمْتُ قِراءَةَ الْقُران ،

أهدي ثواب هَذهِ القِراءَة ،

عسى أن يرزقَنا جميعاً شفاعةَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد

صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلَّم .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

مقدمة

هذه السورة العظيمة التي يجب على كلِّ مسلم أن يحفظها عن ظهر قلب، وهي خصوصية لها دون بقية القران الكريم .

يجب عليه ، لأنّه عليه أن يقرأها في كل صلاة .

حيث لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب .

ففاتحة كتاب الله هي ، وفاتحة الكتاب الموقوت للمؤمن هيَ أيضاً ، حيث أن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين : ((إنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً))[1] .

فما أعظمها من سورة !

ولا معراج للمؤمن ، إلّا بها .

ولا عمود للإسلام إلّا بها ، فالصلاة عمود الدين .

ولذلك أحببتُ أن أرى ما فيها ، ولو بالنظر القاصر ، عسى أن تنفعني، وتنفع إخواني الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وتأخذ بأيدينا إلى

---

١ ـ سورة النساء / الآية ١٠٣ .

رحابٍ أوسع ، وفضاءٍ أرحب ، لمعرفة الخالق والمخلوق أكثر .

ومِن الله التوفيقُ ، والتسديد ، وله الفضلُ والمنّة .

وكل ما جاء من معانٍ دقيقة فمن فضل الله وإرشاده ، وبذلك فليفـرح المؤمنون .

وليغفر لي شطحاتي ، وزلة قلمي ، بمحمد وآل محمد ، صلى الله عليـه وآله ، فإنَّ المقام عظيم .

والذي يُقوّي الجرأة ، ويشدُّ العزمَ أَمْرُهُ لنا بِالتَّدبُّر .

((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا))[1] .

فامتثالاً لأمره ، وتدبُّراً بكتابه ، أورقتْ هذه الأوراق .

محمد حسين الأنصاري

سدني / أستراليا

١ــ سورة محمد / الآية ٢٤ .

فَاتِحَةُ الكِتَاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

صدق الله العلي العظيم

التفسير المُبَسَّط

((**بسم الله الرحمن الرحيم**)) أي أقرأ ، أو أتلو أو أتل وهما ، أو أي فعل اخترت مناسبٍ للحال والمقام ـ إمّا فعل مضارع للمتكلم ، أو فعل أمر ـ مستعيناً ، أو متبركاً بسم الله الرحمن الرحيم .

(**الحمد لله**) إعتراف مني ، وإقرار أنّ جميع الحمد لله ، هذا إذا أخذناه فعلاً مضارعاً للمتكلم .

(**ربِّ العالمين**) أي ربّ جميع العوالم .

(**الرحمن الرحيم**) صفتان له مأخوذتان من الرحمة ، لإثبات الرحمة الشاملة له .

(**مالك يوم الدين**) فهو يملك يوم الحساب ، أي يوم القيامة .

(**إيّاك نعبد**) حصر العبادة به ، دون غيره ، (وإياك نستعين) ، والإستعانة كذلك .

(**إهدنا**) إرشدنا إلى (**الصراط المستقيم**) الطريق القويم .

(**صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**) ، وذلك كله تعريفٌ بالطريق ، عن طريق أهله .

وكفى بها إشارة لطيفة ودقيقة على أنَّ طريق الله تعالى لا يُعرَفُ إلّا بِهِم.

التفسير البدوي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [1]

هذه تسمى بالبسملة .

قالوا : وهذه الطريقة للتسمية ، جاءت للاختصار . واطلقوا عليها " النَّحت " .

ما هي طريقة النحت ؟ :

هي طريقة اختصار نشأت عند المسلمين لاختصار بعض العبارات : وقد عرفوه :

(النّحت : هو أن تعمد إلى كلمتين أو ثلاث ، أو إلى جملة فتؤلّف من بعض حروفها ، كلمة جديدة ، تكون دلالتها موافقة لدلالة ما أُخذت منه .

وقد عرفت العربية قديماً ضربين منه هما : النّحت الفعلي ، والنحت النسبي، وضرباً ثالثاً – على قلّة – هو النحت الاسمي والوصفي .[1]

وذهب أحمد بن فارس ، المتوفى سنة ٣٩٠هـ ، في معجمه المعروف

---

١ _ النحت الفعلي : نحت فعل من جملة ، بحيث يدل عليها . مثل : بَسْمَلَ . النحت النسبي : وهو ما يُنسَب إلى شئ ، مثل نسبة شخص إلى مدينة "طبرستان" و"خوارزم" كليهما ، فتقول : طبرخزي . وأما النحت الاسمي : فهو مأخوذ من اسمين ك"جلمود" من جمد وجلد . النحت الوصفي : هو صفة مأخوذة من صفتين ك"ضِبْطَر" وهي صفة الرجل الشديد ، مأخوذة من ضبط وصبر . و"الصلدم" ، وهي صفة الحافر الشديد ، من الصلد والصدم . وهناك غير ما ذكر مثل الحرفي ، والتخفيفي .الهامش منا .

"مقاييس اللغة" ، إلى أن معظم الرباعي والخماسي من الأسماء والصفات والأفعال منحوت.)[١] . إنتهى .

والعجيب أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مع أنه على ما يبدو أول مَن ذكره، لكنه ذكرَهُ استطراداً ، ضمن حديثه أنّ العرب لا تجمع بين العين والحاء في كلمة واحدة ، لِقُرْب مخرجيهما ، حيث قال :

(المضاعف باب العين مع الحاء والهاء والخاء والغين ، قال الخليل بن أحمد : إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما ، إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل (حيّ على) كقول الشاعر :

ألا ربَّ طيفٍ بات منك معانقي إلى أنْ دعا داعي الفلاح "فحيعلا"

يريد: قال: " حيّ على الفلاح " ، أو كما قال الآخر:

فباتَ خيالُ طيفِكَ لي عنيقا إلى أن "حيعلَ" الداعي الفلاحا

أو كما قال الثالث :

أقول لها ودمع العين جارٍ ألمْ يحزنك "حيعلة" المنادي

فهذه كلمة جمعت من " حيّ " ومِن " على " ، وتقول منه : " حيعل ، يحيعل، حيعلةً ، وقد أكثرت من الحيعلة ، أي من قولك :"حيّ على ".

وهذا يشبه قولهم : تعبشم الرجل وتعبقس ، ورجل عبشمي ، إذا كان من عبد شمس ، أو من عبد قيس ، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة ، واشتقوا فعلاً ، قال :

---

١ ــ أ.د. رفعت هزيم ، رئيس قسم النقوش بجامعة اليرموك سابقاً ، ورئيس قسم اللغة العربيّة بجامعة تعز سابقاً/ النَّحْت في العربيّة قديماً وحديثاً، بحث منشور على صفحة الأنترنيت لمجمع اللغة العربية الأردني.

وتضحك مني شيخة "عبشميةٌ" كأنْ لـم ترَ قبـلي أسيراً يمانيا

نَسَبَها إلى عبد شمسٍ ، فأخذ العين والباء ، من (عبد) ، وأخذ الشين والميم، من (شمس) ، وأسقط الدال والسين ، فبنى من الكلمتين ، كلمة .

فهذا من النحت ، فهذا من الحجة في قولهم : حيعل حيعلة ، فإنها مأخوذة من كلمتين : "حيّ على" . وما وُجِدَ مِن ذلك فهذا بابُه ، وإلا فإن العين مع هذه الحروف : الغين والهاء والحاء والخاء مهملات .)[1] . إنتهى .

وقال سيبويه ، وهو أحد أئمة اللغة والنحو ، بعد ذلك ، في كتابه :

«وأما حَيَّهَل التي للأمر فمن شيئين ، يدلّك على ذلك : حيَّ على الصلاة...، وقد يجعلون للنّسب في الإضافة اسماً بمنزلة جعفر ، ويجعلونه من حروف الأول والأخير، ولا يخرجونه من حروفها ليعرف، فمن ذلك: عبشميّ وعبدريّ .»[2].

ويقع تحت هذا الاصطلاح "النحت" ، بعضٌ من الكلمات المستعملة عندنا.

منها الحوقلة ، أي قول "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، وفعله ، حوقل ؛ ومنها "الاسترجاع" ، وهو قول الرجل "إنَّا لله ، وإنّا إليه راجعون" ، وفعله ، "استرجع" .

المهم ، إنّا أُمِرْنا أن نبدأ أعمالنا ، وأقوالنا كلها بالبسملة .

وهي استعانة بالله تعالى لنا على جميع الأمور .

---

١ _ الخليل / العين / ج١ / ص٦٠ . ٦١ .

٢ _ كتاب سيبويه / ٣ / ٣٠٠ .

والإستعانة تكون باسمائه لا بذاته ، لأن ذاته غير مدركة ، فبالأسماء نصل .

والاسم " الله " جامع للأسماء كلها ، فهو لفظ جامع للكمال كله ، وينقطع الكلام .

فلذا بدأ به .

وخصَّ بالرَّحمن الرَّحيم ، لأنهما مصدر الصفات كلها ، ومنبعها .

وهما مأخوذتان من الرحمة ، ورحمته سبقت غضبه ، كما دلَّت على ذلك الآثار، من الطرفين ، وقد صرّحت بعض أدعية أهل البيت عليهم السلام بذلك، مثلاً ، منها دعاء "الجوشن الكبير" ، في فقرته التي يقول فيها (يامَن وسعت كلَّ شيءٍ رحمتُه ، يامن سبقتْ رحمتُهُ غضبَه .)[١] .

فسبقتْ رحمته غضبه ، حتّى في كتابه الناطق .

هل البسملة آية من سورة الحمد ؟ :

(قد أجمع العلماء على إثباتها في أول سورة الفاتحة)[٢] .

(وقد أجمع القراء السبعة على الإتيان بها عند ابتداء القراءة ، بأول أيِّ سورة من سور القرآن ما عدا سورة "التوبة" ، (براءة) ، فهي متروكة في أولها

١ــ الشيخ عباس القمي / مفاتيح / دعاء الجوشن الكبير / ص . وقد جاء عن طرق العامة ذلك أيضاً ، جاء في صحيح مسلم حدثنا قتيبة بن سعيد معنعتاً عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال («لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فهُوَ عِنْدَهُ، فَوْقَ الْعَرْشِ، إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».وفي رواية سبقت ... أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ١ باب ما جاء في قول الله تعالى : ((وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده)) .

٢ــ غاية المريد في علم التجويد (باللغة العربية) (الطبعة السابعة). مصر: دار التقوى للنشر والتوزيع .

اتفاقا . والقارئ مخيّر في الإتيان بها في أجزاء السورة من القرآن)[١] .

وهي آية من كل سورة في القران ، عدا سورة براءة ، على مذهب أهل بيت النبوة عليهم السلام ، الذي نرجّحه .

لماذا نرجّح مذهب أهل البيت عليهم السلام ؟ :

نرجحه لأنَّ :

١) القران في بيوتهم نزل .

٢) وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، بصريح القران.

٣) وهما أي القران والعترة الثقلان اللذان خلّفهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلم في أمته .

٤) : وبصريح قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم عدل الكتاب ، فهم بهذا وبغيره أدرى بكتاب الله تعالى مِن غيرهم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم وسلّم فيهما : ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً .

فلا يُقاس بهم أحد ، كما لا يُقاس شئ بالقران الكريم .

وفقنا الله تعالى أن نتمسك بهما دائماً ، منذ البداية ، وحتى النهاية .

---

١ ــ نهاية القول المفيد في علم التجويد (باللغة العربية). مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. صفحات ٢١٩–٢٢٠..) .

شرح مختصر لكلمات السورة

الحمد : الألف واللام للجنس ، وقالوا للإستغراق أيضاً .

لله : أي كل الحمد له ، دون غيره .

ربِّ : أي المربي . **العالمين** : جمع عالم ، ويشمل كل العوالم ، المرئية وغير المرئية ، السماوية والأرضية ، الدنيوية والأخروية ، والبرزخية ، الصغيرة والكبيرة، المادية وغير المادية ، الملائكية ، والجنية ، والإنسانية ، والحيوانية ، والجمادية ، أو أي عالم نتصوره أو لا يمكن تصوره ، عرفناه أو جهلناه ، فيشمل ما قبلُ وما بعد .

الرحمن : اسم أو صفة لله تعالى من الرحمة .

الرحيم : صفة له سبحانه من الرحمة أيضاً .

والرحمن على زِنَةِ فَعْلَان ، والرحيم على زنة فَعِيل ، وكلا الوزنين جاءا في لغة العرب للمبالغة .

وبما أن الرحمن صفة على زنة فعلان ، فقد اختصت به أيضاً دون غيره . وقد ورد (عن الصادق عليه السلام أنه قال : الرحمن اسم خاص بصفةٍ عامة ، والرحيم اسم عام بصفة خاصة)[1] .

أي أنّ "الرحمن" اسم خاص بالله سبحانه ، بمعنى عام شامل للرحمة كلها، مع سعتها ، أي تشمل البر والفاجر ، والمؤمن والعاصي ، بل تشمل كلَّ شئ ، وبما إنها بهذه السعة لذا اختصت بالله سبحانه دون غيره .

---

١ ــ الطبرسي / مجمع البيان / تفسير سورة الحمد / آخر تفسير الآية الأولى .

وأمّا "الرحيم" فهو اسم عام ، أي عامٌ لك أن توصف به غيره ، فتقول فلانٌ رحيم ، كما قال الله تعالى في كتابه ، صفة لرسوله ﷺ : ((بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))[1] .

وأما قوله عليه السلام بصفة خاصة ، أي أنه يستعمل في أنواع الرحمة التي يمكن أن يتصف بها الممكن أيضاً ، كما تقدّم ، ولعلّها تكون عند التلبس في محلها ، لا مطلقاً .

أو لعلها كما قالوا من أنها تشمل المؤمنين بالخصوص ، أو الآخرة دون الدنيا، وسيأتيك زيادة بيان .

مالك : صفة لذلك الرب الرحمن الرحيم .

يوم : ظرف زماني . **الدين** : الحساب . أي إنه يملك يوم الحساب .

وبما إنه رب هذه العوالم ، ومالك ليوم الحساب ، وهو رحمن رحيم ، حصرنا به العبادة ، واستعنا به عليها ، فقلنا :

"إيّاكَ نعبدُ وإيّاك نستعين" : لكي نؤدّي شكره ، وحمده ، بعد أن عرفناه ، فكان منّا الحمد والشكر بدواً ، وانتهاءاً .

إهدنا الصراط المستقيم : ثم طلبنا منه أن يهدينا الصراط المستقيم ، أي الطريق القويم ، الذي هو : صراط الذين أنعمت عليهم : يارب . وهؤلاء هم عبادك الذين ابتعدوا عن غضبك ، فمذ عرفوا الطريق من أول الأمر اتبعوه ، لا أنهم عرفوه ولم يتبعوه ، وكذلك هم من أول الأمر إلى آخره لم يضلوا عنه أبداً .

ولذا قال : **"غير المغضوب عليهم ولا الضالين"** : وهذه صفة للذين أنعم الله عليهم ، لا للصراط ، فانتبه .

---

١ ــ سورة التوبة / الآية ١٢٨ .

وجمعاً لكل ما تقدّم نقول :

باسم الله نبتدأ مستعينين ، أو متبركين ، لِنبدأ بالذكر (بسم الله الرحمن الرحيم) ، حمدٌ وإقرارٌ بالعبودية (الحمد لله رب العالمين) ، وثناءٌ على المعبود (الرحمن الرحيم) ، و تمجيدٌ وإذعان للعظمة (مالك يوم الدين) ، وتوكيدٌ للأمر بين الأمرين في هذه الحياة (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين) ، وطلبُ الإنعام بعد الإفضال (إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، وبعد ذلك إشارة واضحة لِقسمة الخلائق إلى المنعمين ، الذين هم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ، فهناك القسمان ، نسأل الله تعالى أن يبعدنا عنهما ، كما هم بعيدون في سورة الحمد عن أهلها .

المرحلة الأولى من التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم :

(قال العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره : بسم اللهّ الرحمن الرحيم :

هذه الكلمة المقدّسة شعار مختصّ بالمسلمين ، يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم، وتأتي من حيث الدلالة على الإسلام بالمرتبة الثانية من كلمة الشهادتين : لا إله إلّا اللهّ ، محمد رسول اللهّ ....)[1] .إنتهى .

الحمد لله :

لماذا الحمد لله ؟ .

لأنه رب العالمين .

لأنه صاحب الرحمة فهو الرحمن الرحيم .

ولأنه مالك يوم الدين ، أي يوم الحساب ، فهو الحاكم المطلق والمهيمن ، وصاحب السلطة .

على أنه الحقيق بالحمد ، لا أحد أحق به منه ، بل لا يستحقه على الحقيقة سواه .

وهذا يُشعر به قوله تعالى ((الحمد لله)) .

ولأنَّ الحكم إذا جاء معه وصف كما تعلمنا ذلك كلاماً ومنطقاً ، يُشعر ذلك

---

١ _ محمد جواد مغنية / تفسير الكشّاف / ص٥٣ .

الوصف بأنه علّة ذلك الحكم .

فهو يستحق الحمد من حيث كونه المربّي لكل العوالم .

ومن حيث كونه صاحب الرحمة الواسعة المحصورة بكونه الرحمن الرحيم .

ولإنه كما قلنا مالك لذلك اليوم العظيم .

فهو يستحق الحمد من حيث هو ، ويدل عليه لفظ الجلالة .

ومن حيث كونه المنعم ، فهو الموجد والمربي للعالمين جميعاً .

ومن حيث كونه عادلاً ، بل لكونه متفضّلاً ، وإن لم يكن فما فائدة كونه ربَّ العالمين ، أوكونه الرحمن الرحيم ، أو بعد ذلك هو مالك لِذلك اليوم العظيم .

ولذا قدّم رحمانيته ورحيميته أولاّ .

والحمد له من حيث تعليمنا كيفية حمده ، وعلى ترك الاختيار لنا ، الدال على العقل الذي هو جوهرة الوجود .

وله الحمد إذ مكننا أن نطلب منه الهداية به .

وله الحمد حيث بيّن لنا طريقاً للهداية .

وله الحمد حيث أرشدنا لِمَن يمثل هذا الصراط .

وله الحمد حيث سيمكننا من الوصول إليه والاستفادة منه ، للخلاص من الضالين والمغضوب عليهم .

وهو بهذا قد رسم لنا الحياة كلها دنياها وأخراها بأوجز صورة ، وأحسن بيان .

ومنها نستشف لأنّه جعلنا مختارين ، بأنه كذلك مختار ، وليس ما صدر منه كان بإيجاب ، أو وجوب ، لأنه رب العوالم كلها ، فهو أنشأها .

ولذا تُشعرنا هذه السورة بما جاء فيها ، بأنه الواحد الأحد ، المختار ، المتفضل ، الخالق ، المصوّر .

لم يكن مجبوراً ، ولا مجبولاً على أن يأتي بهذا الخلق كله .

ولذا عندما انحصرت به السلطة ، خاطبناه حاصرين العبودية له ، وبما أنه ربٌّ ، رحمنٌ ، رحيمٌ ، طلبنا منه الإستعانة .

وبما أنه مكننا من ذلك كله ، علمنا منه أنه يريد أن يهدينا ، ولما علمنا ذلك ، طلبنا الهداية منه .

وهي الصراط المستقيم ، صراط الذين هو أنعم عليهم ، وهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فلا وجود هنا للغضب ولا لِلضلال أبداً ، إلا الإشارة البعيدة ان هناك مغضوباً عليهم ، وضالين ، وهذا عقلاً موجود ، كما سيتضح ذلك قريباً .

أي بتعبير آخر :

سورة الفاتحة : هيَ سورة "الحمد" ، وما هيَ إلا سورة الحمد ، ولِمن يكون الحمد ؟

يكون الحمد لله .

ربّ العالمين .

الرّحمن الرّحيم .

مالك يوم الدين .

المعبود وحده .

الذي هو المُستعان .

وهو صاحب الهداية أي الهادي .

فبهذا يكون الحمد له لأنه الله .

ومن لا يعرف الله ، فهو المحمود لأنه رب العالمين ، فيحمد لأنه ربُّ العالمين، أي خلقهم وأرشدهم .

ولم يُنشأهم ولم يربهم إلا لمجال الرحمة ودورانها فيهم .، فهو يستحق الحمد لذلك أيضاً .

ويستحق الحمد لأنه يملك الأمر كله يوماً حقيقياً ، لا كالأيام الباقية .

ويستحقه ، لأنه الهادي ، ولأنه علم الإنسان مالم يعلم .

فالحمد له لأن العبودية له ، والحمد له لأن الإستعانة به .

والحمد له لأن الهداية منه وله وبه .

والحمد له لأن الإنعام منه .

والحمد له لأن التنبيه من المخاطر صدر منه .

أي :

الحمد للألوهية ، والربوبية ، وللرحمة الشاملة ، التي تضمنتها كل منهما ، فسبحان الله .

ثم الحمد على تفصيل تلك الرحمة المطوي في عوالمها ، في الإيجاد والوجود ، في العالمين ، وفي استمرارية الخلق وبقائه .

ثم الحمد في الإختبار ، المترشح من كونه مالكاً ليوم الدين الذي هو يوم الحساب ، الدال على أن العالم الذي أنا فيه ، فيه اختبار وإلا لما كان ثمّة يوم جزاء، فيوم الجزاء يقتضي يوم عمل واختبار ، فالحمد له على هذا الإختبار ،

وهذا الإختبار باختيار ، المدلول عليه ب"نعبد" ، وب"نستعين" ،فالحمد لله على رحمة الإختبار والإختيار .

وهما الدالان على العقل ، فالحمد له على هذه الرحمة التي انطوت في هذه الهداية الداخلية المعبّر عنها بالعقل .

والحمد له للرحمة التي تضمنتها الهداية الربانية الظاهرة من قوله تعالى " إهدنا " ، فالحمد لله على الرحمة الموسومة بالهداية الخارجية إذ جعل لنا مَن نهتدي بهم من الذين أنعم الله عليهم ، فالحمد لله على هذا الإنعام .

والحمد لله الذي بيّن لنا أنّ هناك مغضوباً عليهم وضالين ، فسألناه تعالى الإبتعاد عن الكون معهم ، أو في زمرتهم .

فالحمد لله على السؤال والمسؤول ، والرحمة التي جعلت قدرة السؤال لهما ، والرحمة التي دلتنا عليهما .

فالحمد لله على ذلك كله .

وأخيراً لا آخراً الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ونختصر فنقول :

الحمد لله لرحمته الواسعة التي وسعت كل شئ .

والحمد لله على الخلق كله .

والحمد لله على المِعاد والجزاء .

والحمد لله على فردانيته ووحدانيته بالحكم كله .

والحمد لله على العبادة .

والحمد لله على الإستعانة ، فالحمد لله أن جعلنا مريدين مختارين .

والحمد لله على الهدايات الباطنية كلها .

والحمد لله على الإنعام كله بذاك ، وبالهداية الخارجية المتمثلة بالهادين بعد الهادين .

والحمد لله على أن بيّن لنا أن هناك قوماً غير مرغوبين ، حتى لا نكون منهم أو مثلهم .

والحمد لله على ذلك كله .

وبكلام آخر :

استحق الحمد الحقيقي لأنه : أوجد العالمين وربّاهم .

وبما إنه رحمن رحيم فهو متفضّل منّان ، فلِفضله ، ومنته ثبت له الحمد .

وبما أنه مالك يوم الدين : فهو المختار المتمكِّن ، لا جبر عليه ، ولا قوة تسوقه ليفعل ذلك ، بل كل ذلك لألطافه ومنَّته وجوده وكرمه ورأفته ، فهو أهلٌ لِعدم زوال الحمد له ، بعد ثبوته .

هذا لو أخذنا السورة من هذا الجانب فقط ، وحصرنا النظر فيه ، وهو إثبات لقول (لا إله إلا الله) .

لأنّ مفهوم السورة لو صحَّ التعبير هو أنَّ مَن لا يتصف بهذه الصفات لا يستحق الحمد ، إذ الحمد أبعاده هذه ، فلا أحد يستحق الحمد على الحقيقة إلا هو.

ولكن لو أخذناها من جانب ثان لرأينا :

الجانب الأول قد استقر أمره بما مرَّ ، ولكن الجانب الثاني سيظهر لنا من جملة ((إياك نعبد وإياك نستعين)) .

فإذاً هناك تكليف ، وعبادة ثابتة علينا ، أي على جميع العالمين له .

وقسم من العالمين حازوا مقاماً عالياً في العبادة قد سماهم (المنعم عليهم) ولذا نطلب طريقهم منه .

فهم مهديون وهم أهل الصراط المستقيم ، منعم عليهم غير مغضوب عليهم ولا ضالين .

فهو قد هداهم بدلالة أنا نطلبها منه ، ثمَّ إنّا نقول "أنعمتَ عليهم" ، فالإنعام منه عليهم ، فالأمر محصور به ، لا يخرج من يديه .

ومع هذا ، فهم أصحاب الصراط ، إذ أن الصراط منسوب إليهم .

فبذلك ثبتت كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

وبما أنه صراط واحد ، ولكن تتم معرفته بالجمع (أنعمت عليهم) ، ولا دخل للمرسلين السابقين في شريعتنا ، حيث قال الله تعالى :

((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمّا كانوا يعملون))[1]

فهي دلالة واضحة على وجود مجموعة في أمّة محمّدٍ ﷺ مُتَّصِفُونَ بها .

أو بطريق آخر : محمد أفضل خلق الله تعالى . وأفضل الأمم أمّته . والكتاب كتابه.

فهؤلاء المهديون لابدّ أن يكونوا من أمّته ، وإلا لأصبحت الأمة المفضولة قدوةً للفاضلة .

إلى هنا نكتفي ، وستأتي تتمة الكلام ، فانتظر .

---

١ _البقرة /١٤١.

المرحلة الثانية من التفسير

نأتي لتراكيب البسملة

بسم الله الرحمن الرجيم

هناك أربعة أسماء في هذه الجملة : اسم ، لفظ الجلالة (الله) ، الرحمن ، الرحيم ، وحرف واحد ، هو حرف الباء ، في أولها .

والجملة العربية فيها اسم وفعل وحرف .

فهل خلت هذه الجملة من الفعل وحوت الآخَرَين ، أم أنَّ فيها فعلاً ، نستدل بما ذُكِرَ عليه ؟!

الله : علم للذات المقدسة .

الاسم : مأخوذ من السمة بمعنى العلامة ، أو مأخوذ من السمو ، بمعنى الارتفاع .

الرحمن : اسم ، وزنه من أوزان المبالغة في لغة العرب .

الرحيم : اسم ، وزنه كذلك من أوزان المبالغة .

الباء : والباء : حرف جر .

قال (الجوهري : الباء حرف من حروف الشفة ، بُنِيَت على الكسرِ لاسْتِحالةِ الابْتِداء بالمَوْقُوفِ ؛ قال ابن بري : صوابه بُنِيت على حركة ، لاستِحالة الابتداء بالساكن ، وخصّت بالكسر ، دون الفتح ، تشبيهاً بعملها ، وفرقاً بينها وبين ما يكون اسماً وحرفاً .)[1] .

---

١ _لسان العرب .

وهي من حروف الجر ، وتسمى هذه الحروف عند أهل اللغة بحروف المعاني، وذلك لدلالتها على عدّة معانٍ مختلفة ، ولكل واحد منها معنى أصلياً .

بسم :

أولاً : هنا حرف "الباء" ، دخل على (اسم) ، ولا نلحظ الألف بالرسم ، يقولون لأجل كثرة الدوران في الكلام .

وقد حذفت ألفه خطاً ، لِكثرة الذكر ، فشابه الخطّ النّطق ، إذ هي ألف وصل، تحذف بالإدراج ، ولذا قال العلامة الطبرسي في تفسيره : (همزة الوصل تسقط في الدرج ، وحُذِفَت هاهنا في الخط أيضاً ، لِكثرة الاستعمال ، ولِوقوعها في موضعٍ معلوم ، لا يُخاف فيه اللَّبْس ، ولا تُحذف في نحو قوله : { اقرأ باسم ربِّك }[1]، لِقلة الاستعمال .)[2].

الله :

من تفسير الإمام العسكري : قال الإمام عليه السلام: ("الله" ، هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق (و) عند انقطاع الرجاء مِن كلِّ مَن دونه ، وتقطع الأسباب من جميع من سواه فيقول: "بسم الله (الرحمن الرحيم)" ، أي أستعين على أموري كلها بالله ، الذي لا تحق العبادة إلا له ، المغيث إذا استغيث ، والمُجيب إذا دُعي .)[3].

---

١ – سورة العلق / ١ .

٢ _ الطبرسي / مجمع البيان / تفسير سورة الحمد .

٣ _ التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام (تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام) – مؤلف منسوب به إلى أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام – مشخصات نشر قم – مؤسسة الإمام المهدي (عج) ١٤٠٩ هـ.

القول في تأويل ((بسم الله))

الإرتباك الواقع عند المفسرين في متعلق الباء ، ومعنى الباء :

قال الطبري في جامع بيانه : (القول في تأويل { بِسْمِ } . قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ، أدّب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدبه به من ذلك ، وعلَّمه إيّاه منه لجميع خلقه سنةً يستنون بها ، وسبيلاً يتبعونه عليها ، في افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل «بسم الله» ، على ما بطن مِن مراده الذي هو محذوف .)[1].

وحديثه منصبٌ حول متعلق الباء ، الذي ذكره الزمخشري إذ قال :

(فإن قلت : بم تعلقت الباء ؟ قلت : بمحذوف تقديره : بسم الله اقرأ ، أو أتلو ؛ لأنّ الذي يتلو التسمية مقروء ، كما أنّ المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال : بسم الله والبركات ، كان المعنى : بسم الله أحل ، وبسم الله أرتحل ؛ وكذلك الذابح ، وكل فاعل يبدأ في فعله ، بـ «بسم الله» ، كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأً له .

ونظيره في حذف متعلق الجارّ قوله عزّ وجلّ : { فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ }[2] ، أي اذهب في تسع آيات ؛ وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرِّس : بالرفاء والبنين ، وقول الأعرابي : باليمن والبركة ، بمعنى أعرست ، أو نكحت ، ومنه قوله :

---

١ ـ الطبري ت٣١٠ / جامع البيان في تفسير القران / في تفسير سورة الحمد .

٢ـ سورة النمل / ١٢ .

فقُلْتُ إلى الطَّعام فقَالَ مِنْهُم فَرِيقٌ نحْسُدُ الإِنْسَ الطَّعَامَا)[١] . انتهى .

فإلى هنا كان الحديث حول متعلق الباء .

ثم قال : (((ٱقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ))[٢] ، فقدّم الفعل . قلت : هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أوّل سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم .) .

ولكن بعد ما سأل وأجاب ، صار حديثه حول معنى الباء ، إذ قال : (فإن قلت : ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة ؟ قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك : كتبت بالقلم ، على معنى أنّ المؤمن لما اعتقد أنّ فعله لا يجيء معتداً به في الشرع ، واقعاً على السُّنَّة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه الصلاة والسلام : "كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر ." ، إلا كان فعلا كلا فعل ، جعل فعله مفعولاً باسم الله ، كما يفعل الكتب بالقلم .

والثاني : أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله ((تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ))[٣]، على معنى : متبرّكاً بسم الله أقرأ ، وكذلك قول الداعي للمعرس : بالرفاء والبنين، معناه أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين ، وهذا الوجه أعرب وأحسن .).

ثمَّ أتمّ كلامه بقوله : (فإن قلت : فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركاً باسم الله أقرأ ؟ .

قلت : هذا مقول على ألسنة العباد ، كما يقولُ الرجلُ الشعرَ على لسان غيره ، وكذلك: { ٱلْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ } إلى آخره ، وكثير من القرآن على

---

١ ــ الزمخشري ت٥٣٨هج. / الكشاف / في تفسير هذه الآيات الكريمة .

٢ ــ سورة العلق / الآية ١ .

٣ ــ سورة المؤمنون / الآية ٢٠ .

هذا المنهاج ، ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه ، وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه .)[١] . إنتهى .

وهنا صار الحديث حول معنى الباء ، ومتعلقها .

(تبين بذلك صواب ما قلنا من التأويل في قول القائل: «بسم الله»، أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول: أبدأ بتسمية الله ، قبل فعلي ، أو قبل قولي .

وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن : «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» إنما معناه : أقرأ مبتدئاً بتسمية الله ، أو أبتدىء قراءتي بتسمية الله فجعل الاسم مكان التسمية ، كما جعل الكلام مكان التكليم ، والعطاء مكان الإعطاء.)[٢] . إنتهى .

واستشهد الطبري على ما يُذكر على الذبيحة . حيث قال هو (دليلٌ واضح على فساد ما ادُّعيَ من التأويل في قول القائل «بسم الله» ، أنه مراد به بالله ، وأن اسم الله ، هو الله .) .

ولا زال تكلم الطبري عن متعلق الباء .

وقد أتم كلامه : (قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإن كان تأويل قوله «بسم الله» ما وصفت ، والجالب «الباء» في «بسم الله» ، ما ذكرت ، فكيف قيل «بسم الله» ، بمعنى «اقرأ بسم الله» ، أو «أقوم أو أقعد بسم الله» ، وقد علمت أن كل قارىء كتاب الله ، فبعون الله وتوفيقه قراءتُه ، وأن كل قائم أو قاعد أو فاعل فعلاً ، فبالله قيامُه وقعوده وفعله ؟

---

١ _ الكشاف .

٢ _ الطبري / في تفسيره .

وهلاّ إذا كان ذلك كذلك ، قيل : «بالله الرحمن الرحيم» ، ولم يقل «بسم الله» .

فإن قول القائل : أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم ، أو أقرأ بالله ، أوضح معنىً لسامعه من قوله "بسم الله" ، إذ كان قوله أقوم وأقعد بسم الله ، يوهم سامعه ، أن قيامه وقعوده ، بمعنى غير الله .

قيل له : إن المقصود إليه من معنى ذلك، غير ما توهمته في نفسك. وإنما معنى قوله «بسم الله»: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، أو أقرأ بتسمية الله، أو أقوم وأقعد بتسمية الله وذكره لا أنه يعني بقيله «بسم الله»: أقوم بالله، أو أقرأ بالله فيكون قول القائل: «أقرأ بالله»، أو«أقوم وأقعد بالله»، أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله «بسم الله" .)[1] .

أو كما قال صاحب المجمع : (فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأوا بسم الله ، أو قولوا بسم الله ، فمحله نصب لأنه مفعول به ، وإنما حذف الفعل الناصب، لأن دلالة الحال أغنت عن ذكره .

وقيل إن محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف وتقديره ابتدائي بسم الله ، فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه أي ابتدائي ثابت بسم الله أو ثبت ثم حذف هذا الخبر فأفضى الضمير إلى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار .)[2] .

وقد ذكر صاحب المجمع ثلاثة احتمالات للمعنى .

---

١ ـ الطبري / جامع البيان .

٢ ـ الطبرسي / مجمع البيان .

احتمالات صاحب مجمع البيان في المعنى في الجملة

١ : تضمين الاستعانة : بتقدير : استعينوا بأن تسموا الله باسمائه الحسنى ، وبصفاته العلى . والمعنى حينئذٍ يدل على كبرياء الله وعظمته .

٢ : المراد استعينوا بالله ، فالاسم قد يحل محل المسمى ، لأنه هو نفسه ، إذ الحروف ملحوظ فيها المعنى ، فلو قلت رأيت زيداً ، فأنت لم تر الحروف ، التي أخبرت أنك رأيتها ، بل أنت تخبر من أنك رأيت الشخص المسمى باسم زيد .

ومعناه : (بالله تكونت الموجودات ، وبه قامت السموات .)[١] .

٣ : أو المراد ابتدأ بتسمية الله ، إقامة الاسم بدل المصدر ، وهذا جارٍ في كلام العرب ، تقول أكرمته إكراماً ، أي كرامة ، وأهنته هواناً ، أي إهانة .

وقد رجّح الثالث .[٢]

والملفت للنظر أنّ صاحب المجمع، بيّن أولاً بأنّ الجالب للباء فعل محذوف، قدّره ب "ابدأوا" ، أو "قولوا" ، وطبعاً هذا لأن الكلام كلام الله سبحانه .

وإذا به للمعنى ذكر ثلاثة احتمالات ، أحدها "ابتدأ بتسمية الله" ، ورجّحه، والمفارقة كانت في أنه : هنا حوّل الفعل من المخاطب إلى المتكلم ، على نسق معنى الآيات في السورة بينما كان الفعل للمخاطب في المعنى البدوي على نسق أن القران كلام الله تعالى .

ثمّ نقول ، لعله رجّح الثالث : لأن الأول يمكن أن يرد عليه بالذهن

---

١ ــ أنظر الثعالبي / الكشف والبيان .

٢ ــ أنظر : الطبرسي / مجمع البيان .

القاصر: بأنّ هذه الجملة الطولانية "استعينوا بأن تسموا الله باسمائه الحسنى ، وبصفاته العلى" . لم تُذْكَر ، ولكنّا قدّرناها مطابقة للحال والمقال ، وهي جملة تبرعية ، يمكن أن يكون غيرها مطابقاً ، وربما تلك ستكون أقدر منها تركيباً ومعنى .

ثم إن الأمر كما ذكر هو رحمه الله تعالى ، ليس مقام بيان كبرياء الله وعظمته والتركيز عليه ، لأنه قد ذكر من صفاته ما يفيد المطلب هنا ، بلا زيادة أو نقيصة ، حتى نحتاج لتقدير هذا كله .

والثاني : لو كان ذلك المراد لقال بالله ، فالله لفظ يدل على الذات المقدسة كما أن "زيداً" دلّ على شخصه ، في مثاله ، بلا حاجة لذكر "اسم" .

هذا أولاً ، من جهة المثال ، وثانياً من جهة التركيب ، لو احتجّ ب"واسم السلام عليكما" ، وهو من شعر الشاعر المخضرم لَبيد بن ربيعة بن مالك العامِري من عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن .(توفي ٤١ هـ/ ٦٦١ م) ، وهو من أصحاب المعلقات ، وقد أسلم ، حيث يقول :

تمنّى ابنتايَ أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا مِن ربيعةَ أو مُظَرْ
إلى الحول ثمّ اسم السَّلام عليكما ... ومَن يبكِ حولاً كاملاً فقدِ اعتذرْ

أي ثم السلام عليكما .

فهو إمّا يُحتمل أنّ "السلام" ، من أسماء الله ، أي اسم الله عليكما ، وهذا لا شاهد فيه ، حينئذٍ على مطلبهم ، ولم أر أحداً أشار إلى ذلك ، أو هو شعر نادر الوقوع ، ربما جاء به الشاعر للملاطفة ، وأجبره الوزن الشعري على ذلك ، إذ لم تُسمع العرب تتكلم بهذه الطريقة ، ولا القران . مع أنها تفقد سلاسة اللغة العربية ، بل لم تُعرف أنها من تركيباتها .

ولو صح مثال زيد ، لصح رأيت مسمّى زيد ، ولو صح هنا ، لقيل " بمسمى الله .." ، وسيقولون جاء "اسم" هنا بدل "مسمى" .

ولو كان كل ذلك وارداً ، فلماذا كل هذا التعقيد ، مع وجود مندوحة ، أقرب للذوق العربي وأعلى أسلوباً ، وأكثر وضوحاً .

وهذا يُساعده ، ويدل عليه ، ما ورد من أن كل شئ ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو أبتر ، وكذا التسمية على الذبيحة .

ولعله لهذا كله ، رجّح الثالث ، كما صرّح بذلك .

ثم اختلف المفسرون بعد ذلك ، بتقدير الفعل ، وهل هو مقدم أم مؤخر ، بل هل الأولى تقديره فعلاً ، أم أن الأنسب تقديره اسماً .

قال البيضاوي : (والباء متعلقة بمحذوف تقديره : بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء. وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له ، وذلك أولى من أن يضمر "أبدأ" ، لعدم ما يطابقه ويدل عليه ، أو "ابتدائي" لزيادة إضمار فيه ، وتقديم المعمول ههنا أوقع كما في قوله ((بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَاهَا))[1] ، وقوله: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ} ، لأنه أهم ، وأدل على الاختصاص ، وأدخل في التعظيم ، وأوفق للوجود، فإن اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة ، كيف لا وقد جعل آلة لها، من حيث إن الفعل لا يتم ، ولا يعتد به شرعاً ، ما لم يصدر باسمه تعالى ، لقوله عليه الصلاة والسلام : "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر ."

وقيل الباء للمصاحبة ، والمعنى متبركاً باسم الله تعالى اقرأ .)[2] .

وقال الشوكاني : (ومتعلق "الباء" محذوف ، وهو : أقرأ ، أو أتلو ؛ لأنه

١ــ هود / الآية ٤١ .

٢ ــ البيضاوي / التفسير .

المناسب لما جعلت البسملة مبدأ له ، فمن قَدَّره متقدماً كان غرضه الدلالة بتقديمه على الاهتمام بشأن الفعل ، ومن قدره متأخراً كان غرضه الدلالة بتأخيره على الاختصاص ، مع ما يحصل في ضمن ذلك من العناية بشأن الاسم ، والإشارة إلى أن البداية به أهمّ ، لكون التبرّك حصل به ، وبهذا يظهر رجحان تقدير الفعل متأخراً في مثل هذا المقام ، ولا يعارضه قوله تعالى :

((ٱقْرَأْ باسْمِ رَبّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ)) : لأن ذلك المقام مقام القراءة ، فكان الأمر بها أهمّ ، وأما الخلاف بين أئمة النحو في كون المقدر اسماً أو فعلاً فلا يتعلق بذلك كثير فائدة .و"الباء" للاستعانة ، أو للمصاحبة ، ورجح الثاني الزمخشري.)[١] .

ولذا قالوا ، لأنه من هذا يتفرع : (إما أن يكون المتعلق المحذوف اسماً ، أو فعلاً ، وعلى التقديرين ، إما أن يكون متقدما ، أو متأخراً : أبدأ باسم الله ، أو باسم الله أبدأ ، أو ابتدائي باسم الله ، أو باسم الله ابتدائي .)[٢].

وقد حسّن بعضهم تقديم الاسم على المتعلق المقدّر ، سواء كان اسما أو فعلاً، فهو المهم والأولى ، والتقدير يكون حينئذٍ : اسم الله ابدأ به ، أو اسم الله مبدوءٌ به ، والدليل عليه ((بسم الله مجريها ومرساها))[٣] .[٤]

وقد سألوا ، وأجابوا ، (فإن قلت : بم تعلقت الباء ؟ قلت : بمحذوف تقديره : بسم الله اقرأ ، أو أتلو ؛ لأنّ الذي يتلو التسمية مقروء ، كما أن المسافر إذا حلّ ، أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى : بسم الله أحلّ ، وبسم

---

١ ـ الشوكاني ت١٢٥٠هج. / فتح القدير .

٢ ـ أنظر الفخر الرازي / ج١ / ١٣٨ / في تفسيره لِهذه الآية المباركة .

٣ ـ سورة هود / ٤١ .

٤ ـ أنظر الزمخشري في تفسيره .

الله أرتحل ؛ وكذلك الذابح ، وكل فاعل يبدأ في فعله ؛ بـ «بسم الله» كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له .)[١] .

وقال البيضاوي في تفسيره : (والباء متعلقة بمحذوف تقديره : بسم الله أقرأ، لأن الذي يتلوه مقروء .

وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له ، وذلك أولى من أن يُضْمَر "أَبْدَأُ" ، لعدم ما يطابقه ، ويدل عليه ، أو "ابتدائي" ، لزيادة إضمار فيه.)[٢].

وهكذا أجمع المفسرون .

وقالوا ، ومنهم الطبري : (أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل ، أو قول: أبدأ بتسمية الله قبل فعلي ، أو قبل قولي .

وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن : « بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، إنّما معناه : أقرأ مبتدئاً بتسمية الله ، أو أبتدىء قراءتي بتسمية الله ، فجعل الاسم مكان التسمية ، كما جعل الكلام مكان التكليم ، والعطاء مكان الإعطاء .)[٣] .

وهو نفس رأي صاحب الميزان ، فقد رجّحه ، بقوله : (فمتعلق الباء في بسملة الحمد ، الإبتداء ، ويراد به تتميم الإخلاص في مقام العبودية بالتخاطب ، وربما يقال : أنه الإستعانة ولا بأس، ولكن الإبتداء أنسب ، لاشتمال السورة على الإستعانة صريحاً في قوله تعالى : ((وإياك نستعين)) .) إنتهى .

---

١ ـ أنظر مختلف التفاسير الشيعية ، والسنية ، منها الكشاف للزمخشري ، فالنص الأخير له .

٢ ـ البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) / تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل / تفسير سورة الحمد .

٣ ـ الطبري / جامع البيان / القول في تأويل بسم الله .

فلاحظ فإنه بالقلم العريض قد خلط بين معنى الباء ، ومتعلق الباء ، إذ صرّح أن متعلق الباء هو الابتداء ، ثم قال : وربما يُقال أنه الاستعانة ، ولا بأس...ألخ. .

واختار بعضهم هنا ، معنى المصاحبة ، للتبرك ، وجعله مقول العباد ، ليعلمهم تعالى ، كيف يكون التبرك باسمه ، وكيف يحمدون .[1]

وثالث الأستعانة ، ومنهم الألوسي ، حيث قال في روح معانيه : (هي أولى، بل يكاد أن تكون متعينة ، إذ فيها من الأدب والإستكانة ، وإظهار العبودية ، ما ليس في دعوى المصاحبة ، ولأنّ فيها تلويحاً من أول وهله إلى إسقاط الحول والقوة ، ونفي استقلال قدرة العباد ، وتأثيرها ، وهو استفتاح لباب الرحمة ، وظفر بكنز لا حول ولا قوة إلا بالله .)[2] . إنتهى .

فهنا يتكلم عن معنى الباء .

وقال العلامة السيد الطباطبائي في ميزانه : (ثم أنه سبحانه ، كرّر ذكر السورة في كلامه كثيرا ، كقوله تعالى : ((فأتوا بسورة مثله))[3] ، وقوله : ((فاتوا بعشر سور مثله مفتريات))[4] ، وقوله تعالى : ((إذا أنزلت سورة..))[5] ، وقوله : ((سورة أنزلناها وفرضناها))[6] ، فبان لنا من ذلك : أن لكل طائفة من هذه الطوائف من كلامه التي فصلها قطعاً قطعاً ، وسمى كل قطعة سورة نوعا من

١ ــ أنظر البيضاوي / ١ / ٣٢ .

٢ ــ الآلوسي / روح المعاني / ١ /١١٧ .

٣ ــ سورة يونس/ ٣٨ .

٤ ــ سورة هود / ١٣

٥ ــ سورة التوبة / ٨٦

٦ ــ سورة النور / ١

وحدة التأليف والتمام ، لا يوجد بين ابعاض من سورة ولا بين سورة وسورة ، ومن هنا نعلم : أن الاغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة ، وأن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص ، ولغرض محصل ، لا تتم السورة إلا بتمامه ، وعلى هذا فالبسملة في مبتدأ كل سورة راجعة إلى الغرض الخاص من تلك السورة .

فالبسملة في سورة الحمد راجعة إلى غرض السورة والمعنى المحصل منه ؛ والغرض الذي يدل عليه سرد الكلام في هذه السورة ، هو حمد الله بإظهار العبودية له سبحانه بالإفصاح عن العبادة والإستعانة وسؤال الهداية ، فهو كلام يتكلم به الله سبحانه نيابة عن العبد ، ليكون متأدبا في مقام إظهار العبودية بما أدبه الله به ، وإظهار العبودية من العبد هو العمل الذي يتلبس به العبد ، والأمر ذو البال الذي يقدم عليه ، فالإبتداء باسم الله سبحانه الرحمن الرحيم راجع إليه، فالمعنى باسمك أظهر لك العبودية .

فمتعلق الباء في بسملة الحمد ، الإبتداء ، ويراد به تتميم الإخلاص في مقام العبودية بالتخاطب ، وربما يقال : أنه الإستعانة ولا بأس ، ولكن الإبتداء أنسب لاشتمال السورة على الإستعانة صريحا في قوله تعالى : ((وإيّاك نستعين)) .) . إنتهى .

وهنا الحديث عن متعلق الباء .

وقال العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي ، حفظه الله تعالى ، تحت عنوان (الباء للاستعانة ، أم للملابسة) ، فهنا أنظر لِسماحة السيد العاملي ، بحثه منصب عن معنى الباء ، لا عن متعلق الباء ، مع هذا أنظر لكلامه ومصبه :

(وعن سؤال هل الباء للمصاحبة ، أم للاستعانة أم للتعدية ، أم لمجرد

الملابسة ، أم لغير ذلك ؟

نجيب : أنَّ بعض المفسرين رجّحوا أنها للاستعانة ، وذلك لأنّ الإنسان مفتقر بذاته ، محتاج إلى الغني بذاته .

ونحن نرجّح أنها للملابسة ، وذلك لأننا إذا رجعنا إلى حديث : كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله ، فهو أبتر ، فإننا ندرك : أن الباء ليست للمصاحبة ، أو الاستعانة ، أو لغير ذلك ، وإنما هي لمجرد الملابسة ، لأنّ قوله : لا يبدأ فيه ، إنما يعني أن البسملة جزء من الأمر الذي نعمله ، وإلا لكان اللازم أن يقال : كل أمر ذي بال لا يستعان فيه ، أو لا تصاحبه . وجزئية البسملة هذه لا تتلاءم إلا مع كون الباء لمجرد الملابسة .)[1] . إنتهى .

وهنا خلط بين معنى الباء ، ومتعلق الباء .

إذ كلامه الأول هل الباء للمصاحبة أم للاستعانة .....حول معنى الباء ، ولكن تتمة كلامه حيث يقول ، (ونحن نرجّح أنها للملابسة ، وذلك لأننا إذا رجعنا إلى حديث : كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر) ، فهو يتكلم عن متعلق الباء ، لا معنى الباء .

ولذا صار استنتاجه لا يتلائم إلا بكون الباء للملابسة فقط .

مع هذا فإنَّ كلامه ، أدام الله تعالى مداد كلماته ، تامٌ في هذا الذي بيّنه وشرحه، ولكنه ليس محصوراً فيه ، كما هو ظاهر بأدنى تأمّلٍ وتدبر .

وقد اختار الإستعانة ، من علمائنا الأعلام ، السيد عبد الأعلى السبزواري ، قدس الله نفسه الزكية ، فقال ، وعلّل بافتقار الإنسان ، واحتياجه لله سبحانه ، فالإستعانة ، هي المتعينة ، (تطبيقاً بين الحال والمقال) ، ولكنه توسّع حيث قال :

---

١ _السيد جعفر مرتضى العاملي / تفسير الفاتحة .

(وجَعْلُ المتعلق كلُّ ما يُفعَل بعد البسملة ، وإن كان صحيحاً لا بأس به ، ولكن كون المتعلق هو الإستعانة يدل عليه أيضاً بالملازمة ، فإنّ الإستعانة المطلقة به تعالى ، تستلزم الإستعانة في كلِّ فعل يؤتى به ، خصوصاً ما يؤتى به بعد البسملة، كما أن كون المتعلق هو الفعل الخاص ، مثل القراءة ، في المقام ، يستلزم تحقق الإستعانة المطلقة أيضاً .)[1] . إنتهى .

فانظر تجد أنه حتى مثل العلم السبزواري يتكلم عن المتعلق ، وهو يخوض بمعنى الباء .

هذا قول جلِّ المفسرين من الطرفين ، إن لم يكن كلهم ، إذ لم يخرجوا عن ذلك .

---

١ _أنظر تفسير الفاتحة من تفسيره مواهب الرحمن .

النتيجة ماهي ؟ :

ولكنّ الأمر الذي نراه أنّ المعنى أوسع من ذلك بكثير .

إذ كان من جملة الحكمة الإلهية ، أنه لم يتعين المتعلق في صريح العبارة ، لِتدلَّ العبارةُ على السعة ، كما بيّناه في محله ، فتمعن فيما قلنا .

فإذا كنا نقول ، بما قاله جُلّ علمائنا في استعمال اللفظ ، وأنه لا يمكن استعماله إلّا لمعنى واحد[1] ، فهو أكثر وضوحاً ، ولكنه قد حُصِر في معنى واحد ، ونحن لا نرتضي ذلك ، إذ إنّنا نقول مِن أن الباري قد ترك ذلك ، لتتوسع المعاني، على عدد صحة المتعلقات المتصورة ، وهذا في البلاغة كثير .

فليس لنا أن نحصره مِن عندنا بمتعلقٍ واحدٍ ، أو معنى فارد ، وهو قابلٌ على الإنطباق على كثير من المصاديق .

وأمّا إذا قلنا أن القران يختلف عن باقي الكلام ، لأنه كلام الله تعالى ، والله سبحانه هو الذي لا يلهيه قولٌ عن قول ، ولا سؤالٌ عن سؤال ، فهو محيطٌ بالأشياء ، ملمٌّ بها ، لطيف ، خبير ، فله أن تحيط كلماته بما لا تستطيع كلمات الإنسان أن تحيط به ، فيمكن لكلامه ، أن يكون دالاً على أكثر من معنى ، في آنٍ واحد .

وفي ذلك من كنوز المعاني ، ما يبحث عنه ذووا الألباب .

وهذا لا يعني من أننا لا نعيّن مطلقاً ، بل بالقرائن يمكن أن نفعل ، وهذا ما فعله العلماء ، قدس الله أرواح الماضين منهم ، وحفظ الباقين ، فدقّق في ذلك .

ولذا ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (معنى " بسم الله " أنه " أي

---

١ _أنظر مباحث الألفاظ في علم الأصول في كتبهم .

أستعين على أموري كلها بالله " .)[1] .

وربّما هي الاستعانة المذكورة في كلام السيد السبزواري قُدِّس سرُّه .

فدقق في قول الإمام عليه السلام أستعين على أموري كلها بالله ، لم يحدد ، بل عمّمَ أيضاً .

ونعتقد أنَّ العلماء وقعوا فيما وقعوا فيه ، لأنّهم قاسوا كتاب الله بكلامنا نحن، هذا من جهة ومن جهة ثانية ، قاسوه بما ورد من الاخبار من أنّ كل شئ لا يبدأ ببسم الله فهو أبتر ، فتدبّر.

ثمَّ لا يخفى ، وإنْ خفيَ على اللغويين والمفسرين ، من أن هنا "بسم الله" ، هو كلام الله ، فمن البعيد أن يكون محصوراً كما هو ظاهر قولهم ، إذ قدّروا الفعل "أقرأ" أو "أرتل" ، وما يُشبهها ، بل المعنى يُمكن أن يكون على الحقيقة :

هذا القران يبدأ باسم الله تعالى ، فهو جزءٌ منه ، ولم يكن بِشيئٍ خارجٍ عنه ، وإذا توجهنا إلى القارئ في نفس اللحظة ، فسيكون حاله قائلاً ابتدأ به مستعيناً لأرتل أو أقرأ ، مثلاً ، فتأمّل جيداً .

فيمكن للمعنيين أن يجتمعا ، أو أن يتفرّقا ، ولا يُمكن الحصر بواحدٍ من المعاني ، ولكن ذكرنا معنى واحد ، أو معنيين ، للاستيعاب .

وخاصةً هو بنفسه سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أمرنا بذكر اسمه في بداية أعمالنا وأقوالنا ، على ما وردت فيه الرواية ، فهو أولى بتطبيق ذلك ، فبدأ كتابه الكريم بذلك فعلاً ومنطقاً ، فتنبّه .

وإن لم يفت صاحب الميزان بعض هذا ، حيث قال : (وذلك أن الله سبحانه

---

١ _الصدوق / التوحيد / ٢٣١ .

بين في مواضع من كلامه : إنَّ ما ليس لوجه الكريم هالكٌ باطل ، وإنه : سيقدم إلى كل عمل عملوه مما ليس لوجهه الكريم ، فيجعله هباءاً منثوراً ، ويحبط ما صنعوا ، ويبطل ما كانوا يعملون ، وإنه لا بقاء لشيء إلّا وجهه الكريم ، فما عُمِلَ لوجهه الكريم ، وصُنِعَ باسمه ، هو الذي يبقى ، ولا يفنى .

كل أمر من الأمور إنما نصيبه من البقاء بقدر ما لله فيه نصيب ، وهذا هو الذي يفيده ما رواه الفريقان ، عن النبي ﷺ أنه قال : "كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر الحديث ." ، والأبتر هو المنقطع الآخر ، فالأنسب ، أن متعلق الباء في البسملة ابتدأ بالمعنى الذي ذكرناه ، وقد ابتدأ بها الكلام بما أنه فعل من الأفعال ، فلا محالة له معنى ذا وحدة ، وهو المعنى المقصود إفهامه من إلقاء الكلام، والغرض المُحَصَّل منه .

وقد ذكر الله سبحانه ، الغرض المحصَّل مِن كلامه ، الذي هو جملة القرآن ، إذ قال تعالى : ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله))[1]، إلى غير ذلك من الآيات التي أفاد فيها : أن الغاية من كتابه ، وكلامه ، هداية العباد .

فالهداية جملة ، هي المبتدأة باسم الله الرحمن الرحيم ، فهو الله الذي إليه مرجع العباد ، وهو الرحمن الرحيم ، يبين لعباده ، سبيل رحمته العامة للمؤمن والكافر ، مما فيه خيرهم في وجودهم ، وحياتهم ، وهو الرحيم يبين لهم سبيل رحمته الخاصة بالمؤمنين ، وهو سعادة آخرتهم ، ولقاء ربهم ، وقد قال تعالى : ((ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون))[2] ، فهذا بالنسبة إلى جملة القرآن.)) . إنتهى .

١_ الآية المائدة – ١٦.

٢_ الأعراف – ١٥٦ .

إلّا أنه حصره بواحد من المعاني ، كما رأينا !!!!!!!!!

وحصر نفسه بواحد من المعنيين الموجودين ، كما فصّل ذلك هو بنفسه .

فللبيان ، نقول استفهاماً : بِمَ تعلّقتِ الباء ؟

وقبلها : ما معنى الباء ، أصلاً ؟

فللباء معانٍ عدّة ، ومتعلّق الباء يُمكن أن يكون متعدداً ، حسب المطلب ، وحسب المتكلم .

والقران كلام الله سبحانه ، ويمكن أن يكون بلسان حال الانسان ؛ فيمكن ان يكون للمتكلم ، الله ، أو الانسان ، ويمكن ان يكون للمخاطب على زنة المفعول .

ولو ضربت هذي بهذه بتلك ، لرأيت بحراً من المعاني أمامك .

وأحسب من هنا صار للبسملة قابلية عجيبة أن تكون متصدرة لسور القران العظيم ، وتتصدر كلّ أمر ذي بال .

ومن هنا رأينا أن نفرد مطلبين ، الأول منهما أن نبحث عن معنى الباء ، ثم نبين متعلق الباء في المطلب الآخر ، إن شاء الله تعالى ..

المطلب الأول

معاني حرف الباء في لغة العرب :

وحَصَرَها ابنُ هشام ، بأربعة عشر معنى ، جعل منها "باء" الإستعانة ، ومثّل لها ب"باء" البسملة ، وقال : (لا يأتي على الوجه الأكمل إلّا بها)[1] .

وتقدير الكلام حينئذٍ : أقرأ ، أو اتلو ، او أرتل ، مستعيناً ب (اسم الله) . ومثله : ((ولا طائر يطير بجناحيه))[2] ، أو قوله تعالى ((ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر))[3] .

وهي كما تقول كتبت بالقلم .

وقد جَعَلَ الأولَ من معاني حرف الباء ، معنى الإلصاق ، فقال : (وهو معنىً لا يفارقها) ، وقد جعل سيبويه ، هذا المعنى هو المعنى الأصلي لهذا الحرف، والمعاني الأخر تابعة له .

وقال صاحب لسان العرب : (وأَكثر ما تَرِد بمعنى الإِلْصاق لِمَا ذُكِر قَبْلها من اسم أَو فعل بما انضمت إليه)[4].

فهنا عبّر بالكثرة ، وفي المعاني الباقية قال : (وقد تَرِدُ بمعنى المُلابسة والمُخالَطة ، وبمعنى من أَجل ، وبمعنى في ومن وعن ومع ، وبمعنى الحال

---

١ _مغني اللبيب / ج١ / ١٢٠ . ، والزركشي في البرهان / ٤ / ٢٥٦ ، والسيوطي معترك الأقران / ١ / ٦٣٥ .

٢ _ الأنعام / ٣٨ .

٣_ البقرة ١٥٣.

٤_ با / لسان العرب .

والعوض ، وزائدةً .)[١] . إنتهى .

وهذا التعبير يفيد القلّة ، لدخول حرف التحقيق على فعل مضارع ، كما هو واضح ، فقوله قريبٌ من قول سيبويه .

والإلصاق قد يكون حقيقياً ، كقولك أمسكت الحبل بيدي ، وقد يكون مجازياً ، كقولنا مررت بزيد ، والمعنى مررتُ ومروري التصق بموقع يقرب من زيد .

ولو تجاوزنا ما قاله سيبويه في أنّ باء البسملة للاستعانة ، ولم نحصر ذلك فيها ، لأمكن أن يكون المعنى في البسملة : إقرأ ، أو أقرأ.. ملتصقاً باسم الله ، ومعناه حينئذٍ ، قرائتي ملتصقة باسمه ، أو قرائتك ، أو أي فعل يصلح بدل القراءة .

وهم قد قالوا : (وأَمّا المكسورة ، فحرف جر ، وهي لإلصاق الفعل بالمفعول به ، تقول : مررت بزَيْدٍ ، وجائز أَن يكون مع استعانة ، تقول : كَتبتُ بالقلم .)[٢] .

فبما إنه جائز مع استعانة ، لذا سيكون المعنى ، أقرأ ملتصقاً بسم الله ، ومستعيناً به .

وربما تكون الباء للآلة ، كقوله تعالى : ((ففتحنا السماء بماءٍ منهمر))[٣]

قال أبوحيان في البحر المحيط : (جعل الماء كأنه آلة يفتح بها ، كما تقول فتحت الباب بالمفتاح .)[٤] .

---

١ _المصدر نفسه .

٢_كما في المصدر السابق.

٣_ سورة القمر ١١.

٤_ ج٨ / ص١٧٣ .

وتصح هذه ، هنا أيضاً : فيكون المعنى : أقرأ ، جاعلاً قرائتي ، مفتاحها اسم الله ، فكأنك تقول فتحت قرائتي باسم الله .

فصحَّ لحدِّ الآن في باء البسملة ، أربعة معانٍ .

ولا ننس من أنها قد تكون للملابسة ، كقوله تعالى ((فقد باءَ بغضب من الله))[1] ، أي متلبساً ومصحوباً بغضب ، وكقوله تعالى ((خلق السموات والأرض بالحق))[2] ، أي متلبساً بالحق .

ومنه قوله تعالى : ((فسبِّح بحمد ربِّك)) ، الذي معناه : اجعَلْ تسبيحك لربك مُخْتَلِطاً ومُتَلَبِّساً بالحمد .

وقوله تعالى ((تَنْبُتُ بالدُّهْن)) أي مختلطة ومتلبسه به ، يُظهِر هذا المعنى جلياً .

وهذا المعنى لو سحبناه إلى البسملة ، لَصحَّ فيها أيضاً ولكان المعنى ، حينئذٍ: أقرأ وقرائتي متلبسة ، ومختلطة باسم الله .

فالحظْ ، بدأتِ المعاني تكثر .

والقراءة ذكرناها مثلاً ، فانتبه ، لأنه يصح إبدالها بما يصح هنا .

وقد تكون الباء ، للسببية والتعليل ، كقولك : بهجران زيدٍ تمرّض عمرو .

وهنا أي في سورة "الحمد" ، يمكن أن يكون المعنى ، بسبب اسم الله مثلاً يكون الحمد ، وهكذا .

وإذا كان الأمر كما ذكر صاحب لسان العرب من أنّ "الباء" ، (قد تَرِدُ بمعنى المُلابسة والمُخالَطة ، وبمعنى "مِن أَجل" ، وبمعنى في ، ومن ، وعن ،

---

١ ــ سورة الأنفال / ١٦ .

٢ ــ سورة التغابن / ٣ .

و"مع" ، وبمعنى الحال والعوض.....) ، فإذا قلنا من أنّ باء البسملة لها أن تكون كذلك ، لأنها هيَ بعينها ، فسيكون المعنى كما يلي :

من أجل "اسم الله الرحمن الرحيم" أبتدأ بالحمد مثلاً ....

أو في اسم الله ..... يكون الأمر المذكور في ابتداء أي سورة يصلح أن يكون هنا ....

أو من اسم الله ..... يكون الأمر المذكور في ابتداء أي سورة يصلح أن يكون هنا ....

أو عن اسم الله ابتدأ أو أي فعل آخر يصلح .....

فتأمل في كل ذلك فهو حريٌّ بالتأمل .

وأخيراً قد تكون للمصاحبة ، وهي باء الحال ، وتكون متضمنة معنى (مع)، كقوله تعالى :

((وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به))[1]،أو كقوله تعالى:((قد جاءكم الرسول بالحق))[2].

ولها علامتان : يصح بدلها (مع) ، ويُغني عنها وعن مصحوبها ، الحالُ .

وكلاهما في البسملة يصحان : أقرأ مع اسم الله ، أو اقرأ مسمياً .

وباء الملابسة، كباء المصاحبة ، تكون مع مجرورها ، متعلقة بمحذوف حال.

فهذه المعاني كلها الملاصقة ، الاستعانة ، الآلة ، الملابسة ، السببية ، والمصاحبة تصح في باء البسملة ، بل المعاني الباقية كلها ، كما رأينا .

---

١ ـ سورة المائدة / ٦١ .

٢ ـ سورة النساء / ١٧٠ .

نعم معنى البدلية والعوضية لا يصلحان هنا ، فانتبه . وكذلك معنى البدل.

ومعنى المجاوزة يتم بتكلف ، وضابطها أن يصح بدلها "عن" ، كما في قوله تعالى ((سأل سائل بعذابٍ واقع))[1] ، كما ذكره الزجّاج[2] ، والقسم واضح بعده .

فلتكن هذه الباء دالة على الجميع ، ما عدا التي لا تصح ، وهو مِن أبدع أنواع البديع ، حيث اللفظ يتحمل أكثر من معنى ، ويدلّ عليها .

فلا وجه للحصر بمعنى فارد ، كما هو الظاهر ، لأنَّ الباري لو أراد الحصر لفعل ، ولكنه لم يفعل ، والجمع لا مانع منه ، فلنقل به ، وإن كنا قد خالفنا كل المفسرين من الطرفين .

ثمَّ هذه السعة تصلح لأن تكون مقدمة سور مختلفة ، لأنَّ كل سورة لها مطلب مستقل ، فما لا يُناسب مطلبها تُرفع اليدُ عنه ، ويبقى الباقي .

---

١ ـ المعارج / ١ .

٢ ـ إعراب القران / ٢ / ٤٢٤ . وكذلك انظر : المغني / ١ / ١٢٢ .

المطلب الثاني

متعلق الباء :

كل الذي تقدّم منا كان مِن جانب الباء فقط ، فإذا انصب النظر على تقدير الفعل :

إذ الفعل المقدّر يمكن تقديره بما يناسب المعاني التي في السورة : أقرأ أو إقرأ، رتّل أو أرتِّلُ ، أبتدأ أو ابتدأ .... وهكذا ما شاء الله من أفعال تصلح لأن تأتي هنا ، وبِعِدّةِ صِيَغٍ .

ولا نحصره بواحد كما فعل القوم ، لأنَّ الباري لم يحصره .

ولماذا نحصره وهو حمّال وجوه ؟ فلتتشعب المعاني ولتكثر ، فإنّ المطلب دقيق ، وعميق .

أقول : وقد حذف الفعل لِيكون الشمول ، وإلا لكان مقيّداً بالذي ذُكِر .

ونظيره باء الاستعاذة مثلاً ، وقد بيّن ذلك صاحب التفسير الكبير حيث قال في بعض مسائله العديدة التي يذكرها عند آخر آية في سورة الحمد : (أما المباحث العقلية المتعلقة بالباء في قوله أعوذ بالله فهي كثيرة : (أ) الباء في قوله : «بالله» ، باء الإلصاق ، وفيه مسائل : ـ

(المسألة الثالثة : لما ثبت أنه لا بدّ من الإضمار فنقول : الحذف في هذا المقام أفصح ، والسبب فيه أنه لو وقع التصريح بذلك المضمر لاختص قوله : «أعوذ بالله» بذلك الحكم المعين ، أما عند الحذف فإنه يذهب الوهم كل مذهب ، ويقع في الخاطر أن جميع المهمات ، لا تتم إلا بواسطة الاستعاذة بالله ، وإلا عند الابتداء

باسم الله ، ونظيره أنه قال : «الله أكبر» ، ولم يقل أنه أكبر من الشيء الفلاني ، لأجل ما ذكرناه من إفادة العموم ، فكذا هنا .)[1].إنتهى.

وبما ان (حرف الجر) وظيفته أن يوصل معنى الفعل ، أو ما في معناه إلى المجرور ، لقصور نفس الفعل أن يصل إليه ، كقولنا ، كتبت الرسالة بالقلم ، نصبت الرسالة بالفعل (كتب) ، ووصل أثر الفعل إلى (القلم) ببركة الباء .

وهنا بما أن التعليق ربط الجار والمجرور على حسب المعنى :

بالفعل نفسه ، أو شبه الجملة (المصدر والمشتقات) ، أو ما يؤول بشبه الجملة وهو الجامد كما في قولك (كلامك الجميل عسل ، فهو بمنزلة قولك (حلو) وهو مشتق يشبه الفعل ؛ وليس فيه هنا قسمها الرابع (ما فيه معنى الفعل وهو أسماء الأفعال التي يصح أن تتعلق بحروف الجر) .

وهذه تأتي كلها هنا .

وكما ذكرنا هذه الباء لها معانٍ عِدّة : الملاصقة ، الاستعانة ..... ويمكن أن يراد بعضها الأكثر من واحد .

فاضرب هذه التفرعات ثانياً ، بنتائج ما سبق ، بضرب بعضها ببعض أولاً، فكم معنى سيظهر لك ؟

فسبحان مَن أنبت هذه الشجرة المباركة ، المتفرعة المعاني ، في هذه الأرض الطيبة ، مِن حرفٍ واحدٍ ، فقط .

وهذا من أروع مجامع الكلم ، وأبدعه .

---

١ ـ الرازي / التفسير الكبير .

ثانياً : اسم :

اشتقاق الاسم لغةً :

الاسم لغةً ، مأخوذ من السِّمَة ، أو السمو .

(ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوَسْم وهو العلامة .

وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السُّمُوِّ وهو العُلُوّ .

أمّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا :

إنّما قلنا إنه مشتق مِن الوَسْم : لأنّ الوَسْم في اللغة هو العلامة ، والاسم وَسْمٌ على المُسَمَّى ، فصار كالوسم عليه .... ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : الاسم سمةٌ تُوضَع على الشيء يُعْرَفُ بها .

والأصل في اسم ، وَسْم ، إلا أنّه حذفت منه الفاء ، التي هي الواو في وَسْم، وزيدتِ الهمزة في أوله عِوَضًا عن المحذوف ، ووزنه "إِعْلٌ" ؛ لحذف الفاء منه . وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه مشتق من السُّمُوِّ ، لأن السُّمُوَّ في اللغة هو العلو ، يقال : سما يَسْمُو سُمُوًّاً ، إذا علا ، ومنه سُمّيتِ السماء سماءاً ، لِعلوّها .

والاسم يَعْلُو على المسمّى ، ويدلُّ على ما تحته مِن المعنى ، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد : الاسم ما دلَّ على مسمّىً تحته ، وهذا القول ، كافٍ في الاشتقاق ، لا في التّحديد ، فلمّا سَمَا الاسمُ على مُسمّاه ، وعَلَا على ما تحته من معناه ، دلَّ على أنه مشتقٌّ من السُّمُوِّ ، لا من الوَسْمِ .

ومنهم من قال :....فلما كان الاسم يُخْبَرُ به وَيُخبَرُ عنه ، والفعلُ يُخْبَرُ به ،

ولا يُخْبَرُ عنه ، والحرفُ لا يخبر به ، ولا يخبر عنه ، فقد سما [الاسم] على الفعل والحرف : أي عَلَا ، فدلَّ على أنه من السُّمُوِّ .

والأصل فيه سِمْوٌ على وزن فِعْل – بكسر الفاء ، وسكون العين – فحذفت اللّام التي هي الواو ، وجُعِلَتِ الهمزةُ عوضًا عنها ، ووزنه إِفْعٌ ؛ لحذف اللام منه.)[1] .

(وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم " إنما قلنا إنه مشتق من الوَسْم، لأن الوَسْم في اللغة العلامة ، والاسم وَسْمٌ على المسمَّى ، وعلامة عليه يعرف به"، قلنا : هذا وإن كان صحيحًا من جهة المعنى ، إلا أنه فاسدٌ من جهة اللفظ ، وهذه الصناعة لفظية ، فلا بدَّ فيها من مراعاة اللفظ .

ووجه فساده من جهة اللفظ من خمسة أوجه :....)[2] .

وقد جمعها كلها أستاذ الأساتذة السيد الخوئي رحمه الله تعالى في كلامه مختصراً ، عند قوله : (وقيل باشتقاقه من السمة ، " العلامة " ، وهو خطأ ، لأنّ جمْع اسمٍ أسماء ، وتصغيره سمي ، وعند النسبة إليه يقال : سموي ، واسمي ، وعند التعدية يقال : سميت وأسميت .

ولو كان مأخوذاً من السِّمَة لقيلَ في جمعه "أوسام "، وفي تصغيره "وسيم"،

١ــ أنظر : (كتاب"الإنصاف، في مسائل الخلاف، بين النحويين البصريين والكوفيين" الذي صنفه الإمام الحجة والعالم الثبت كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الأنباري، النحوي، المولود في سنة ٥٣١، والمتوفى في سنة ٥٧٧ من الهجرة، / تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد / المجلد الأول / المسألة الأولى (الإختلاف في أصل اشتقاق الاسم) / ص٨ ، وما بعدها ؛ وفيه حجة الطرفين ، وزيادة من الخبير في اللغة محقق الكتاب ؛ بأدنى تصرف .

٢ــ المصدر نفسه .

وفي النسبة إليه "وسمي" ، وعند التعدية وسمت ، وأوسمت .)[١] .

وكلها مردودة ببيان لطيف من محقق كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف"، للأنباري النحوي[٢] ، حيث قال :

(للكوفيين أن يدّعوا أن هذه الكلمة قد حصل فيها قلب مكاني ، وأنهم قالوا أول الأمر "أوسمت" ، على وزن "أفعلت" ، ثم نقلوا الواو التي هي فاء الكلمة إلى موضع اللام ، فقالوا "أسموت" ، على وزن "أعلفت" ، ثم قلبوا هذه الواو - بعد أن صارت في آخر الكلمة - ياءاً ، فصارت "أسميت" ، وبهذه الطريقة يجيبون عن الباقي .)[٣] . إلا أنه بعد بيانه ، ورَدِّ الإشكال ، جاء بكلمة ، أوجدت خللاً في هذا الدفاع ، حيث قال : (وقد تنبّه موفقُ الدين بن يعيش إلى ذلك ، فقال " فإنِ ادُّعيَ القلبُ ، فليس ذلك بالسَّهْل ؛ فلا يُصار إليه وعنه مندوحة " ا. هـ.)[٤] .

والطبرسي مال إلى الثاني ، كما مال المحقق السيد الأستاذ السيد أبو القاسم الخوئي إليه[٥] ، كما رأينا .

نقول : سيبقى رأي البصريين راجحاً لحد الآن .

ولكن توجيه البصريين للاشتقاق ، المأخوذ من العلو ، خاصة عند قولهم ، فقد سما الاسم على المسمى ، لا يُمكن الإلتزام به أصلاً في الأسماء الحُسنى لله

---

١ _الخوئي / البيان .

٢ _ المصدر قبل السابق / الهامش / ص١١ .

٣ _ نفس المصدر .

٤ _ المصدر نفسه .

٥ _ أنظر: الطبرسي في تفسيره لسورة الحمد، في مجمع بيانه، وكذلك السيد الخوئي في بيانه في تفسيره لها.

تعالى ، لأن الله هو العليُّ الأعلى ، ولا يعلو عليه شيء ، واسماؤه تابعة له ، فلا يُمكن الإلتزام به فيه ، على أقل تقدير أدباً ، فانتبه .

نعم ، لو وجّهناه كما وَجَّهَ مَن قال بأن الاسم يسمو ويعلو على الحرف والفعل ، فهو أحسن المقال ، وخاصة في الاسماء الإلهية ، لأنه أحسن حتّى من توجيهَي من قال أن الاسم :

(مأخوذ من السمو " الارتفاع " ، باعتبار أن المعنى يرتفع به فيخرج من الخفاء إلى الظهور ، فإنّ المعنى يحضر في ذهن السامع بمجرّد سماع اللفظ ، بعد أن لم يكن فيه ، أو باعتبار أنّ اللفظ يرتفع بالوضع ، فيخرج من الاهمال إلى الإستعمال .)[١] .

إذ ما ذكره يصح أن يجري في الأسماء الموضوعة كلها ، ولكن في الأسماء الإلهية ، يحتاج لمؤنة لاستيعابه ، هذا أولاً .

وثانياً هذه الخصوصية الأولى ، بل حتى الثانية ليست للاسم فقط ، فالفعل والحرف كذلك ، لهما هذه الخصوصية ، وذلك لأن معنى الفعل ، ومعنى الحرف، كلًّا منهما يحضر في ذهن السامع أيضاً بمجرد سماع اللفظ ، بعد أن لم يكن فيه ، كما أنه خرج من الإهمال إلى الاستعمال .

بالإضافة إلى أن تعبير يرتفع به فيخرج من الخفاء إلى الظهور ، هذا ليس تعبيراً لائقاً باسمائه سبحانه ، كما تقدم منا ؛ والخفاء ليس دائماً يكون منخفضاً ، بل لعله يكون أعلى من الظاهر ، فتعبير يرتفع به ، ليس دقيقاً ، فتأمل .

مع علمنا المسبق أن الأسماء الإلهية توقيفية ، ومن ثم لا نستطيع أن نسمها بالإهمال ، ثم الاستعمال ، ومن هنا ربما تظهر بعض جوانب صحة ما نذهب إليه

---

١ ـ استاذنا المدقق السيد الخوئي / البيان / تفسير سورة الحمد / تفسير البسملة / ص ٤٢٤ .

من أن وضع اللغة

العربية بالخصوص من الله تعالى ،[١] إلا إذا قلنا من أن ذلك كان قبل أن يضعها الباري .

مع هذا نرى أن رأي البصريين هو الراجح ، لما رأيت وسمعت ، ولكن بتوجيه أنّ الاسم قد علا على كلٍّ مِنَ الفعل والحرف ، فتأمّل .

فالاسم مأخوذ من السُّمُو ، بمعنى الرفعة .

وأحسن الكلام ، ما صدر عن سادة الأنام ، حيث جاء في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام : (لكنه اختار لنفسه أسماءاً لِغيره يدعوه بها ، لأنه إذا لم يُدعَ باسمه لم يُعرَف ...)[٢] .

نستشف منها أن الأسماء الإلهية قد اختيرت للمعرفة .

الله :

لفظ الجلالة ، وهو اللفظ الدال على الذات المقدسة ، الجامع لِجميع الصِّفات، ولم يُطلق إلا عليه ، سبحانه ، فهو علمٌ له .

وقال تعالى : ((بسم الله.....)) ، (أي أستعين بالله، وإنما لم يقل "بالله" تعظيما ، فكأن الإستعانة بالأسم .)[٣] .

---

١ ــ وهي نظريتنا الخاصة بوضع اللغة العربية الموجودة في القران بالخصوص لا مطلق اللغة ، من قبل الله تعالى ، وكتبنا رسالة مفصلة في هذا الشأن ، وهي مطبوعة .

٢ ــ الكليني / الكافي / ج١ / ١١٣ ، المجلسي / البحار / ج٤ / ١٧٤ ، التوحيد / ١٩١ . معاني الأخبار / ص٢ . وهذه الرواية ربما تصلح كشاهد على ما نذهب إليه .

٣ ــ السيد الطباطبائي / الميزان .

الرحمن الرحيم :

وبعد : ليس كل اسم وصفة له سبحانه ، ربما يُشار به إليه ، بل خصّه بما التصق بالرحمة ، وهما (الرحمن الرحيم) ، فحينئذٍ يكونان صفة للاسم لا للفظ الجلالة ، أو يكونان بدلاً منه ، أو يكون "الرحمن" بدلاً ، والرحيم صفة ، وهو ما لم يقله أحد ، ولكن يُمكن ذلك على موازين العربية .

بل نقول أكثر من ذلك من أنه رَبَطَ الاسمَ بالصِّفات ، بلفظٍ هو برزخٌ بين الصفات والاسماء ، فجاء بالرحمن صفة أو بدلاً ، ثم جاء بالرحيم صفة ، فدقّق .

ويمكن أن يكون هذا على خلاف "الرحمن الرحيم" ، التي في داخل السورة فهما يمكن أن يكونا صفتين ل(ربِّ العالمين) ، فانتبه .

ويمكن أن نقول إنهما صفتان للفظ الجلالة أيضاً ، فتكون الدلالة على معنيين بلفظ واحد ، وما أحسنه هنا .

وهذه ستزيد المعاني أيضاً ، فتأمّلْ .

فما أروع كتاب الله ، وما أغوره !!!

والرحمن ، الرحيم صفتان ، قد تقوم أحدهما مقام الأخرى .

وإذا اجتمعا فالرحمن صفة الذات ، والرحيم صفته من حيث الفعل .

والرحمن : اسم مأخوذ من الرحمة ، وهو على زنة (فعلان) ، ومن هذه الصيغة نستفيد شيئين :

الأول منهما : أنها صفة ذات ، كما نصف أحدهم بالغضبان ، والنعسان ، والولهان .

والثاني : إن هذا الوزن في اللغة يدل على التحرك وعدم الانقطاع ، ولذا كان على هذا الوزن المتحركات والمستمرات كالغليان ، والفوران ، والهيجان ،

والطوفان ، بل ربما لأجله جاء أحدها على هذا الوزن ليدل على البشر ، لما فيه من طاقة وهو لفظ (الانسان) ، ولعله من هنا جاء في القران الكريم ((وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإنّ الدار الآخرة لَهيَ الحيوان))[1] . فعبَّر عن الحياة الأخرى ، بهذه الصيغة للدلالة على حركة الحياة ، واستمرارها في تلك الدار .

فهو إذن بمعنى الرحمة المستمرة التي لا تنقطع ، فلذا لم تكن إلا لله تعالى ، واختصت به سبحانه وتعالى وحده ، فلا يطلق الرحمن إلا عليه .

الرحيم : اسم مأخوذ من الرحمة أيضاً ، ويمكن أن يتصف بها غيره ، وكل حَسَبُه .

وكلنا مخلوقون لرحمته ، فقد جاء في علل الشرائع :

(حدثنا محمد بن أحمد الشيباني رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبيه ، عن أبي بصير، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) .

قال : خلقهم ليأمرهم بالعبادة .

قال : وسألته عن قول الله عزَّ وجلَّ :"ولا يزالون مختلفين إلّا مَن رحم ربُّك ولذلك خلقهم ". قال : ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته ، فيرحمهم .)[2] .

ولعله لذا جاء بصفة رحمته بعد أن جاء بلفظ دال عليه فقط ، وهو لفظ الجلالة ، بعد أن وُسِمَ برب العالمين ، في السورة نفسها .

فكلنا مخلوقون لرحمته ، فسبحان الله على آياته .

---

١ ـ سورة العنكبوت / الآية ٦٤ .

٢ ـ الشيخ الصدوق / علل الشرائع / ب٩ ، علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم . / ص١٣ .

البسملة هل هي آية من سورة الفاتحة ؟

ثمَّ هل هي آية من كلِّ سورة ، ما عدا سورة براءة ؟

هي آية من سورة الفاتحة ، بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع :

إذ ادُّعيَ الإجماعُ على ذلك ، مِن قبلنا ، فقد ذكر صاحب "مستند الشيعة" ، العلامة النراقي ، رحمه الله ، في جملة ما ذكر : (فائدة : مِنَ الفاتحةِ البسملةُ إجماعاً منّا، ومِن أكثر العامة ، وهو الحجّة ، مضافا إلى الأخبار المتكثرة[١] ، فتجب قراءتها فيها .

وكذا في السورة على الأشهر ، بل هو أيضا مجمعٌ عليه ، لعدم قدح ما نُسِبَ إلى الإسكافي من المخالفة في السورة [٢]، فبه[٣] يردّ قوله ، مضافا إلى بعض المعتبرة .[٤]

والأخبار المخالفة في الموضعين ـ لو سلّمت دلالتها ـ لم تفد أصلا ، لِشذوذها غايته ، وموافقتُها العامة .) .[٥]

---

١ ـ أنظر : الحر العاملي / الوسائل / / ج٤ / القراءة / ب ١١ / ص٧٤٥ .

٢ ـ نسبه إليه الشهيد الأول في كتابه الذكرى ، حيث قال : (وابن الجنيد يرى أنَّ البسملة في الفاتحة بعضها ، وفي غيرها افتتاح لها ...) / الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي ٧٣٤-٧٨٦ هـج. / ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة / ج٣ / ص٢٩٩ / تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث.

٣ ـ أي بالاجماع .

٤ ـ إذ وردت بعض الروايات المعتبرة ، في ذلك . أنظر للاطلاع : الحر العاملي / الوسائل / ج٤ / ص٧٤٧ / ب١٢ / عدة روايات تدور هذا المدار ، وقد حملها الشيخ وغيره على التقية ، أو على عدم الجهر في محل الاخفات ، أو على عدم سماع الراوي ، أو على النافلة ، كما ذكر ذلك كله صاحب الوسائل عند نقله إياها .

٥ ـ المستند / ج٥ / ٨٠ .

فصل : صورة القوم عن هذه الآية المباركة

قال ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير" : (ذهب مالك والاوزاعي ، وفقهاء المدينة والشام والبصرة ، وقيل باستثناء عبد الله بن عمرو وابن شهاب من فقهاء المدينة ، إلى أنها ليست بآية من أوائل السور ، لكنها جزء آية من سورة النمل.

وذهب الشافعي في أحد قوليه ، وأحمد وإسحاق وأبو ثور ، وفقهاء مكة ، والكوفة غير أبي حنيفة ، إلى أنها آية في أول سورة الفاتحة خاصة .

وذهب عبد الله بن مبارك والشافعي في أحد قوليه ، وهو الأصح عنه ، إلى أنها آية من كل سورة .

ولم ينقل عن أبي حنيفة من فقهاء الكوفة فيها شيء ، وأخذ منه صاحب الكشاف أنها ليست من السور عنده ، فعدّه في الذين قالوا بعدم جزئيتها من السور ، وهو الصحيح عنه .) .[1]

أدلة ابن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير) على أنها ليست بآيةٍ ، وردُّها :

وقال من جملة ما قال : (قَالَ الْبَاقِلَّانِيُّ : « لَوْ كَانَتِ التَّسْمِيَةُ مِنَ الْقُرْآنِ لَكَانَ طَرِيقُ إِثْبَاتِهَا إِمَّا التَّوَاتُرَ أَوِ الْآحَادَ ، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ ، لِأَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ كَوْنُهَا مِنَ الْقُرْآنِ لَحَصَلَ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ بِذَلِكَ ، وَلَامْتَنَعَ وُقُوعُ الْخِلَافِ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ،

---

١ ـ التحرير والتنوير / ص١٣٩ .

وَالثَّانِي أَيْضًا بَاطِلٌ ، لِأَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ لَا يُفِيدُ إِلَّا الظَّنَّ ، فَلَوْ جَعَلْنَاهُ طَرِيقًا إِلَى إِثْبَاتِ الْقُرْآنِ لَخَرَجَ الْقُرْآنُ عَنْ كَوْنِهِ حُجَّةً يَقِينِيَّةً ، وَلَصَارَ ذَلِكَ ظَنِّيًّا ، وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ لَجَازَ ادِّعَاءُ الرَّوَافِضِ أَنَّ الْقُرْآنَ دَخَلَهُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَالتَّغْيِيرُ وَالتَّحْرِيفُ.» اهـ .

وَهُوَ كَلَامٌ وَجِيهٌ ، وَالْأَقْيِسَةُ الِاسْتِثْنَائِيَّةُ الَّتِي طَوَاهَا فِي كَلَامِهِ وَاضِحَةٌ لِمَنْ لَهُ مُمَارَسَةٌ لِلْمَنْطِقِ ، وَشَرْطِيَّاتُهَا لَا تَحْتَاجُ لِلِاسْتِدْلَالِ ، لِأَنَّهَا بَدِيهِيَّةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى بَسْطِهَا .

زَادَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ ، فِي «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» ، فَقَالَ : يَكْفِيكَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ الِاخْتِلَافُ فِيهَا ، وَالْقُرْآنُ لَا يَخْتَلف فيه . اهـ.

وَزَادَ عَبْدُ الْوَهَّابِ فَقَالَ : « إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيَّنَ الْقُرْآنَ بَيَانًا وَاحِدًا مُتَسَاوِيًا ، وَلَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ فِي بَيَانِهِ ، مُخْتَلِفَةً بِالظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ ، حَتَّى يَخْتَصَّ بِهِ الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ ، وَلِذَلِكَ قَطَعْنَا بِمَنْعِ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يُنْقَلْ إِلَيْنَا ، وَأَبْطَلْنَا قَوْلَ الرَّافِضَةِ إِنَّ الْقُرْآنَ حِمْلُ جَمَلٍ عِنْدَ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمُنْتَظَرِ ، فَلَوْ كَانَتِ الْبَسْمَلَةُ مِنَ الْحَمْدِ لَبَيَّنَهَا رَسُولُ اللهِ بَيَانًا شَافِيًا ..... » اهـ.[1]. إنتهى .

ونحن سوف لا نعلق على ما اتهموا به الرافضة من دون بيّنةٍ ، ولا ذكرٍ لِمصدرٍ واحدٍ لهم ، وهذه كتبهم بين يديك ، فبأي كتاب ذُكِرت هذه الإدعاءات ، التي سطّرها ، وبأي سِفر ؟

وصدق المثل ، رمتني بدائها وانسلت ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

وردّهُ واضح ، وقد ذكرَه ، لِمَن ذكرَه ، حيث قال :

---

١ ــ نفس المصدر .

(وَقَدْ عَارَضَ هَذَا الدَّلِيلَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فِي «الْمُسْتَصْفَى» فَقَالَ : « نَفْيُ كَوْنِ الْبَسْمَلَةِ مِنَ الْقُرْآنِ أَيْضًا إِنْ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ لَزِمَ أَنْ لَا يَبْقَى الْخِلَافُ ، (أَيْ وَهُوَ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ) ، وَإِنْ ثَبَتَ بِالْآحَادِ يَصِيرُ الْقُرْآنُ ظَنِّيًّا ، قَالَ : وَلَا يُقَالُ : إِنَّ كَوْنَ شَيْءٍ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ عَدَمٌ ، وَالْعَدَمُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِثْبَاتِ ، لِأَنَّهُ الْأَصْلُ ، بِخِلَافِ الْقَوْلِ بِأَنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ ، لِأَنَّا نُجِيبُ : بِأَنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ عَدَمًا ، إِلَّا أَنَّ كَوْنَ التَّسْمِيَةِ مَكْتُوبَةً بِخَطِّ الْقُرْآنِ يُوهِنُ كَوْنَهَا لَيْسَتْ من الْقُرْآن ، فههنا لَا يُمْكِنُنَا الْحُكْمُ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا بِالدَّلِيلِ ، وَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي أَنَّ الدَّلِيلَ مَا هُوَ ؟ فَثَبَتَ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْقَاضِي لَازِمٌ عَلَيْهِ . اهـ .

وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ .)[1] .

وأتم صاحب التحرير دليله بعدم كونها آية بقوله :

(الثَّانِي : وَهُوَ الِاسْتِدْلَالُ مِنَ الْأَثَرِ فَلَا نَجِدُ فِي صَحِيحِ السُّنَّةِ مَا يَشْهَدُ بِأَنَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةٌ مِنْ أَوَائِلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ ، وَالْأَدِلَّةُ سِتَّةٌ :

الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ :

مَا رَوَى مَالِكٌ فِي «الْمُوَطَّأِ» عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عبد الرَّحْمَن عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُّ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ نِصْفَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقُولُ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعالَمِينَ، فَأَقُولُ: حَمِدَنِي عَبْدِي»

إِلَخْ، وَالْمُرَادُ فِي الصَّلَاةِ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ ، وَوَجْهُ الدَّلِيلِ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

ويرده : هل يصح مثل هذا أن يكون نفياً للباقي ؟

---

١ ــ نفس المصدر .

وإذا صحّ ، فهل يعني أن الصلاة بكاملها هي تلك فحسب ، وننفي الركوع والسجود ، والذكر مطلقاً في مختلف حالات الصلاة .

وإذا قال هذه ثبتت بأدلة أخرى ، فنقول في ردّه حينئذٍ البسملة أيضاً لايمكن لكم نفيها بهذا ، فلها طرق لإثباتها .

(الثَّانِي :

حَدِيثُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي «الْمُوَطَّأ» و «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلُهَا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ» ؟

قَالَ: بَلَى، فَلَمَّا قَارَبَ الْخُرُوجَ قَالَ لَهُ: كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟ قَالَ أُبَيٌّ فَقَرَأْتُ الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعالَمِينَ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ مِنْهَا الْبَسْمَلَةَ.) . إنتهى .

رد الثاني : وبهذا لا يمكن أن نثبت ذلك أيضاً ، وذلك لأنهم يسمون السور في أغلب الأحيان بما تبتدأ به ، ولا مجال لقولك إنك تقول يسمون السور في أغلب الأحيان بما تبتدأ به ، وهذا ضدك إذ تبتدأ السورة بالبسملة فلمَ لمْ يذكرها؟ لأنه كما تعلم ويعلم الجميع من أن البسملة فاتحة السور كلها إلا براءة ، فهي مشتركة ، فلذا كانوا يبدأون بالتسمية بالآية التي تليها ، فقال قَرَأْتُ : الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعالَمِينَ معناها قرأت سورة الحمد حتى أتيت لآخرها ، فلا دلالة على أيٍّ أوَلُها "الحمد لله " ، أم أن أولها "بسم الله الرحمن الرحيم" ؟ فركّز على هذا .

وعلى أقل تقدير ، قالوا من أنه إذا جاء الإحتمال بطل الإستدلال .

(الثَّالِثُ :

مَا فِي «صَحِيح مُسلم» و«سنَن أبي دَاوُد» و«سنَن النَّسَائِيِّ» عَنْ أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهَّ ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَكَانُوا يستفتحون بِالْحَمْد للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا يَذْكُرُونَ (بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، لَا فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا .). إنتهى.

رد الثالث : وتجد في هذا النقل إرباك ، يدلك على عصبيةٍ ما ، فإنهم لَا يَذْكُرُونَهَا في أول قراءة مفهوم ، ولكن قوله ولا في آخرها ، يجعلك متحيراً ، لأنه ما نُقل ذلك عن أحدٍ أبداً .

نعم قال الفخر الرازي : في معرض حديثه عن روايات أنس : (وأيضاً ففيها تهمة أخرى ، وهي أن عليّاً كان يبالغ في الجهر بالتسمية ، فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر بها سعياً في إبطال آثار علي .)[1] . إنتهى .

ولعلّ هذه الزيادة تدل على هذا التعصّب .

فضلاً عن معارضته في النقل ، لِغيره من الصحابة ، بل بما رويَ عنه نفسه ، كما سيأتيك ، فانتظر .

فإمّا قد اشتبه عليه الأمر وهو ليس بمعصوم ، أو قد كُذِب على الرجل ، لتأييد هذا الإتجاه .

الرَّابعُ:

حَدِيثُ عَائِشَةَ فِي «صَحِيح مُسلم» و «سنَن أَبِي دَاوُدَ» قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهَّ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَة بِالْحَمْد الله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ردّ الرابع :

وفيه ما في الذي قبل الذي قبله ، من تسميتهم للسورة ، بأول آية بعد

١ـ ١٠٦/١ .

البسملة فلا يدل على أن أولها اي آية ؟

الْخَامِسُ:

مَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ» عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيءِ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُ: (بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَقُلِ الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعالَمِينَ) . إنتهى .[1]

رد الخامس : فالقول قوله ، لا قول المعصوم ، كما هو ظاهر وواضح . وعدم سماعه ليس بحجة .

ويعارضه في النقل غيره من الصحابة كما سيأتيك .

(السَّادِسُ : ـوَهُوَ الْحَاسِمُ-: عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ ، مِنْ وَقْتِ نُزُولِ الْوَحْيِ إِلَى زَمَنِ مَالِكٍ ، صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهَّ ، وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأُمَرَاءُ ، وَصَلَّى وَرَاءَهُمُ الصَّحَابَةُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ أَحَدٌ قَرَأَ (بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ ، وَهَلْ يَقُولُ عَالِمٌ إِنَّ بَعْضَ السُّورَةِ جَهْرٌ وَبَعْضَهَا سِرٌّ ، فَقَدْ حَصَلَ التَّوَاتُرُ بِأَنَّ النَّبِيّ ، وَالْخُلَفَاءَ لَمْ يَجْهَرُوا بِهَا فِي الْجَهْرِيَّةِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ السُّورَةِ ، وَلَوْ جَهَرُوا بِهَا لَمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا . وَهُنَاكَ دَلِيلٌ آخَرُ لَمْ يَذْكُرُوهُ هُنَا وَهُوَ حَدِيثُ عَائِشَةَ فِي بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُعْتَبَرٌ مَرْفُوعا إِلَى النَّبِي، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَفَجِئَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ رَسُولُ اللهَّ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ- إِلَى أَنْ قَالَ- فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق: ١] الْحَدِيثَ. فَلَمْ يَقُلْ فَقَالَ لِي بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، وَقَدْ ذَكَرُوا هَذَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَلَقِ وَفِي شَرْحِ حَدِيثِ بَدْءِ الْوَحْيِ.) .

---

١ ـ التحرير .

ويردّ السادس :

لم يذكروا أن سورة العلق نزلت كاملة حتى يردَ الإستدلال . ثم هو مرفوع، وليس فيه قول المعصوم .

ثم الأغلب إن لم يكن الكل يتساهل في نقل هذا ، من حيث الإختصار ، والإعتماد على ما ترسّخ في ذهن المتلقّي من وجود البسملة ، لذا لا يركزون عليها، في النقل ، ولعله لحد يومك هذا جار مثله .

وأما الذي قبله من نقلٍ لعمل أهل المدينة فهو أول الحديث ، والنقاش في ذكره وعدمه ، فكيف يحدث التواتر في مثله ؟

(وَأَمَّا الْمَسْلَكُ الثَّالِثُ وَهُوَ الِاسْتِدْلَالُ مِنْ طَرِيقِ الِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيِّ فَيَأْتِي الْقَوْلُ فِيهِ عَلَى مُرَاعَاةِ قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةٌ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ خَاصَّةً، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يَتَكَرَّرَ لَفْظَانِ وَهُمَا الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فِي كَلَامٍ غَيْرِ طَوِيلٍ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ كَثِيرٌ وَذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْمَدُ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ، وَهَذَا الِاسْتِدْلَالُ نَقَلَهُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» وَأَجَابَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ التَّكْرَارَ لِأَجْلِ التَّأْكِيدِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَإِنَّ تَأْكِيدَ كَوْنِهِ تَعَالَى رَحْمَانًا رَحِيمًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُهِمَّاتِ. وَأَنَا أَدْفَعُ جَوَابَهُ بِأَنَّ التَّكْرَارَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَوَاقِعُ مَحْمُودَةٌ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ مِثْلَ التَّهْوِيلِ، وَمَقَامِ الرِّثَاءِ أَوِ التَّعْدِيدِ أَوِ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ، إِلَّا أَنَّ الْفَاتِحَةَ لَا مُنَاسَبَةَ لَهَا بِأَغْرَاضِ التَّكْرِيرِ وَلَا سِيَّمَا التَّوْكِيدُ لِأَنَّهُ لَا مُنْكِرَ لِكَوْنِهِ تَعَالَى رَحْمَانًا رَحِيمًا، وَلِأَنَّ شَأْنَ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ أَنْ يَقْتَرِنَ فِيهِ اللَّفْظَانِ بِلَا فَصْلٍ فَتَعَيَّنَ أَنَّهُ تَكْرِيرُ اللَّفْظِ فِي الْكَلَامِ لِوُجُودِ مُقْتَضَى التَّعْبِيرِ عَنْ مَدْلُولِهِ بِطَرِيقِ الِاسْمِ الظَّاهِرِ دُونَ الضَّمِيرِ، وَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِأَنْ يَبْعُدَ مَا بَيْنَ الْمُكَرَّرَيْنِ بُعْدًا يُقْصِيهِ عَنِ السَّمْعِ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُمْ عَدُّوا فِي فَصَاحَةِ الْكَلَامِ خُلُوصَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ، وَالْقُرْبِ بَيْنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ حِينَ كُرِّرَا يَمْنَعُ ذَلِكَ.

وَأَجَابَ الْبَيْضَاوِيُّ بِأَنَّ نُكْتَةَ التَّكْرِيرِ هُنَا هِيَ تَعْلِيلُ اسْتِحْقَاقِ الْحَمْدِ، فَقَالَ السَّلَكُوتِيُّ أَشَارَ بِهَذَا إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ: إِنَّ الْبَسْمَلَةَ لَوْ كَانَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ لَلَزِمَ التَّكْرَارُ ، وَهُوَ جَوَابٌ لَا يَسْتَقِيمُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ التَّعْلِيلُ قَاضِيًا بِذِكْرِ صِفَتَيِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَدَفْعُ التَّكْرِيرِ يَقْتَضِي تَجْرِيدَ الْبَسْمَلَةِ الَّتِي فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ مِنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِأَنْ تَصِيرَ الْفَاتِحَةُ هَكَذَا: (بِسْمِ اللهِ الْحَمْدُ للهِ إِلَخْ) .

وَأَنَا أَرَى فِي الِاسْتِدْلَالِ بِمَسْلَكِ الذَّوْقِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُرَاعَاةِ قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِكَوْنِ الْبَسْمَلَةِ آيَةً مِنْ كُلِّ سُورَةٍ فَيَنْشَأُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ تَكُونَ فَوَاتِحُ سُوَرِ الْقُرْآنِ كُلُّهَا مُتَمَاثِلَةً ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْمَدُ فِي كَلَامِ الْبُلَغَاءِ إِذِ الشَّأْنُ أَنْ يَقَعَ التَّفَنُّنُ فِي الْفَوَاتِحِ، بَلْ قَدْ عَدَّ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ أَهَمَّ مَوَاضِعِ التَّأَنُّقِ فَاتِحَةَ الْكَلَامِ وَخَاتِمَتِهِ ، وَذَكَرُوا أَنَّ فَوَاتِحَ السُّوَرِ وَخَوَاتِمَهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِ الْبَيَانِ وَأَكْمَلِهَا ، فَكَيْفَ يَسُوغُ أَنْ يُدَّعَى أَنَّ فَوَاتِحَ سُوَرِهِ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، مَعَ أَنَّ عَامَّةَ الْبُلَغَاءِ مِنَ الْخُطَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَالْكُتَّابِ يَتَنَافَسُونَ فِي تَفَنُّنِ فَوَاتِحِ مُنْشَآتِهِمْ وَيَعِيبُونَ مَنْ يَلْتَزِمُ فِي كَلَامِهِ طَرِيقَةً وَاحِدَةً فَمَا ظَنك بأبلغ كَلَام ؟)[1] .

وأنت ترى ما في ذلك كله .

فهل القران بما هو الآن في أيدينا بعيد عن البلاغة ، وركيك لأنّ أوائل سوره كلها البسملة ؟

ما لهم كيف يحكمون ؟

وأنت لو لاحظت لرأيت أن سر بلاغته أنه يبدأ بهذه الآية المباركة التي تتناغم مع كل مطلب سورة مع الإختلاف الكبير بين مطالبها المتنوعة من دون خلل ولا فجوة ، فالذكر من أسرار بلاغته لا من ركّته .

---

١ ــ وسيأتيك ردنا لشبهة التكرير ، في مبحث " الرحمن الرحيم" ، ولعله من لطائف ما أرشدنا الله إليه ، فانتظر .

فصل

ويمكن أن نبين حجة المثبتين للبسملة بما يلي :

الأول : الروايات :

١) رواية أبي هريرة : رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيءَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: « فَاتِحَةُ الْكِتَابِ سَبْعُ آيَاتٍ أُولَاهُنَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ .

ولقد قال صاحب التحرير في رده :

(أَمَّا عَنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَهُوَ لَمْ يُخْرِجْهُ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ إِنَّمَا خَرَّجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فَهُوَ نَازِلٌ عَنْ دَرَجَةِ الصَّحِيحِ فَلَا يُعَارِضُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ .) .

٢) قَوْلُ أُمِّ سَلَمَةَ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَاتِحَةَ وَعَدَّ : "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" آيَةً.

(وَأَمَّا حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ فَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ غَيْرُ أَبِي دَاوُدَ وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْبَيْهَقِيّ ، وصحح بَعْضَ طُرُقِهِ ، وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ الطَّحَاوِيُّ بِأَنَّهُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ ، وَلَمْ يَثْبُتْ سَمَاعُ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، يَعْنِي أَنَّهُ مَقْطُوعٌ ، عَلَى أَنَّهُ رَوَى عَنْهَا مَا يُخَالِفُهُ ، عَلَى أَنَّ شيخ الْإِسْلَام زَكَرِيَّاء قَدْ صَرَّحَ فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ» بِأَنَّهُ لَمْ يُرْوَ بِاللَّفْظِ الْمَذْكُورِ ، وَإِنَّمَا رُوِيَ بِأَلْفَاظٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بِسْمِ اللهِ آيَةٌ وَحْدَهَا ، فَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ كَوْنُهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ ، عَلَى أَنَّ هَذَا يُفْضِي إِلَى إِثْبَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بِغَيْرِ الْمُتَوَاتِرِ ، وَهُوَ مَا يَأْبَاهُ الْمُسْلِمُونَ .) .

٣) وَقَدِ احْتَجَّ بَعْضُهُمْ بِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ سُئِلَ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيءِ؟ .

فَقَالَ كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يَمُدُّ بِسْمِ اللهَّ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ ، اهـ،

وَلَا حُجَّةَ فِي هَذَا لِأَنَّ ضَمِيرَ قَرَأَ وَضَمِيرَ يَمُدُّ عَائِدَانِ إِلَى أَنَسٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِالْبَسْمَلَةِ عَلَى وَجْهِ التَّمْثِيلِ لِكَيْفِيَّةِ الْقِرَاءَةِ لِشُهْرَةِ الْبَسْمَلَةِ.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : « بَيْنَا رَسُولُ اللهَّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ، ثُمَّ رفع رَأسه مُتَبَسِّمًا ، فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةٌ آنِفًا فَقَرَأَ بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ [الْكَوْثَرَ: ١] السُّورَةَ.

وَالْجَوَابُ عَنِ الْحَدِيثِ : أَنَّا نَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ قَرَأَ الْبَسْمَلَةَ عَلَى أَنَّهَا مِنَ السُّورَةِ، بَلِ افْتَتَحَ بِهَا عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِرَاءَةِ ، لِأَنَّهَا تُغْنِي عَنِ الِاسْتِعَاذَةِ إِذَا نَوَى الْمُبَسْمِلُ تَقْدِيرَ أَسْتَعِيذُ بِاسْمِ اللهَّ وَحَذَفَ مُتَعَلِّقَ الْفِعْلِ وَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى نَحْوِ هَذَا لِأَن رَاوِيه أنسا بْنَ مَالِكٍ جَزَمَ فِي حَدِيثِهِ الْآخَرِ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ رَسُولَ اللهَّ بَسْمَلَ فِي الصَّلَاةِ.

فَإِنْ أَبَوْا تَأْوِيلَهُ بِمَا تَأَوَّلْنَاهُ لَزِمَ اضْطِرَابُ أَنَسٍ فِي رِوَايَتِهِ اضْطِرَابًا يُوجِبُ سُقُوطَهَا.

بل يوجب سقوط الراويتين ، كما هو معروف لدى أهل الاختصاص .

الثَّانِي :

قَالُوا وَلِلْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّ مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ كَلَامُ اللهَّ ، وَلِإِثْبَاتِ الصَّحَابَةِ إِيَّاهَا فِي الْمَصَاحِفِ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى أَنْ لَا يُدْخِلُوا فِي الْقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَكْتُبُوا آمِينَ فِي الْفَاتِحَةِ.

(وَأَمَّا عَنِ الْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّ مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ كَلَامُ اللهَّ، فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَقْتَضِي إِلَّا أَنَّ الْبَسْمَلَةَ قُرْآنٌ وَهَذَا لَا نِزَاعَ فِيهِ ، وَأَمَّا كَوْنُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي رُسِمَتْ فِيهَا فِي الْمُصْحَفِ مِمَّا تَجِبُ قِرَاءَتُهَا فِيهَا، فَذَلِكَ أَمْرٌ يَتْبَعُ رِوَايَةَ الْقُرَّاءِ ، وَأَخْبَارَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ ، فَيَعُودُ إِلَى الْأَدِلَّةِ السَّابِقَةِ .) .

إثبات الثبات خاصّة ، على طريقة علماء العامّة :

الأمر الأول :

قال إمام القراء ، أبو الخير ابـن الجـزري ، في كتـاب "النشر في القـراءات العشر" : (ولذلك لم يكن بينهم خلاف في إثبات البسـملة أول الفاتحـة ، سـواء وصلت بسورة الناس قبلها ، أو ابتدئ بها ؛ لأنها ولو وصلت لفظاً ، فإنها مبتـدأ بها حكمًا ؛ ولذلك كان الواصل هنا حالًّا مُرتَحِلاً)[1] .

وجميع المصاحف على ما يعرف الكل التي كُتِبَت بخَطِ مَـن كُتِبَـتْ في زمـن عثمان بن عفان ، كانت البسملة فيها أول كل سورة ما عدا سورة براءة ، وقد أقرَّ الصحابة كلهم ذلك .

فلو كانت منه ، ولم تكن من القران ، كيف تجرّأ من كتبها أن يكتبها مع جميع السور ؟

وكيف لم يعارضه أحد من الصحابة على فعلته تلك ؟

وإن كانت منه فهو المُراد .

ثم هذا التواتر على أنها كُتِبَتْ ، كافٍ في الإثبات .

ولو نقنق بعضهم رفضاً لهذا ، نقول ثانياً : قد أقرَّ الكل على أن الصـحابة في ذلك الوقت قد جرّدوا القران من كل ما عداه ، حتى إنهم لم يذكروا كلمـة آمـين في نهاية الحمد ، مع أنها قد ثبتت في زمن عمر ، وتوارثها القوم.

بل لم يذكروا حتى أسماء السور ، أو كونها مكية أم مدنية ، ولا حتى أعـداد الآي .

---

١ ـ ج١ / ص٢٦٢ .

فكيف ساغ لهم أن يكتبوا مائة وثلاث عشرة بسملة ، هي ليست من القران، في القران ؟

ألا يدل ذلك دلالة قطعية على أن البسملة من القران ؟

فإن لم يكن ذلك كله تواتراً ، فما المقصود إذن من التواتر ؟

فإذاً هاهو التواتر المنقول عملاً ، فأهلاً وسهلاً به ، لتسهيل المهمة.

الأمر الثاني :

ثمّة قاعدة ثابتة عند القراء صحيحة : إنَّ القراءة الصحيحة المقبولة هي :

١ : ما صحَّ سنده منها .

٢ : ووافق رسم أحد المصاحف ، ولو احتمالاً .

٣ : وكان له في العربية وجه . أنظر كتاب "النشر في القراءات العشر" لابن الجوزي .

بناءاً على هذه القاعدة المتسالم عليها ، والمعمول بها نقول :

وهنا ملاحظة هامة أرجو الإلتفات إليها قبل الخوض بالمطلب ، إن القراءات ثبتت بالنقل ، ولكنَّ القران الكريم ثبت بالتواتر فلا يفوتنّ اللبيب ذلك .

فمن تلك القاعدة المبنية على الركائز الثلاثة تلك يظهر أنّه حتى لو كان لدينا قراءة صحيحة السند ، ولكنّها تُخالف رسم المصحف ، مهما كانت صحتها، فهي قراءة غير صحيحة ، وتعتبر شاذة .

فيظهر لنا حينئذٍ جليّاً واضحاً :

١) : أن ما ذهب إليه "مالك" ، ومَن تبعه ، وتابعه في القول من أنّ

البسملة ليست آية أصلاً ، لا يوافق القواعد ولا الضوابط ، ولا حتّى أيَّ قراءة صحيحة .

لأنه بهذا لا يُطابق رسم المصحف ، فانتبه .

٢) : أن قراءة من أسقطها عند الوصل قراءة غير صحيحة .

وذلك لأنها لا توافق رسم المصحف .

وبهذا فنَّدنا القول بعدم قُرانِيّتِها .

بقي شئ هل إنها آية في سورة الحمد فقط ، أم أنها آية من كل سورة ذكرت فيها ؟ .

والعجيب أن عالماً مثل ابن عاشور يقول :

(وَالْحَقُّ الْبَيِّنُ فِي أَمْرِ الْبَسْمَلَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، أَنَّهَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَ السُّوَرِ لِيَكُونَ الْفَصْلُ مُنَاسِبًا لِابْتِدَاءِ الْمُصْحَفِ ، وَلِئَلَّا يَكُونَ بِلَفْظٍ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ)[١] .

فكيف سُحبتْ للفصل ، وذِكْرُها يدلُّ على إنها من الأصل ؟

وهوَ تبرُّعٌ منه غريب .

وقد استشهد بهذه الرواية :

(وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَصَحَّحَهُ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: «مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ وَإِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي فَجَعَلْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ ، وَلَمْ تكْتبُوا بَينهمَا سطراً "بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" ، قَالَ عُثْمَانُ ، كَانَ النَّبِيّ لَمَّا تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ لَهُ ، وَيَقُولُ لَهُ ضَعْ هَذِهِ الْآيَةَ بِالسُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا

---

١ ــ راجع التحرير .

وَكَذَا، أَوْ تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ وَالْآيَتَانِ فَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَّلِ مَا أُنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا ، فَقُبِضَ رَسُولُ اللهَّ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا ، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا ، فَمِنْ هُنَاكَ وَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ ، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.).

ويردّه ـ على طريقتهم ـ :

أنه لم ترو هذه الرواية الصحاح .

ولو سلمنا بهذه الرواية فسنقع بعدّة أمور عظيمة :

هل القران مبني على الظن ياشيخ ، وعلى ظن أحدٍ من الصحابة حتى لو كان عثمان ؟ .

وأنت بنفسك ترفض ثبوت القران بالظن ، في عدة مواضع من كتابك .

وهل ترتيب القران كان باجتهاد عثمان نفسه ، لا من فعل رسول الله ﷺ ؟.

وهل مات رسول الله ﷺ والقران لم يُرَتَّبْ بعدُ ؟.

فما هذا التناقض ، والإرتباك ؟.

ومع هذا كله ، يقول صاحب التحرير (وَعَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مُخْتَلَفٌ فِي كَوْنِهَا آيَةً مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ غَيْرِ بَرَاءَةَ ، أَوْ آيَةً مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ فَقَطْ ، أَوْ لَيْسَتْ بِآيَةٍ مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ مِنَ السُّوَرِ ، فَإِنَّ الْقُرَّاءَ اتَّفَقُوا عَلَى قِرَاءَةِ الْبَسْمَلَةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي قِرَاءَةِ سُورَةٍ مِنْ أَوَّلِهَا غَيْرِ بَرَاءَةَ . وَرَوَوْا ذَلِكَ عَمَّنْ تَلَقَّوْا .

فَأَمَّا الَّذِينَ مِنْهُمْ يَرْوُونَ اجْتِهَادًا أَوْ تَقْلِيدًا أَنَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةٌ مَنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ غَيْرِ بَرَاءَةَ ، فَأَمْرَهُمْ ظَاهِرٌ ، وَقِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ وَاجِبَةٌ عِنْدَهُمْ لَا مَحَالَةَ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا . وَأَمَّا الَّذِينَ لَا يَرْوُونَ الْبَسْمَلَةَ آيَةً مِنْ أَوَائِلِ السُّوَرِ

كُلِّهَا، أَوْ مَا عَدَا الْفَاتِحَةَ ، فَإِنَّ قِرَاءَتَهُمُ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي قِرَاءَةِ سُورَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ بِقِرَاءَةِ سُورَةٍ قَبْلَهَا تَعَلَّلَ بِالتَّيَمُّنِ بِاقْتِفَاءِ أَثَرِ كُتَّابِ الْمُصْحَفِ ، أَيْ قَصْدَ التَّشَبُّهِ فِي مُجَرَّدِ ابْتِدَاءِ فِعْلٍ تَشْبِيهًا لِابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ بِابْتِدَاءِ الْكِتَابَةِ . فَتَكُونُ قِرَاءَتُهُمُ الْبَسْمَلَةَ أَمْرًا مُسْتَحَبًّا لِلتَّأَسِّي فِي الْقِرَاءَةِ بِمَا فَعَلَهُ الصَّحَابَةُ الْكَاتِبُونَ لِلْمُصْحَفِ ، فَقِرَاءَةُ الْبَسْمَلَةِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ نَظِيرُ النُّطْقِ بِالِاسْتِعَاذَةِ ، وَنَظِيرُ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ بَيْنَ بَعْضِ السُّوَرِ مِنْ آخِرِ الْمُفَصَّلِ ، وَلَا يُبَسْمِلُونَ فِي قِرَاءَةِ الصَّلَاةِ الْفَرِيضَةِ .

وَهَؤُلَاء إذا قرأوا فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ تَجْرِي قِرَاءَتُهُمْ عَلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ فَهْمُهُمْ مِنْ أَمْرِ الْبَسْمَلَةِ مِنِ اجْتِهَادٍ أَوْ تَقْلِيدٍ .

وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ قِرَاءَتِهِمْ قَوْلٌ لَهُمْ بِأَنَّ الْبَسْمَلَةَ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ ، كَمَا فَعَلَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» ، وَالْبَيْضَاوِيُّ .) .

وأنت ترى مافيه : فهو أثبت القراءة ، لكلِّ القراء .

وفي القراءة إجماع على قرائتها .

والقران أصله القراءة ، والكتابة مترتبة عليها .

ثم هو أقرَّ بالكتابة أيضاً .

قال صاحب نيل الأوطار : (ولا خلاف في إثباتها خطّاً في أوائل السور في المصحف ، إلا في أول سورة " التوبة " .)[1] .

فيكون في الكتابة إجماع على كتابتها ، كذلك.

ثم أخذ يُعلل بعد هذا كله .

---

١ ــ نيل الأوطار / ج٢ / ص٢١٥ .

فهل ترى أعجب من ذلك ؟

إذ ثبتت ظاهراً قرانيتها : أولاً : بالقراءة . ثانياً : بالكتابة .

فتواتران ، لا تواتر واحد ، أحدهما يشدُّ على الآخر ويقوّيه .

ثم بعد ذلك يُريد أن يلوي رأسها ، ويقول إنها ليست منه ، أو ليست من السورة .

فمن أين لك بحجيّة ظنونك هذه ؟ .

وحتى لو ثبتت هذه الظنون ، فإنها لا تقاوم الإجماع ، ولا التواتر ، فكيف بتواترين ؟.

ثالثاً : ثم هناك إجماعٌ من أنّ الرسول ، ﷺ، كان يقرأها عند أول كلِّ سورة، بل هو تواتر ، فيكون ثالثاً .

فعليه سيكون الأصل بعد هذه التواترات ، أنها مِنَ القران .

رابعاً : وخاصة أننا نستفيد من قرائة رسول الله ﷺ، في موضعها التي هي فيه ، وهو في مقام البيان ، والتبليغ كليهما ، أنها منه ، إذ لو لم تكن منه فعليه أن يبين.

فلو لم تكن قرآناً أو كانت زائدةً ، فعلى رقبته ومسؤليته يقع ذلك كله ، لأنّ عليه بيان ذلك ، وقد ترك ، وحاشا لرسول الله ﷺ ذلك ، فانتبه .

خامساً : ثم نضيف إجماعاً رابعاً ، اعترف به هو نفسه ، ولذا لم يشذ عنه ، وما هو إلا إجماع المفسرين :

قال في التحرير والتنوير (وَإِذْ قَدْ كُنَّا قَدْ تَقَلَّدْنَا مَذْهَبَ مَالِكٍ ، وَاطْمَأْنَنَّا لِمَدَارِكِهِ فِي انْتِفَاءِ كَوْنِ الْبَسْمَلَةِ آيَةً مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ لَا

نَتَعَرَّضَ لِتَفْسِيرِهَا هُنَا ، وَأَنْ نُرْجِئَهُ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّمْلِ : "إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ" ، غَيْرَ أَنَّنَا لَمَّا وَجَدْنَا مَنْ سَلَفَنَا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ كُلِّهِمْ ، لَمْ يُهْمِلُوا الْكَلَامَ عَلَى الْبَسْمَلَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، اقْتَفَيْنَا أَثَرَهُمْ ، إِذْ صَارَ ذَلِكَ مُصْطَلَحَ الْمُفَسِّرِينَ .) . إنتهى .

فانظر لقوله "المفسرين كلهم" ، و " صَارَ ذَلِكَ مُصْطَلَحَ الْمُفَسِّرِينَ " .

فهل هذا تبرير واقعي ؟ أم أنَّ هذا مفروض عليهم جميعاً من أنها آية من القران ، على الأقل من سورة الفاتحة بالذات ، من حيث يدرون أو لا يدرون ليقع اتفاقهم على تفسيرها ، ولا يشذ منهم واحد ، حتى الذي لا يرى كونها آية ، إذ له ألا يُفسرها .

وهلّا كان ذاك ، ولو لواحدٍ منهم ! ألا يُشمّ من ذلك الإجماع ، على كونها آية، إن لم يقع التواتر بهذا ، أو لم يكُ من المسلمات ؟

ولا يُمكن أن يُفسروا إلا القران ، في كتاب تفسير القران ، فإذاً هيَ من القران .

فهنا إجماعٌ رابع ، يُضاف لتلك المتواترات .

فعليه : الذي يريد إثبات كونها ليست من القران ، عليه أن يقيم الدليل القاطع ، الذي لا جدال فيه ، على ذلك ، وإلّا فقوله مردود .

والكل لم يستطع .

فالذي ذكروه كله ظنون ، مهما بلغت دلالته ، والظن لا يغني من الحق شيئاً.

التفسير الشامل

المرحلة الأولى خصائصها

أولاً : مما تنفرد فيه هذه السورة المباركة ، أنّ آية منها لها خصائص مميزة ، تنفرد بها ، وهي آية ((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) .))[1] .

خصائص آية ((بسم الله الرحمن الرحيم))

لهذه الآية المباركة كثير من الخصائص والفضائل ، منها :

١) : أنها آية من كل سورة في القران الكريم ، ما عدا سورة براءة :

(اتفق أصحابنا أنها آية من سورة الحمد ، ومن كلِّ سورة ، وأنَّ من تركها في الصلاة بطلت صلاته ، سواء كانت الصلاة فرضاً ، أو نفلاً .)[2] .

٢) : (وأنه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ، ويستحب الجهر بها فيما

---

١ _ وقد قلنا ذلك لأنّ هذه الآية المباركة يكاد يكون من المتسالم عليه عند المسلمين قاطبة أنها جزء من هذه السورة المباركة ، إلا عند قليل لا يُعتَدّ بهم ، مقابل هذا الوضوح عند الكل . ووقع الخلاف عند بعضهم من كونها آية في بقية السور ، وإن اتفق أكثر المسلمين على أنها جزء منها ، بتفصيل مذكور في طوايا الكتاب . وبما إنها كذلك ، وسورة الحمد في أول المصحف ، صار الانصراف عند ذكر البسملة ، لهذه السورة بالذات دون غيرها ، فالتفت . وإلا من أسرار بلاغة القران الكريم عندنا من أنّ كل سورة ابتدأت بهذه الآية المباركة ، لما تحتل من معانٍ مختلفة ، ولعظمتها . وسيأتي ما قد يشفي الغليل في زوايا البحث ، وحيثياته .

٢ _ الطبرسي / مجمع البيان / الفاتحة .

يخافت فيه بالقراءة ؛ وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الأمة .)[١] .

محمّد بن الحسن بإسناده عن الحسين بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن صفوان قال : صلّيت خلف أبي عبد الله عليه السلام أيّاماً ، فكان يقرأ في فاتحة الكتاب ، ب"بسم الله الرحمن الرحيم" ، فإذا كانت صلاة لا يجهر فيها بالقراءة ، جهر ب"بسم الله الرحمن الرحيم" ، وأخفى ما سوى ذلك .)[٢] .

٣) : أفضل آية في سورة الحمد :

ـ وبإسناده ــ أي محمد بن الحسن المذكور في الرواية السابقة ــ عن محمّد بن علي بن محبوب ، عن العبّاس ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن أبي أيّوب ، عن محمّد بن مسلم ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم ، أهي الفاتحة ؟ قال : نعم ، قلت : بسم الله الرحمن الرحيم من السبع ؟ قال : نعم ، هي أفضلهنّ .)[٣]

٤) : أنها أعظم آية في القران :

عن العيّاشي، عن سليمان الجعفري ، قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول ـ في حديث نهايته ـ (.... **فقال له رجل في المجلس : فان قرأ بسم الله الرحمن الرحيم أوجر به .**

فقال : وأيُّ آيةٍ أعظم في كتاب الله ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم .)[٤].

بل (روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية

---

١ ــ نفس المصدر .

٢ ــ العاملي / وسائل الشيعة / ج٦ / ب١١ / ر١ / ٥٧ .

٣ ــ العاملي / الوسائل / ج٦ / ب١١ / ر٢ / ص٥٧ .

٤ ــ تفسير العياشي / ج١ / ص٢١ / ح١٤ . البحار ج ١٩: ٥٩.

في كتاب الله ، فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها ، وهيَ "بسم الله الرحمن الرحيم"؟)[١] .

٥ : فيها الاسم الأعظم : أورد صاحب الوسائل روايتين على هذا :

ـ وعنه ــ أي محمد بن الحسن المذكور في الرواية رقم واحد ــ عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن حمّاد بن زيد ، عن عبد الله بن يحيى الكاهلي ، عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه قال : "بسم الله الرحمن الرحيم" أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها .)[٢] .

وعن محمّد بن الحسن ، عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن الرضا عليه السلام قال : "بسم الله الرحمن الرحيم" أقرب إلى اسم الله الأعظم (من بياض العين إلى سوادها) .)[٣] .

٦ : (عن ابن مسعود قال : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر ، فليقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" ، فإنها تسعة عشر حرفاً ، ليجعل الله كل حرف منها ، جُنَّةً من واحد منهم .)[٤] .

---

١ ــ الطبرسي / مجمع البيان / بداية تفسير الفاتحة .

٢ ــ العاملي / الوسائل / ج٦ / ب١١ / ر٣ / ص٥٧ .

٣ ــ نفس المصدر / ر١١ / ٦٠.٥٩ .

٤ ــ الطبرسي / مجمع البيان / بداية تفسير سورة الحمد .

بعض خصائص سورة الحمد ككل

تقدم منا في المقدمة ذكر بعض خصائصها ، نعيدها مع التركيز ، وخصائص أخر ، فضلاً عمّا تقدم من خصائص الآية الأولى منها ، قبل قليل :

١ : قيل إنها السورة الأولى نزولاً :

بعد أن يستعرض العلامة الطباطبائي السور ، وترتيب نزولها على ما جاء في مختلف روايات القوم ، ومصادرهم ، يقول (والذي يمكن ان يقال في هذه الاحاديث انه لا يمكن الاعتماد عليها بوجه من الوجوه ، لِأَنَّه ليس لها قيمة الاحاديث الدينية ، ولا قيمة النقول التاريخية .

أما أنها ليس لها قيمة الاحاديث الدينية ، فلأنها لم يتصل سندها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يعلم ان ابن عباس مثلا تعلم الترتيب من النبي ، أو من انسان آخر ، أو هو اجتهادي نظري .

وأما من الوجهة التاريخية ، فلأن ابن عباس مثلاً ، أدرك مدة قصيرة من حياة الرسول ، ولم يكن معه دائماً حتى يشاهد كيفية نزول كل السور والآيات ، فلو لم يكن اجتهد في هذا الترتيب ، فلابد أنه نقله من انسان آخر ، لم نعلم شخصه ، فهذا نقل تاريخي لم يذكر فيه المصدر ، فليس له قيمة في سوق التحقيق. وعلى فرض صحة هذه الأحاديث واستقامتها ، فهي من قبيل الخبر الواحد ، وقد ثبت في أصول الفقه ان الخبر الواحد غير حجة في ماعدا الفقه . فاذاً الطريقة الوحيدة لمعرفة المكي والمدني ، هو التدبّر في الآيات والنظر في مدى موافقتها لما جرى قبل الهجرة ، أو بعدها .

هذه الطريقة مفيدة إلى حد ما للتمييز بين المكي والمدني .)[1]. إنتهى .

---

١ ــ أنظر : الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي / القران في الإسلام / تعريب السيد أحمد

وآية "السبع المثاني" ، وهي آية ((((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))[١] ، التي تشير إلى هذه السورة العظيمة ، قد ثبت كونها مكية ، لِأنّ سورة "الحِجْر" ، الواردة فيها هذه الآية المباركة ، مكيّة ، والتوكيد والتحقيق ، ب"اللام" و"قد" ، يثبت ذلك ، فدقق .

والذي نعلمه أنها ملازمة للصلاة ، فالظاهر أنه في الوقت الذي شرّعت الصلاة فيه ، كانت هذه السورة المباركة نازلة .

فإذا علمنا من أنّ النبي محمد ومعه عليٌّ صلّى الله عليهما وآلهما كانا يصليان ، سبع سنين ولا أحد من الرجال يصلي معهما ، على ما جاءت به الرواية[٢] ، فسيتبين لنا من أنها نزلت في بداية البعثة .

ولعلّ ذكر الصلاة في أول الآيات النازلة على رسوله ﷺ يشهد لذلك أيضاً.

فإذا لم تكن الأولى نزولاً ، فهيَ من أوائل السّور جزماً .

٢ : لا صلاة إلَّا بها :

محمّد بن الحسن باسناده عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن الذي لا يقرأ بفاتحة الكتاب في صلاته ؟ قال : لا صلاة له إلاّ أن يقرأ بها في جهر أو إخفات ، قلت : أيّما أحبّ إليك إذا كان خائفاً أو مستعجلاً يقرأ سورة أو فاتحة الكتاب ؟ قال : فاتحة الكتاب.)[٣] .

الحسيني / الفصل الخامس / ترتيب نزول القران ، وانتشاره / ص ١٣١ . ١٣٢ .

١ _ سورة الحجر / ٨٧ .

٢ _ أنظر العلامة المجلسي/ البحار/٣٨/٢٥١،وكذلك الحاكم الحسكاني/ شواهد التنزيل /ج٢/١٨٥.

٣ _ العاملي / الوسائل / ج٦ / ص٣٧ / أبواب القراءة في الصلاة / ب١ / ح١ .

فلو تعمد الإنسان عدم قرائتها في صلاته فصلاته باطلة .

٣ : سياق هذه السورة المباركة ، جاء ليُعلمنا الله به كيفية خطابه .

فمن أولها لآخرها ، يصح للإنسان المسلم أن يتلفظ بها بسياق واحد ، وكأنه كلام من العبد لله الرحمن الرحيم ، فهي على لسان المخلوق بكلام الخالق .

ليس جريانها ، فكل القران يجري هكذا ، ولكن لسانها البيان الصحيح لموقف المخلوق من الخالق ، وليس كل سور القران كذلك ، بل بعض آياته ، ولكن على مستوى السورة الكاملة فلا تجد ذلك إلا في سورة الحمد .

٤ : ليس فيها سوى الله :

الآية الأولى : بسم الله .

الثانية : الحمد لله .

الثالثة : اختلاط أسمائه بصفاته .

الرابعة : ذكر يوم القيامة ، بطريقة لا يظهر فيها إلا الله ، فهو المالك لذلك اليوم .

الخامسة : وحتى هذه الآية التي فيها ما يُنسب إلى العبد لا يظهر فيها سوى الله ، إذ المعبود هو ألأصل والعابد تابع ، فهو المقدَّم فيها ، وإن كان في استعمال النحو العربي يُسمى الضمير هنا تابع إلا أنه متبوع لأنه المعبود المطلق ، والمستعان به الحقيقي ، وسر تقدمه واضح لا غبار عليه .

السادسة : هو فاعل الهداية ، لذلك الصراط المستقيم ، فالهداية تُطلَبُ منه.

السابعة : هو الذي أنعم على أصحاب ذلك الصراط ، الذين صفتهم وخاصيتهم أنه أنعم عليهم ، وهؤلاء صفتهم أنهم غير مغضوب عليهم ولا ضالين.

٥ : كلها تفيض رحمة ، من أولها إلى آخرها :

فأنت تبدأ برحمته ، وثم بالحمد له ، ممزوجاً ذلك كله بالثناء عليه ، وهو من جملة رحمته ، إذ لا يمكن أن يكون رباً للعالمين ، إلا أن يفيض إحساناً .

وبابتدائنا باسمه المنعوت بالرحمة تفصيلاً ، إلى صفتيه الرحمانية الرحيمية ، اللتين تذيلان ربوبيته ، من هنا سيظهر لك يوم الدين من خلال مالكه ، فتستقر نفسك له ، وتطمئنّ ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، بعد أن علمت صفات مالكه .

وحتى لو كان ملكاً فتقديم صفة الرحمة الشاملة العامة والخاصة التي لا يمكن أن تفارقه حتى إن كان بنفس السورة فهو الرحمن الرحيم دائماً فبذلك ابتدأ القارئ ، وبالرحمة وسم الله تعالى بعد تقديم الحمد له ، الذي هو مربي العالمين ، ذلك هو الملك ليوم الجزاء ، فلا يُخافُنَّ منه ، لأنه هو المربي والرحمن والرحيم ، ومن هنا صحت ملك ، ومن هنا ارتأينا تقديم قراءة مالك على ملك أيضاً ، لأنها لو كانت مالك فهي ألطف بالعبد ، لأنَّ هيبة المالك ألطف من هيبة الملك ، مع أن الهيبة ثابتة لله سبحانه بكونه مالكاً لذلك اليوم المشهود ، ومع أنه يوم الحساب والجزاء إلا أنه لم يسمه بذلك لما في تلك الكلمة من دقة ، ومحاسبة ، وخوف من الجزاء العادل للحساب ، لذا نراه عبّر بكلمة أخرى هي الدين ، ليستمر في عالم الطمأنينة ، فبدّل الحساب ، بما يدين به الإنسان ، تاركاً التعليق ، ليترك لإدراك الإنسان أن يتعقل الأمر كله بعد أن تنتهي الكلمات الفائضة بالرحمة ، وهذا ألطف بهذه الحالة ، التي هو فيها .

وبذلك يظهر لِمَ تقديم قراءة "مالك" ، وإن صحت ملك بتوجيه ، إذ يرجى من المالك ما لا يرجى من الملك ، كما سيمر عليك تفصيل بعض ذلك ، فانتظر .

وبما أنه كذلك طلبنا منه الهداية لذلك الصراط ، المنعوت بالإستقامة ، صراط الذين أنعم هو عليهم أيضاً ، فكلها نعمة بنعمة .

ثم نرى أنه حتى عندما ذكر المغضوب عليهم والضالين ، لم يذكرهم مباشرة، بل بالإشارة اللطيفة ، والنكتة الظريفة ، حيث وسم الذين أنعم عليهم، من أنهم غير مغضوب عليهم ، ولا ضالين .

فذكر هؤلاء الذين أنعم عليهم بكونهم غير أولئك ، بإسلوب فنّي عجيب، يحيّر عقول ذوي الألباب .

فكل السورة رحمة برحمة ، فسبحان الله ، سبحان الله .

والحمد لله رب العالمين ، أولاً وآخراً .

٦ : أفضل سورة على ما وردت به الرواية ، وهي مرفوعة :

قال رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري : (ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه ؟ .

قال جابر : بلى بأبي أنت وأمي ، يا رسول الله علمنيها .

فعلمه سورة الحمد لله ، أم الكتاب .....)[1] .

وروي عنه ﷺ أيضاً أنه قال : (والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في القران مثلها ، وهي أم الكتاب .)[2] .

٧ : هي أم الكتاب ، أو أم القران على ماوردت به روايات أهل البيت عليهم السلام :

معتبرة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام ، في شكوك الصلاة : وفيها : (تقرأ

---

١ ـ الوسائل / ج٦ / ٢٣٢ .

٢ ـ مستدرك الوسائل / النوري /ج٤ / ٣٣٢ .

فيهما بأم القران ، ثم تشهد وسلم .)[١] .

ومعتبرة الرهط عن الباقر والصادق عليهما السلام ، الواردة في صلاة الآيات: (أجزأه "أمّ القران" ، في أول مرة ، وإن قرأ خمس سور فمع كل سورة "أمّ الكتاب" .)[٢] .

ومعنى "أمّ" ، هو الجامع ، فهي إذن السورة الجامعة لمطالب الكتاب كله .

محمّد بن يعقوب ، عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمّد ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي أُمّ القرآن ؟ قال : إن كان لم يركع فليعد أُمّ القرآن .)[٣] .

وتسميتها بأم الكتاب ، أمر متسالم عليه في الروايات عن الأئمة الأطهار عليهم السلام .[٤]

٨ : وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (هي شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت .)[٥]

٩ : ذُكِرت وحدها إجلالاً لها ، مقابل القران الموسوم بالعظمة ، قال تعالى : ((ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقران العظيم))[٦] .

{وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِيَ وَالقُرْآنَ العَظِيم} ، باعتبار آياتها سبعة مع البسملة ، وأنّها نزلت مرّتين فهي مكّية نزلت عند وجوب الفريضة ، ومدنيّة ،

---

١ ـ العاملي / الوسائل / ج٨ / ٢١٩ .
٢ ـ العاملي / وسائل / ج٧ / ٤٩٣ .
٣ ـ العاملي / الوسائل / ج٦ / ب٢٨ / ح١ .
٤ ـ أنظر الوسائل / ج٦ / أبواب القراءة .
٥ ـ الطبرسي / مجمع البيان / تفسير سورة الحمد .
٦ ـ سورة الحجر / آية ٨٧ .

نزلت عند تحوّل القبلة من البيت المقدّس إلى الكعبة المشرّفة .[١]

فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنَّ الله تعالى قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقران العظيم ، فأفرد الإمتنان عليّ بفاتحة الكتاب ، وجعلها بإزاء القران العظيم .....)[٢] .

(وفي تفسير العياشي ، رحمه الله ، روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى : { ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم }[٣] .

قال : فاتحة الكتاب يثنّي فيها القول ....)[٤] .

١٠ : ولِعظمتها : (ذهب بعض : إلى أنها نزلت مرتين ، مرة في مكة ، واخرى في المدينة تعظيما لشأنها ، وهذا القول محتمل في نفسه وإن لم يثبت بدليل ، ولا يبعد أن يكون هو الوجه في تسميتها بالسبع المثاني ، ويحتمل أن يكون الوجه هو وجوب الاتيان بها مرتين في كل صلاة : مرة في الركعة الاولى ، ومرة في الركعة الثانية .)[٥] ، كما مرَّ عليك بالرواية السابقة .

١١ : يعبر عنها أنها من كنوز الجنة :

(في تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام :.....قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى منَّ عليَّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنة ، فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، الآية التي يقول

---

١ ـ تفسير البصائر / ١ / ١١ و ٢٥ .

٢ ـ تفسير البرهان / ج١ / ص٢٦ .

٣ ـ الحجر / ٨٧ .

٤ ـ نقلاً عن الطبرسي / مجمع البيان / في آخر تفسير السورة .

٥ ـ البيان / ص٤١٨ .

الله فيها : { وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً }[١] . ")[٢] .

١٢ : أشرف ما في كنوز العرش : روى الصدوق باسناده عن الحسن بن علي ـ العسكري ـ عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم‌السلام ، أنه قال : (بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها : بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، يقول : إن الله تعالى قال لي يا محمد :

« وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ١٥ : ٨٧ ».

فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب ، وجعلها بإزاء القرآن العظيم ، وإنَّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش .)[٣] .

١٣ : والأعجب في هذه الآية المباركة ((ولقد آتيناك سبعاً ....)) أنها ذكرت آيات هذه السورة المباركة بالعدد ، مقابل الإجمال ، في القران العظيم ، وكأنّ كلَّ آية لها مقامها الشامخ ، فانتبه .

١٤ : وورد عن الإمام الصادق عليه‌السلام : (رنَّ إبليس أربع رنات ، أولهن يوم لُعِن ، وحين هبط إلى الأرض ، وحين بُعِثَ محمد صلى الله عليه وآله ، على حين فترة من الرسل ، وحين نزلت أمُّ الكتاب)[٤] ..

١٥ : ـ محمّد بن علي بن الحسين باسناده عن الفضل بن شاذان ، عن الرضا عليه‌السلام أنّه قال : (...وإنّما بدى بالحمد دون سائر السور لأنّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد ،

---

١ ــ الأسراء: ٤٦ .

٢ ــ المصدر قبل الآية المباركة نفسه .

٣ ــ تفسير البرهان / ج١ / ٢٦ .

٤ ــ نور الثقلين / ج١ / ص٤ .

وذلك انّ قوله عزّ وجلّ : الحمد لله ، إنّما هو أداء لِما أوجب الله عزّوجلّ على خلقه من الشكر...الحديث.)[١]

١٦ : فيها اسم الله الأعظم :

وقد وردت عن العامة روايات كثيرة تفيد ذلك ، ومن الخاصة ، عن أبي عبد الله عليه السلام : (اسم الله الأعظم مقطع في أمِّ الكتاب .)[٢] .

١٧) : يبتدأ بها كتاب الله ، كتابة ، ونشرا .

١٨) : قال تعالى ((كتابٌ أُحْكِمَتْ آياته ثُمَّ فُصِّلَتْ))[٣].

ثم قال في موضع آخر : ((هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكماتٌ هنَّ أمُّ الكتاب))[٤].

وقد ثبت أنَّ "أم الكتاب" ، هي سورة الحمد .

من هنا يتبين لنا ، أنَّ القران قد أحكمت آياته في سورة الحمد ، وهاهو التفصيل في القران كله ، قد جاء بعد ذلك ، وكأنَّ ما جاء في القران هو تفصيل لما جاء في سورة الحمد .

ولعلَّ هذا أحد الإسباب التي جعلت هذه السورة :

تكون فاتحة الكتاب ، فإجمالٌ وتفصيل .

وتُقرأ لِهذا في كل صلاة ، بل لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ، لأنها تحوي القران كله .

---

١ ــ وسائل / ٦ / ٣٨ / ب١ .

٢ ــ العاملي / الوسائل / ج٦ / أبواب القراءة / الباب الأول / الحديث الخامس .

٣ ــ سورة هود / ١

٤ ــ سورة آل عمران / ٧

وأفردت مقابل القران كله في المنّة التي أشار إليها الله تعالى إليها على رسوله ﷺ في قوله تعالى :

((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))[١] .

فما أعجب هذا الأمر ، وما أدقه .

١٩) : كثرة أسمائها :

تُسمى هذه السورة المباركة بأسماء عدة ، لعلّ هذه السورة المباركة أكثر سور القران الكريم أسماءاً ، لمطالبها الكثيرة ، وفوائدها العظيمة ، منها :

فاتحة الكتاب ، أمُّ الكتاب ، سورة الحمد ، وسورة المثاني .

قال السيوطي : (قد يكون للسورة اسم واحد ، وهو كثير . وقد يكون لها اسمان فأكثر ؛ ومن ذلك : الفاتحة : وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسما ، وذلك يدل على شرفها ، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى .)[٢] . ونقله عنه الأستاذ عبد الرحمن بن محمد القماش ، في كتابه "الحاوي في تفسير القرآن الكريم"، وقد عدها كلها بعد ذلك ، فانظر هناك .[٣]

أسماؤها :

فاتحة الكتاب ، لأن الكتاب يفتتح بها .

الفاتحة ، لأنها فاتحة الكتاب ، فكانّ الألف واللام للعهد .

وأضاف ابن كثير ، في تفسيره إلى ذلك ، فقال : (يُقال لها الفاتحة ، أي :

---

١ ــ سورة الحجر / ٨٧ .

٢ ــ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / الإتقان في علوم القرآن/ ج١ / ص١٩٣ / دار الكتاب العربي / النشر ١٩٩٩م.

٣ ــ عبد الرحمن بن محمد القماش / الحاوي في تفسير القرآن الكريم / فصل : أسماء السور .

فاتحة الكتاب ، خطاً ، وبها تُفْتَتَحُ القراءة في الصلوات...) .[١]

ولكنها تفتتح بتكبيرة الإحرام ، وإلا فبالاستعاذة بعد ذلك ، وبعد ذلك القراءة ، فتمعَّن .

الحمد : لأنها تبتدا بالحمد .

أمُّ الكتاب : السبع المثاني .[٢]

وهذه أسماء قرانية لها .

((وإنه في أمِّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم))[٣].

وبما إنها تقرأ على المريض للشفاء ، لِذا كانت لها أسماء تُشير إلى هذا المعنى : الواقية ، الكافية ، الشفاء ، الشافية ، الرقية ، الدعاء ، وغير ذلك .

بعض صفاتها

قالوا إنها تضمنت :

أنواع التوحيد الثلاث : توحيد الربوبية ((ربّ العالمين)) .

وتوحيد الإلوهية في لفظ ((الله)) . ومن قوله تعالى ((إياك نعبد)) .

وتوحيد الأسماء والصفات : الحمد ، ومن ملوكيته ليوم الدين .

ونضيف : الإخلاص في العبادة ((إياك نعبد)) ، أي توحيد العبادة .

الإخلاص بالإستعانة : ((إياك نستعين)) ، أي توحيد الإخلاص .

أصول الدين .

---

١ ـ أنظر : ابن كثير في تفسيره لسورة الحمد .

٢ ـ أنظر : تسميتها بالسبع المثاني : تفسير البرهان / ج١ / ١٤١ ؛ تفسير العياشي / ج١ / ٢١.

٣ ـ الزخرف / ٤

فروع الدين .

أصول العقيدة .

الإستقامة ، أي العدالة ، ولعله جاء من قوَّمت الشئ تقويماً إذا قدّرت قيمته، ومكانته ، والأصل أنك تقيم هذه مكان هذا ، ومنه الإستقامة التي هي بمعنى:المضي على خط مستو عدل غير منحرف .

ولعله من هنا بُيِّن حالُ طريق الله به ((وإنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبِعوه))، ثمَّ أُمِرَ باتباعه .

ومن هنا وُصِفَ طريقُ الحقِّ به ، فقال تعالى : ((إهدنا الصراط المستقيم)).

وصف للصراط ٣٥ مرة .

الآية الأولى : بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة لشرح الآية الأولى :

قال تعالى أول ما قال لنبيه ﷺ في مطلع فجر دعوته المباركة : ((إقرأ باسم ربِّك الذي خلق ..))[1] .

جاء كتابه المبارك تطبيقاً عملياً لِما ذكر وأمر ، حيث ابتدأ كلَّ سور قرانه ، بهذا، لأنّ كلَّ قرانه مقروء ، وهو قد أمَرَهُ أن يقرأ باسم ربه ، فعليه بدأ كل سور قرانه باسمه .

بل لعله أنزل الحمد أوّلاً ، ثمَّ بيّن ثانياً ، ليعلمه من أنه لابد أن تذكر اسم الله قبل القراءة ، وليست هذه مختصة بسورة الحمد ، دون السور الباقية ، ولذلك صار المسلمون يعلمون بنزول السور المختلفة ببركة هذه الآية المباركة .

ولعلّ هذه النكتة تفيد أن البسملة آية من كل سورة في القران الكريم ، بحيث لا تكون ثمة قراءة لسورة إلا بها ، فتأمّل .

لأنّ كل سورة بما أنها منفصلة بنوع انفصال عن السور الباقية ، لابد وأن تبدأ بالبسملة ، تطبيقاً لهذا الأمر الإلهي اللطيف .

فأمَرَهُ آمِراً ، وَعلّمه مُعَلِّماً ، وأدّبه مؤدِّباً ، كي يكون بقوله ممتثلاً ، فابتدأ باسمه سبحانه ، فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم " .

وهكذا ، أدباً منه ﷺ حمل بقية أفعاله على القراءة ، فصار يبدأها باسمه ،

---

١ ـ سورة العلق / ١ .

ثمّ أمر أتباع دينه بأن يبدأوا أعمالهم وأفعالهم كلها كذلك .

لذا أجمعت التفاسير بوجوب أن يكون ثمة متعلق للباء محذوف ، تقديره أي فعل يناسب المقال والمحل ، والمقام والحال ، فكأنك قلت بسم الله أقرأ ، أو أتلو وهكذا .

وهذا قد يكون أوجه ممّا ذكره صاحب الميزان "قدس سره" ، في بيانه للبسملة ، بعد قوله : (الناس ربما يعملون عملا أو يبتدئون في عمل ويقرنونه باسم عزيز من أعزتهم .....) ، ثم قال (وقد جرى كلامه تعالى هذا المجرى..) .

وإن كان هذا المعنى ، موجود في تفاسير كثيرة للمسلمين ، إلّا أنه يحتاج إلى وقفة تأمّل طويلة ، توقفنا موقفاً محيراً من هذا الكلام الذي كأنه قد صدر من غير قلمه الشريف ، فهو أبعد وأعلى منه ، فانظر فيه تجد صدق ما نقول .

نعم علته الثانية ليؤدب عباده بهذا الأدب ، هو المعنى الأولى ، ولكنه ليس مأخوذاً من البشر كما قال أولاً ، لأنه معنىً جديد ، لم يكن مقصوداً منهم أصلاً ، فهو عملٌ قربويٌ خالصٌ له سبحانه ، وهو ما أدّب به عباده .

وقد جاء في النبوي (كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر)

وهكذا عملاً كان ، بدأ العظيم كتابه باسمه ، فقال مبتدِأً " بسم الله " .

والأسماء مُظهِرُها الموجودات ، فالموجود يدل على غير المشهود ، ولا يُمكن لنا معرفة أسمائه إلا به ، فهو الذي يُظهرها لنا ، وإظهارها يكون بمخلوقاته .

والموجود لا يمكن أن ينتقل من العدم ، إلى الوجود إلا برحمته ، فيكون الوجود محض الوجود مظهراً من مظاهر الرحمة ، والرحمة محصورة في أسمائه بين الرحمن والرحيم ، ولذا نُعِتَ بهما بدواً ، بعد أن ذُكِر اسماً ، فقال تعالى ((بسم الله الرحمن الرحيم)) .

فالله إذا صح أخص اسم له ، وصفته الرحمة الظاهرة بالرحمن أخص صفة له، فوافق أن يأتي أخص اسم ، لِتَصِفَهُ أخصُّ صِفة .

وهذا لو لاحظناه لوجدناه في القران مسطوراً ، قال تعالى : ((قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ...))

فالله هو الرحمن ، وإذا أتت الرحمة وحلت ، فهو الرحيم .

ومن هنا نستكشف ، لنقول من أنه ربما بدأ بهذين الاسمين الشريفين لأنهما:

١) : أصل أصول الفيض الإلهي ، ومنهما مبتدأ الرجاء ، والطمع بالخير كله، ورضوان من الله أكبر .

٢) : وكذلك ليشعرنا من أن الرحمة الإلهية هي السابقة (يامن رحمته سبقت غضبه) .

٣) : ولعل ذكر الرحمة بدواً حتى لا يستوحش الإنسان ممّا بدأ به ، ويعلم من أنه محفوف بالرحمة ، فيطمئن قلبه ، ويُقبل بجوارحه .

نبدأ بلفظ الجلالة (الله) :

وهو إما اسم علم بالغلبة ، أوهو اسم علم حقيقي مختص بالذات الإلهية .[١]

الباء : للتضمين .

لماذا سقطت ألف (بسم الله) بالكتابة ؟ :

(المسألة الثالثة : حذفوا ألف «اسم» من قوله: «بسم الله» وأثبتوه في قوله : ((إقرأ باسم ربك)) ، والفرق من وجهين : الأول : أن كلمة «باسم الله»

---

١ ــ من أراد التوسع فعليه بكتابنا (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله) لمعرفة الأقوال في لفظ الجلالة ، وخصوصياته .

مذكورة في أكثر الأوقات عند أكثر الأفعال ، فلأجل التخفيف حـذفوا الألـف ، بخلاف سائر المواضع فإن ذكرها قليل .

الثاني : قال الخليل : إنما حذفت الألف في قوله: «بسم الله» لأنها إنما دخلت بسبب أن الابتداء بالسين الساكنة غير ممكن ، فلما دخلت الباء على الاسم نابـت عن الألف فسقطت في الخط ، وإنما لم تسقط في قوله : { ٱقْرَأْ باسْـمِ رَبِّـكَ } لأن الباء لا تنوب عن الألف في هذا الموضع كما في (بسم الله) ، لأنـه يمكـن حـذف الباء من { ٱقْرَأْ باسْمِ رَبّكَ } مع بقاء المعنى صحيحاً ، فإنك لو قلـت إقـرأ اسـم ربك صح المعنى ، أما لو حـذفت البـاء مـن «بسـم الله» لم يصـح المعنـى فظهـر الفرق.)[1] .

وإنما قال بسم الله ، ولم يقل باسم ربي ، أو ما أشبه بذلك :

لأنّ الرب :

١ : معناه أنّ له الربوبية ، والربوبية معناها الملكية والمالكية ، وهـذه المعـاني كلها من صفات الفعل ، وليست من صفات الذات ، والفرق بيـنهما : أن الاولى يمكن سلبها عنه سبحانه في آنٍ من الآنات ، بينما الذاتية لايمكن سلبها عنه بتاتاً.

٢ : فهذه الصفة لأنها من صفات الفعل ، فضلاً من كونها تـدل عـلى فعـلٍ واحد ، فهو المالك وهو المربي ، ولا تشمل الأفعال الأخر ، فهي ليست بجامعة ، ولفظ الجلالة بعكس ذلك فهو حاوٍ لكل الصفات الكمالية جامع لها ، فأين تلك من هذه ؟

٣ : كما إنه قد يُقال الرب لغير الله ، فلا يصلح باسم الرب ، ولا باسم ربي ،

---

١ ــ الرازي / التفسير الكبير / نهاية السورة المباركة / النوع الثاني من مباحث هذا الباب ما يتعلق بالخط، وفيه مسائل / ما يتعلق بالبسملة قراءة وكتابة .

بينما لفظ الجلالة منحصر به سبحانه .

لذا استحسن أن يبدأ به ، لا بغيره ، فإن فيه كل هذا وزيادة .

وقال بسم الله ، ولم يقل بالله :

قالوا :

(وقال : { بسم اللهّ } ، ولم يقل باللهّ :

على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم ، وللفرق بين هذا وبين القسَم عند الآخرين ، ولأن الاسم هو المسمى عند العلماء .

ولاستصفاء القلوب من العلائق ، ولاستخلاص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان ، ليكون ورود قوله : { اللهّ } على قلب منقّى وسرٍّ مصفّى .

وقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون مِنَ الباء برَّه بأوليائه ، ومن السين سره مع أصفيائه ، ومن الميم منته على أهل ولايته ، فيعلمون أنهم ببره عرفوا سرّه ، وبمنته عليهم حفظوا أمره ، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره .

وقوم عند سماع بسم اللهّ تذكروا بالباء براءة اللهّ سبحانه وتعالى من كل سوء، وبالسين سلامته سبحانه عن كل عيب ، وبالميم مجده سبحانه بعز وصفه .

وآخرون يذكرون عند الباء بهاءه ، وعند السين سناءه ، وعند الميم ملكه...)[1] إنتهى .

ولكن أنت ترى ما في ذلك كله :

---

١ ــ الحاوي في تفسير القران / عبد الرحمن . مفتتح تفسير سورة الفاتحة (لطائف الإشارات ــ الإمام القُشيري) .

فالأول : لفظ الجلالة (الله) أولى بالتبرك به من مادة (اسم) .

والثاني : هذه علة غير كافية ومكفية ، فالمتكلم أعظم من أن يعوقه الأمر ، فليظهره بشكل آخر .

والثالث : فلماذا ترك المسمى أيها العلماء وذهب إلى الاسم ؟

والرابع : الاستصفاء والاستخلاص أولى أن يكون به ، أيها العرفاء.

أما الخامس : فالتذكر بالحروف لِما أوردوه إن لم يكن عن المعصوم عليه السلام ، فهو اختيار عشوائي ، لا خصوصية فيه ، لأنَّ هناك معانٍ مختلفة باسماء تبدأ بهذه الحروف ، مثلاً لا على سبيل الحصر : فالباء بقاؤه ، والسين سرمديته ، أو سرّه ، والميم مشيئته أو مقامه ، وهكذا .

السادس : ما سيظهر فيما سنورده الآن .

نعم ما ذكره السيد الطباطبائي صاحب الميزان أولى بالقبول من هذه الأقوال، وهو :

(أي أستعين بالله ، وإنما لم يقل "بالله" تعظيماً ، فكأنَّ الإستعانة بالاسم...).

قال صاحب الميزان رحمه الله : (((بسم الله الرحمن الرحيم)) ، أي أستعين بالله ، وإنما لم يقل "بالله" تعظيما ، فكأن الإستعانة بالاسم ، و"اللهُ" علم له سبحانه ، و"الرحمن" ، و"الرحيم" صفتان ، تدلان على كونه تعالى عين الرحمة . فلا يرهب جانبه كما يرهب جانب الطغاة والسفاكين . وتكرير الصفة للتأكيد.).إنتهى .

ولكنّا نقول ، والله أعلم : لعلّ كل ذلك كان :

أولاً : لكونه ذِكْراً ، والذكر لا يكون إلا بالاسم .

ولذا قال تعالى بعد أن قال : ((وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كل فج عميق)) ، قال : ((لِيشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ....)) .

ولم يقل ويذكروا الله ، فتنبه .

ولعلّه لأنه لا يُعرف إلّا اسمه ، فاسماؤه هي الموصلة إليه .

ثانياً : لِمكان حرف الباء :

فليس من الأدب أن يبتدأ الكلام بشئ غير الله ، لو أردت أن أبدأ به .

ولذا نرى أن الصلاة عندما تبدأ سواء ابتدأت بالأذان أو الإقامة التي هي مقدمات للصلاة ، أو بتكبيرة الإحرام التي يحرم بها ما يحرم عند الصلاة على الحقيقة ، تبدأ بلفظ الجلالة المشار به إليه ، فانتبه .

ثم الباء حرف من الحروف ، يُستعان به لإظهار معنىً في غيره .

ولا يُمكن أن أظهر ما لا يخفى ، به .

لأنه إما أن يكون المقصود الذات المقدسة ، أوالاسم الذي يدل على الذات.

و الذات لا تدركها العقول ، ولا تحوطها الاوهام ، فأي معنى بأن أبدأ بشئ مجهول عندي وإن كان عظيماً ، وأنا في مقام ذكر كلامه فهو الأصل . فلا يصح الإبتداء بهذا .

وليس من الأدب :

أولاً : أن يتقدم شئ على الذات .

ثانياً : أن أدخل حرفاً واستعين بشئ لأصل إلى ذاته ، وهو على حد قول

أمير المؤمنين عليه السلام في خطابه له : (يامن دلّ على ذاته بذاته) .

ثالثاً : وكما قلنا الباء حرف من الحروف ، يُستعان به لإظهار معنىً في غيره ، ومِن غير اللائق أن نبدأ ونستعين بشيءٍ وإنْ عَظُمَ ، لِنُظهِرَ معنىً وإنْ جلَّ ، فيمن الإستعانة التامة به ، فكيف إذا كان ذلك حرفاً ، فتأمل .

هذا كله لو قصدنا الذات .

وإذا قصدنا الاسم ، فالإشكال يرجع إن أريد به الذات .

وإذا أردنا الاسم لأنه يدل على الذات ، فلنبدأ مِن هنا ، حيث يكون ذكر الاسم أولى من الذكر المشوب بما رأيت ، فلنبدأ به ولنذكره جهراً ، فبدأ الكلام ب (بسم الله) .

رابعاً : كما أن القران كلام الله ، والكلام من جنس القول ، والذي يدل على الذات الإلهية في هذه المقولة الاسم ، فليبدأ القارئ به أولاُ .

خامساً : ونحن لا نفهم إلا الظاهر ، والظاهر من الباري صفاته ، المُجَسِدَة لها أسماؤه ، فلنبدأ بها .

ولا يمكن أن نبدأ بها جميعاً إلا باللفظ الجامع الذي هو لفظ " الله " ، الدال على كل صفاته ، فكان الابتداء به كاسم ، ولذا قال سبحانه بسم الله .

سادساً : ثم ورد في الرواية عن محمد بن سنان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال : سألته : هل كان الله عزَّ وجلّ عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق ؟

قال عليه السلام : نعم .

قلت : يراها ويسمعها ؟

قال : ما كان محتاجاً إلى ذلك ، لأنه لم يكن يسأله ، ولا يطلب منها ، هو نفسه ونفسه هو ، قدرته نافذة ، فليس يحتاج أن يُسميَ نفسه ، ولكنه اختار

لنفسه أسماءاً لِغيره يدعوه بها ، لأنه إذا لم يُدعَ باسمه لم يُعرَف ...)) .

ولعله من هنا بدأنا باسم الله ، لنصل إلى ما نصل إليه .

وهذا إذا تأملت أولى من الذي قالوه .

فإن كان مقصود السيد جعفر مرتضى العاملي حفظه الله تعالى بقوله (فلماذا هذا التركيز والاهتمام بالاسم والأسماء ؟ ونجيب بسؤال : هل نحن قادرون – بالنسبة للذات الإلهية – على استكناه حقيقة المسمى ، وتصوره ؟ بل هل نستطيع أن نتصور كنه أسمائه تعالى ، فضلاً عن المسمى ؟

الجواب : طبعاً ، لا.. إن غاية ما نتصوره هو الحد الأدنى والجانب الميسور والقريب من الاسم ، والقادر على أن يشير إلى المسمى إشارة خفيفة وبسيطة ، تكفي لأن تجعلنا نتضرع إلى الله به ، لأنه يعطينا هذا المستوى من الإدراك .

وهو سبحانه يقبل ذلك منا : لأننا غير قادرين على أكثر منه . وقد أمرنا بالابتعاد عن التعمق في التفكير في ذات الله سبحانه لأنه أمر فوق العقل .). إنتهى.

إن كان مقصوده ذلك فهو ، وإلا فهو بيان لِعدم الإحاطة ، لا لِأصل المعرفة، كما هو مذكور في الرواية .

وما أبدع قوله حينما قال : (ومن هنا نعرف السر في أنه تعالى قد أمرنا أن ندعوه بواسطة تلك الأسماء ، وأن نجعلها وسيلتنا في الدعاء ، لأننا حينما نتوجه إليه بالدعاء نكون بأمّس الحاجة إلى الإحساس والشعور به عز وجل...لا أن ندركه ونتصوره ، فان ذلك ليس هو المهم .

وتلك الأسماء توفر لنا ذلك الشعور العميق المفعم بالمعاني الحية ، والمثيرة لكوامن الإحساس به وبوجوده ، وبالحاجة إليه ، وبالضعف أمامه ، وغير ذلك من معان توحي لنا بها تلك الأسماء .

إنها تجعلنا نتفاعل معه ، ونعيش في رحابه ، وننطلق في آفاقه ، وتترك آثارها على كل وجداننا ، وعلى حياتنا العملية ، على حركتنا وموقفنا وسلوكنا مع الناس، ومع أنفسنا ، انها تحل مشاكلنا النفسية ، والروحية ، من حيث انها توحي إلينا بالمعاني التي نشعر أننا بحاجة لأن نتلمسها ونعيشها ، ونشعر أنها أدواتنا التي توصلنا إلى ما نطمح إليه ، وتحقق لنا ما نريد من دون حاجة إلى دليل عقلي أو فلسفي ، أو منطقي برهاني .) . إنتهى قوله ، قوّى الله حجته .

وهذه مع علوِّ معناها ، وسموه ، إلا أنها في الدعاء باسمائه ، لا أنها جواب على التساؤل المطروح بدواً لماذا قال بسم الله ، ولم يقل بالله ؟ فالتفت .

ثم نضيف إلى كل ما قلناه ، وهدانا الله إليه ، وله المنة ، بإسلوب آخر :

...وبما ان (حرف الجر) وظيفته أن يوصل معنى الفعل أو ما في معناه إلى المجرور ، لِقصور نفس الفعل أن يصل إليه ، كقولنا كتبت الرسالة بالقلم ، فنصبت الرسالة بالفعل (كتب) ، ووصل أثر الفعل إلى (القلم) ، ببركة الباء .

وهنا بما أن التعليق ربط الجار والمجرور على حسب المعنى :

بالفعل نفسه ، أو شبه الجملة (المصدر والمشتقات) ، أو ما يؤول بشبه الجملة وهو الجامد كما في قولك (كلامك الجميل عسل ، فهو بمنزلة قولك (حلو) وهو مشتق يشبه الفعل ؛ وليس فيه هنا قسمها الرابع (ما فيه معنى الفعل وهو أسماء الأفعال التي يصح أن تتعلق بحروف الجر) .

وكما قلنا قبل لحظات : بما ان (حرف الجر) وظيفته أن يوصل معنى الفعل أو ما في معناه إلى المجرور ، لقصور نفس الفعل أن يصل إليه ، كقولنا كتبت الرسالة بالقلم ، نصبت الرسالة بالفعل (كتب) ووصل أثر الفعل إلى (القلم) ببركة الباء .

فكأنّ الإبتداء بالحرف ، إشعار بعدم إمكان وصولي ، أو حتى أثر فعلي ، حتى لو كان الإستعانة ، إلّا به ، لأن حرف الجر وظيفته ـ ونكرر ـ وظيفته أن يوصل معنى الفعل .. إلى المجرور الذي هو "اسم الله" ، فمن الأول يظهر عجزي ، ومن الأول تظهر رحمة ربي ، بي وبالخلق ، فإنه هيّأ لهم حتى بالمفردات الحقيقية ما يستطيعون أن يصلوا به .

فبدأ بالاستعانة به ، وبدأ الكلام به بطريقٍ وأسلوب جميل أمين ، وسلس وسهل عظيم ، برحمة منه وفضل ، مِن دون المساس بعظمته .

فسبحان الله وتبارك .

ومن هنا يمكن أن نتصور ما جاء في الرواية التي احتار بها أرباب المعرفة ، والتي ذكرها العلامة الكبير السيد عبد الله شبر ، حيث قال : (ما رويناه عن المحدّث الشريف الجزائري ، في شرح العيون ، عن مولانا أمير المؤمنين ، عليه السلام ، قال: (كلُّ العلوم تندرج في الكتب الأربعة ، وعلومها في القران ، وعلوم القران في الفاتحة ، وعلوم الفاتحة في "بسم الله الرحمن الرحيم" ، وعلومها في باء "بسم الله".).

وقد ذكر هذا السيد الجليل بعد ما ذكر الرواية ، ما ذكره العلامة النيسابوري في تفسيره ، عند قوله "الرابع عشر في نكتٍ شريفة : الأولى" ، حيث قال : (كل العلوم تندرج في الكتب الأربعة[1] ، وعلومُها في القرآن ، وعلوم القرآن في الفاتحة، وعلوم الفاتحة في «بسم الله الرحمن الرحيم» ، وعلومها في الباء مِن بسم الله ، وذلك أن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب ، وهذه الباء للإلصاق ، فهو يوصل العبد إلى الرب وهو نهاية المطلب وأقصى الأمد .)[2].

---

١ ـ الظاهر أن المقصود بها : صحف إبراهيم ، والتوراة والإنجيل والزبور . أو الثلاثة الأخيرة مع صحف الأنبياء كلهم ، أو مع القران نفسه .

٢ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان / ج١ / ص٧٩ .

ثم قال السيد : (وفي رواية وأنا النقطة تحت الباء .)[١]

قيل : ولعلّ معناه أنه يميز العلوم ، ويبيّنها ، كما أن النقطة تحت الباء ، تميزها، عمّا يُشاركها في المركز من التاء والثاء والياء .

ويمكن أن يكون المراد بالنقطة ، الوحدة والبساطة ، ويكون المعنى أنه هو الفرد الذي لا يشاركه في علومه وغرائب أحواله .[٢]

وعلى ذلك يحمل ما ورد أن العلم نقطة كثَّرها الجهلاء .)[٣] . ثمّ أمّرَ بالتأمل[٤].

وكان قد قال النيشابوري بعد ما ذكرنا من قوله السابق المنقول : (وقيل : إنما وقع ابتداء كتاب الله تعالى بالباء دون الألف ، لأن الألف تطاول وترفع ، والباء انكسار وتساقط ، ومَن تواضع لله رفعه الله .)[٥].

فهذا كله يوجب التأمل فيما قاله العلامة الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره، إذ قال : (وقال قائل : إنّ سورة الفاتحة تضمّنت جميع معاني القرآن دون استثناء ، وإنّ البسملة تضمّنت جميع معاني الفاتحة ، وإنّ الباء من البسملة تضمّنت جميع معاني البسملة ، وبالتالي تكون الباء من (بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فيها معاني القرآن بكامله . وهذا القائل أشبه بمن يحاول أن يدخل الكون بأرضه وسمائه في البيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر الكون ...)[٦] .

---

١ ــ وفي الرواية تأمل لأنه لم تكن في وقت صدور الكلام الشريف ، هذه النقاط ، فالتفت .

٢ ــ وهو معنى لطيف بحدّ ذاته ، ولكنه بعيد عن نفس الكلام .

٣ ــ السيد عبد الله شبر ، ت ١٣٤٢هج. / مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار / ج١ / الحديث الرابع والثمانون "كل العلوم في باء بسم الله" / ص ٤٣٥ / منشورات مؤسسة النور / بيروت / لبنان .

٤ ــ ولعل أمره بالتأمل لِما ذكرنا .

٥ ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان / ج١ / ص٧٩ .

٦ ــ محمد جواد مغنية / التفسير .

وقد ردّه العلامة المعاصر السيد عادل العلوي بشبيهه من قوله ، حيث قال: (أليس هو القائل في وجه تسمية سورة الحمد بأُمّ الكتاب : «... ولأنّها اشتملت على أصلين : ذكر الربوبية والعبودية ، وعليهما ترتكز تعاليم القرآن » .)[1] . إنتهى.

فبناءاً على توجيه هذا السيد الجليل لذلك ، نرى بُعد الشيخ عن المطلب ودقته ، لأخذه هنا بالظواهر فقط ، دون التعمق بالفكرة كما تعمّق ورأينا صحته فيما نقله عن سورة الحمد وتسميتها بأمِّ الكتاب .

ثم إنه ورد في كتاب معاني الأخبار للشيخ الجليل الشيخ الصدوق قدس الله نفسه الزكيّة :

(في معنى بسم الله) :

حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ـ رضي‌الله‌عنه ـ قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد مولى بني هاشم ، عن علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه قال : سألت الرضا علي بن موسى عليه‌السلام عن « بسم الله » فقال : معنى قول القائل : « بسم الله » أي أَسِمُ على نفسي سِمَةً مِن سِمات الله عزوجل ، وهي العبادة .

قال : فقلت له : ما السِّمَةُ ؟ قال : هي العلامة .)[2]. إنتهى .

فهذا القول منه عليه‌السلام ، يبين لنا ، أنّ الذي يذكر التسمية ، هو مؤمن، إذ لولا ذلك لَمَا ذكرها ، لأنّه كما قال عليه‌السلام إنّه يسم نفسه بالعبادة ، فلولا كونه عبداً لَمَا أقرَّ بذلك ، وصرّح به ، فهذا المعنى يمكن أن يكون شرحاً لِحال الذاكر ، خاصة والجواب ابتدأ " معنى قول القائل " ، لا معنى الجملة بحدِّ ذاتها فانتبه .

---

١ ـ العلوي / ص٥٥ .

٢ـ معاني الأخبار: ٣ ح ١.// عيون أخبار الرضا (عليه‌السلام) : ١/٢٦٠ ح ١٩. عنهما : البحار: ٨٩/٢٣٠ ح ٩.

حكم البسملة

قيل : (قرّاء المدينة ، والبصرة والشأم ، وفقهاؤها على أنّ التسمية ليست بآية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السور ، وإنما كتبت للفصل ، والتبرك بالابتداء بها، كما بُدىء بِذكرها في كل أمر ذي بال .

وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه ، ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة .

وقرّاء مكة ، والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ، ومن كل سورة ، وعليه الشافعي وأصحابه ، ولذلك يجهرون بها .

وقالوا : قد أثبتها السلف في المصحف ، مع توصيتهم بتجريد القرآن ؛ ولذلك لم يثبتوا { آمِينٌ } ، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها .

وعن ابن عباس : « من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى . ».)).

وزيد على هذا فقيل : (والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى، والوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين.)

الآية الثانية : الحمد لله رب العامين

المعنى اللغوي للحمد

قالوا في اللغة :

(الحَمْدُ) : معناهُ الشُّكْرُ والرّضى والجَزاءُ وقَضاءُ الحَقِّ . القاموس المحيط .

مادته (ح م د) .

والحاء والميم والدال كلمةٌ واحدة وأصلٌ واحد يدلّ على خلاف الذمّ . أنظر مقابيس اللغة .

وقد يأتي فعل هذه المادة لازماً أو متعدياً :

فتقول :

أَحْمَدَ فلانٌ : بمعنى صارَ أمْرُهُ إلى الحمدِ ، أو فَعَلَ ما يُحْمَدُ عليه .

وتقول :

أحمد فلاناً بمعنى رَضِيَ فِعْلَهُ ومَذْهَبَهُ ولم يَنْشُرْه للناسِ ووجدَهُ مُسْتَحِقًّا لِلْحَمْدِ .

كما تقول أحمدَ الأرْضَ أي صادَفَها حَميدَةً ، وأحمد أمْرَهُ أي صارَ عندَهُ مَحْموداً.

وأحمد إليك اللهَ أَي أشكره عندَك .

والْحَمِيد الْمَحْمُود وَالْحَامِد .

أنظر قواميس اللغة ، منها :القاموس المحيط ، لسان العرب / مادة ح م د .

وقال أستاذنا السيد الخوئي ((وهو لا يكون إلا على الفعل الاختياري الحسن ، سواء أكان إحسانا للحامد أم لم يكن ، والشكر مقابل الكفران ، وهو لا يكون إلا للإنعام والإحسان ، والمدح يقابل الذم ، ولا يعتبر أن يكون على الفعل الاختياري فضلا عن كونه إحسانا .))[1].

ومِن تتبع مواقِعِ استعْمالِ أَهْلِ اللُّغَةِ لَهذه المادة يظهر أنّ الحمد كما كنا قد ذكرنا في كتابنا "الصلاة..." :

١) : هُوَ الثنَاءُ مع الرضَى بشهادة موارِد استعْمَاله ، أي أن الحمد هُوَ الثَّنَاءُ مَعَ الرضى بفعلِ المحمود .

وهذا هو الفارق بينه وبين الثناء مطلقاً ، إذ أن الثناء هو الْمَدْح مُطْلَقًا ، أَيْ مَعَ الرِّضَى وَبِدُونِهِ .

٢) : يُشْتَرَطُ فِي الْحَمْدِ صُدُوره عَنْ عِلْمٍ ، لا عَنْ ظَنّ ، وَكَوْن الصِّفَات الْمَحْمُودَة صِفَاتَ كَمَالٍ .

وَالْمدح قَد يكونُ عن ظن ، وبصفة مستحْسَنَةٍ وإن كان فِيهَا نَقْصٌ مَا .

٣) : والحمد مختص بالحي ، فلا يصح حمد من لا شعور له ، وبهذا يفرق عن المدح أيضاً فالمدح يمكن أن يكون للحي ولغيره ، كمدحنا للمدن الجميلة والمعادن الثمينة .

٤) : والحمد يقدّم لمن له فضيلة من الفضائل معينة قد أنعم بها عليك أو على غيرك أو على الكل أي يقدم له لإحسانه ، وأما المدح فهو عبارة عن بيان الصفة الممتازة في الشئ سواء أكانت تلك الصفة جاءته بالإختيار وبدونه .

يقال : حمدت فلانا أو مدحته لكرمه ، و يقال : مدحت اللؤلؤ على صفائه ؛

---

١ ـ السيد الخوئي / البيان / في تفسير سورة الحمد .

ولا يقال : حمدته على صفائه .

٥) : والحمد إنما يكون بعد الاحسان ، وبهذا يفرق عن المدح كذلك إذ يكون المدح قبل الاحسان أو بعده ، و لذا كان المدح أعم منه .

٦) :. ولذا فالحمد مأمور به مطلقاً ، وأما المدح فقد يكون منهيا عنه .

هذا ومع هذه الفروق الكثيرة بين الحمد والمدح فالعجيب أنّ مثل الزمخشري لم يفرق بينهما ، إذ قال في الكشاف : " الحمد والمدح أخوان " أي هما بمعنى واحد.

٧) : وعرِّف الحمد بأنه هُوَ الْوصْف بالجمِيلِ علَى الْجَمِيلِ الِاخْتِيَارِيِّ على قصدِ التعْظِيمِ ، وبهذا يفرق عن الشكر إذ الشّكْرِ أَعَمُّ .[١]

وهو الجهة الثامنة ، التي سيأتي الحديث حولها قريباً .

وقالوا : يظهر الفارق بالنقيض إذ نقِيض الحمد الذمّ ، ونَقِيض الشُّكْر الكفْر.[٢]

وأحسب أنهم يريدون من النقيض هنا الضد ، لأن نقيض كل شئ عدمه ، وعدم الحمد لا يفيد بالضرورة الذم ، نعم يمكن أن يكون نقيض الشكر الكفر .

والحق أن ضد الذم هو المدح لا الحمد .

ويظهر من بعضهم أن ضد الحمد ليس الذم بل هو اللّوم .[٣]

وبه يتحقق الفارق ، فتأمل .

---

١ _ أبوهلال العسكري / الفروق اللغوية / ١ / ٢٠٣ .

٢ _ المصدر نفسه .

٣ _ أنظر : السيد الخوئي / البيان / في تفسير سورة الحمد ..

٨) : و أخيراً فالحمد هو الثناء باللسان على الجميل ، سواء تعلق بالفضائل كالعلم ، أم بالفواضل كالبر ، ومن هنا يفرق عن الشكر ، إذ الشكرفعل ينبئ عن تعظيم المنعم لأجل النعمة ، سواء أكان قولاً أو عملاً أو اعتقادا .

هكذا فرّق جماعةٌ بينهما منهم الزّمخشري ، والتّفتازاني ، والبيضاوي وغيرهم.

أقول : إلاّ أن تخصيص مورد الحمد باللّسان مشكل بعد قوله سبحانه :

((وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِه وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ))

اللّهمّ إلاّ أن يراد باللّسان الأعم من لسان الحال و لسان المقال ، بعنوان عموم المجاز ، أو يُقال من أن هذا تسبيح وليس حمداً ، وإن كان هذا التسبيح ينبئ عن الحمد ، أو هو لسان الحمد فيرجع إلى ما قلناه أولاً .

ومن هنا قالوا بأن الحمد أعم مطلقا ، لانه يعم النعمة وغيرها ، وأخص مورداً إذ هو باللسان فقط ، والشكر بالعكس ، إذ متعلقه النعمة فقط ومورده أعم من اللسان . وبهذا يظهر لك وجه قول الأصفهاني : (والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة ، فكل شكر حمد ، وليس كل حمد شكراً.) .

فبين الحمد والشكرعموم وخصوص من وجه ، فهما يتصادقان في الثناء باللسان على الإحسان ، ويتفارقان في صدق الحمد فقط على النعت بالعلم مثلا، وصدق الشكر فقط على المحبة بالجنان لأجل الإحسان ، أو على العمل جزاءاً على النعمة دون اللسان .[1]

---

١ ــ أنظر : لسان العرب ، القاموس المحيط : مادة حمد / ومعجم الفروق اللغوية / ابو هلال العسكري و نور الدين الجزائري .

معنى الحمد ومغزاه وبُعده

(قال تعالى : « الذي أحسن كل شيء خلقه » السجدة – ٧.

فكل شئ مخلوق لله .

وكل شئ قد أُحسِن خلقُه .

فهو محمود على كل شئ .

وقال تعالى : « الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى »[١].

(فقد بان أنه تعالى محمود على جميل أسمائه ، ومحمود على جميل أفعاله ، وأنه ما من حمد يحمده حامد لأمر محمود إلا كان لله سبحانه حقيقة لأن الجميل الذي يتعلق به الحمد منه سبحانه، فلله سبحانه جنس الحمد ، وله سبحانه كل حمد .)[٢].

وقد ذكر السيد الخوئي أن طبيعة الحمد وجنسه يختص به تعالى ، وذلك لأنه خالق الخلق ، فإحسانه بخلق الخلق ، فالكل محتاج إليه وهو الكامل المطلق الذي لا نقص فيه من جهة أبدا ، وبما أنه قال تعالى" قل كلٌّ يعمل على شاكلته ". ففعله كمال مطلق ، وبما أن الوجود كله يرجع إليه وبسببه حتى ما كان صادراً عن المخلوقين باختيارهم ، فهي وإن كانت إختيارية إلا أنها منتهية إلى الله سبحانه ، فإنه الموفق للصواب ، والهادي إلى الرشاد ، ولذا ورد : " إن الله أولى بحسنات العبد منه "[٣] .

---

١ ــ سورة طه / الآية ٨ .

٢ ــ الطباطبائي / الميزان / في تفسير سورة الحمد .

٣ ــ الوافي / باب الخير والقدر / ج١ / ص١١٩ .

فإذاً أفعال الخير كلها ترجع إليه.

والأمر الثالث : إن أفعاله سبحانه لا ترجع بنفع إليه بل هي إحسان محض إلى الغير .

والفعل الحسن الصادر من غيره فهو وإن كان بعض مصاديقه إحساناً إلى أحد ، إلا أنه في النهاية يرجع النفع إلى فاعل الإحسان نفسه ، ولذا قال الله تعالى: " إنْ أحسنتمْ أحسنتمْ لأنفسكم ".

فالإحسان المحض إنّما هو فعل الله تعالى لا غير ، فهو المستحق للحمد دون غيره .)[1] .

فمن حمد الله عرف الله . فَمَن عرف حمد ، وهو مسبح حتى لو لم يكن هناك من لفظ ، وأما غيره فيجب عليه أن يقرن التسبيح مع الحمد .

وبذا إنجلى بعض سر الذكر في الركوع والسجود ، فتأمّل .)[2] .

---

١ _أنظر السيد الخوئي / البيان في تفسير القران / ص ٤٥٦ .

٢ _ المؤلف / الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وأثرها في النشأتين / بتصرف غير مخل.

لماذا جاء الحمد بهذه الصيغة دون (أحمد الله) ، أي لماذا جاءت الجملة اسمية ، ولم تكن فعليّة ؟! ثمّ لمَ لمْ يتقدّم الجار والمجرور فيها ؟ ولم علَّقه بلفظ الجلالة ، ولم يأت بصفة تدلّ عليه ؟

قال الفخر الرازي في تفسيره : (الفائدة الثانية : أنه تعالى لم يقل : أحمد الله ، ولكن قال : الحمد لله : وهذه العبارة الثانية أولى ، لوجوه :

أحدها : أنه لو قال : أحمد الله ، أفاد ذلك كون ذلك القائل قادرا على حمده ، أما لما قال : الحمد لله ، فقد أفاد ذلك أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين ، فهؤلاء سواء حمدوا أو لم يحمدوا ، وسواء شكروا أو لم يشكروا، فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم .

وثانيها : أن قولنا الحمد لله ، معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه ، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد ، فقولنا : الحمد لله معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ، ولو قال : أحمد الله ، لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد لذاته ، ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقا للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصا واحدا حمده .

وثالثها : أنه لو قال : أحمد الله لكان قد حمد ، لكن لا حمدا يليق به ، وأما إذا قال : الحمد لله ، فكأنه قال : من أنا حتى أحمده ؟ لكنه محمود بجميع حمد الحامدين ، مثاله ما لو سئلت : هل لفلان عليك نعمة ؟ فإن قلت : نعم ، فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ، ولو قلت في الجواب : بل نعمه على كل الخلائق ، فقد حمدته بأكمل المحامد .

ورابعها : أن الحمد عبارة عن صفة القلب ، وهي اعتقاد كون ذلك

المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والإجلال ، فإذا تلفظ الإنسان بقوله : أحمد الله مع أنه كان قلبه غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا ؛ لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامدا مع أنه ليس كذلك ، أما إذا قال : الحمد لله ، سواء كان غافلا أو مستحضرا لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقا ؛ لأن معناه أن الحمد حق لله وملكه ، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلا بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن ، فثبت أن قوله "الحمد لله" ، أولى من قوله : أحمد الله . ونظيره قولنا : لا إله إلا الله ، فإنه لا يدخله التكذيب ، بخلاف قولنا : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ لأنه قد يكون كاذباً في قوله : أشهد ؛ ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين : " والله يشهد إنّ المنافقين لَكاذِبون "[١] .

ولهذا السر أمر في الأذان بقوله : أشهد ، ثم وقع الختم على قوله : لا إله إلا الله .

الفائدة الثالثة : اللام في قوله : الحمد لله يحتمل وجوها كثيرة :

أحدها : الاختصاص اللائق كقولك : الجل للفرس .

وثانيها : الملك كقولك : الدار لزيد .

وثالثها : القدرة والاستيلاء ، كقولك : البلد للسلطان .

واللام في قولك : الحمد لله يحتمل هذه الوجوه الثلاثة ، فإن حملته على الاختصاص اللائق فمن المعلوم أنه لا يليق الحمد إلا به لغاية جلاله وكثرة فضله وإحسانه .

وإن حملته على الملك فمعلوم أنه تعالى مالك للكل ، فوجب أن يملك منهم كونهم مشتغلين بحمده .

---

١ ـ سورة المنافقون / الآية ١ .

وإن حملته على الاستيلاء والقدرة فالحق سبحانه وتعالى كذلك ؛ لأنه واجب لذاته ، وما سواه ممكن لذاته ، والواجب لذاته مستول على الممكن لذاته .

فالحمد لله بمعنى أن الحمد لا يليق إلا به ، وبمعنى أن الحمد ملكه وملكه ، وبمعنى أنه هو المستولي على الكل والمستعلي على الكل .)[1] . إنتهى .

ونضيف : الحمد لله ، هذه الجمل التي تتجمل بها العربية ، ما أبدعها من جمل !

فلكل جملة حال ، وقصد ، واستيعاب ، وحدود .

هناك في العربية جملة خبرية : ذهب زيد ، قام عمرو ...فأنت تخبر عن قيام زيد ، أو قعود فلان .

باع زيد داره ، بعت داري ...وهكذا .

وهناك جملة إنشائية ، مثل إيجابيات العقود : تقول بعتك هذه الدار بكذا ثمن، تقول المرأة : زوجتك نفسي ....، وهكذا ، فأنت بهذه الجملة لا تريد أن تخبر عن بيعتك ، ولا المرأة تريد أن تخبر عن زواجها .

بل تريد أن توقعه الآن ، وتجريه .

وإذا تلاحظ فهناك مشابهة ما بين جمل الإخبار ، وجمل الإنشاء .

فالحمد في هذا الإبتداء الجميل جاء بجملة خبرية ، تفيد الإنشاء ، في كل حال ، وعلى كل حال ، فهي صادقة دائماً ، على جميع أحوال المتكلم ، فما أبدعها من جملة ، وما أرقاها .

وهكذا هناك اشتراك بين الدعاء الذي هو من الإنشاء ، وبين الإخبار ، في كلام العرب . وكلها تنبيك عن هذا التناغم العجيب في جمل العرب ، الذي قد

---

١ ـ الفخر الرازي / التفسير الكبير / ج١ / ص١٧٩ ، ١٨١ .

يختار به السامع ، تكون في بعض الأحيان لها حلاوة وطراوة ، يتفنن بها البليغ ، وبهذا أيضاً تتفاوت البلاغة بين متكلم وآخر .

مثاله : رحمك الله .

وإذا أردت إظهار الإثبات لناحية بلاغية ، تستطيع ذلك بكل سهولة فتقول: قد رحمك الله ، في المثال الثاني ، أو تقول إن الحمد لله رب العالمين ، أو لله الحمد ، أو أي تركيب آخر سيفيد معنى آخر يتناغم مع مرادك وكلامك ومقامه، فانتبه .

ولهذا وردت الصيغة بهذه الطريقة ، وليست بتلك الطرق ، فتأمل .

وكذلك جاءت جملة أسمية وليست بفعلية ، وذلك للدلالة على الثبوت ، لا التغير ، أو التبدل.

والجملة الفعلية لا تخلو من زمن ، والاسمية خالية منه تصلح لكل زمن .

والفعلية لها فاعل ، والإسمية على الطريقة التركيبية التي جاءت بها ، ليس فيها فاعل تموت بموته الجملة ، فهي جملة واقعية ثابتة ، حتى لو لم يكن ثَمَّةَ متكلّم .

ولم يتقدم الجار والمجرور ، حتى لا يشتبه الأمر ، فإن تقديمه يعني حصر الحمد فيه فقط دون غيره ، أي قصره عليه ، مع إنا نرى في الخارج من يُحْمَد ، وله استحقاق للحمد ، وإن كان الحمد كله يعود إليه ،لأن كل الجمال والجلال يعود إليه ، إلا أن هذا ليس عملياً فعلاً ، لأنه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ، والحمد يستحقه مَن يستحقه ، فلا وجه للحصر ، فانتبه .

وقال الحمد لله ، ولم يقل الحمد للمربي ، أو للرحمن ، أو للرحيم : لكي يكون الحمد للذات بما هي ، لا بما هي متصفة بإحدى الصفات ، فيظن من أن الحمد كان لأجل تلك الصفة .

فنقول بعد هذه المقدمات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله :

فهنا تسمية وحمد ، قدّم التسمية عليه ، وجاء بالحمد تالياً ، لأنّ التسمية ، بها يبدأ كلّ أمر عظيم ، وبه ابتدأ الوجود كله ، فالخير كله ، ولا يمكن أن يكون إلا به ، ولأنّ الحمد من أفضل الطاعات ، وذلك لأن الحامد لا يكون حامداً إلا إذا لاحظ الجمال والجلال والإنعام للمحمود ، وأصبح حامداً لأنه راعى إحسان وإفضال المحمود ، فإذا كان كذلك ، وكان المحمود أهلاً فسيكون ذلك الحمد سبباً مهمّاً لمزيد عطائه وكريم امتنانه ، ثم رضوانه بعد ذلك ، فيكون حفظاً لما كان ، وجلباً للمزيد .

وحمد الله لنفسه كان بفعله وبقوله :

بفعله : إذ بإفاضته النعم على الممكن بعد إيجاده ، كشف عن صفات كماله ، فهيَ حمد له بنفسها .

وكما قالوا اللام في " الحمد " للجنس أو الاستغراق ، وفي لفظ الجلالة "لله" جاءت للاختصاص ، يعني أن جنس الحمد إذا كانت للجنس ، أو جميع أفراده إذا كانت للإستغراق مختص به سبحانه .

وصح ذلك لأنه تعالى مبدء كل كمال ، ومرجع كل جلال .

فإذا كان كذلك وهو كذلك ، ظهر جمال أفعاله ، والعقل يحب الجمال ، فإذاً مبدأ الحب ، وحقيقة الحب يجب أن تكون له ، فهو مركز حقيقة الحب .

فإذاً الحامد له محب له .

((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُواْ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبُّ الكافرين))[١] ...

فإذا كان محباً فقد وصل .

١ - حدثنا أبو سعيد محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر النيسابوري قال حدثنا أحمد بن العباس بن حمزة قال :حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي الكوفي قال حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ :

((أحبوا الله لِما يغدوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي .)) .

فالحامد محب والمحب متبع .

وفي رواية تالية :

٢ - حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله قال :حدثنا أبو أحمد القاسم بن بندار المعروف بأبي صالح الحذاء قال :حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي قال حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري قال :حدثنا حميد الطويل عن أنس مالك قال :جاء رجل من أهل البادية ، وكان يعجبنا ان يأتي الرجل من أهل البادية يسأل النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فحضرت الصلاة فلما قضى صلاته قال :أين السائل عن الساعة قال أنا يا رسول الله قال فما أعددت لها؟ والله ما أعددت لها

---

١ _ سورة آل عمران/ الاية ٣١ – ٣٢ .

من كثير عمل لا صلاة ولا صوم إلا اني أحب الله ورسوله فقال له النبي ﷺ ، المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الاسلام بشئ أشد من فرحهم بهذا.) .[١]

فالمحب متبع ، فإذا اتبع أمر الله بحب رسوله ، فسيتبعه ، فإذا اتبعه ، أحبه الله تعالى .

وبهذا ينقطع الكلام .

ولعله لذا كانت آخر دعواهم ((أن الحمد لله رب العالمين)) ، كما هي أول قرانه الكريم .

فهي الفاتحة ، وهي الخاتمة .

ومن هنا لعله يظهر لنا مقام الحمد جلياً .

قال الحافظ ابن حجر ، في بيان "سبحان ربيَ العظيم ، وبحمده" ، وكذلك تسبيح السجود "سبحان ربيَ الأعلى ، وبحمده" :

(قوله : وبحمده ، قيل الواو للحال ، والتقديرُ : أسبّح الله متلبسا بحمدي له ، من أجل توفيقه ، وقيل عاطفة ، والتقدير أسبح الله ، وأتلبس بحمده ، ويحتمل أن يكون الحمد مضافاً للفاعل ، والمراد من الحمد لازمُهُ ، أو ما يوجب الحمد من التوفيق ، ونحوه ، ويُحتمل ان تكون الباء متعلقة بمحذوفٍ متقدمٍ ، والتقدير : وأثنى عليه بحمده ، فيكون سبحان الله ، جملة مستقلة ، وبحمده ، جملة أخرى ، وقال الخطابي في حديث "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك" ، أي ، بقوتك التي هي نعمة ، توجب عليَّ حمدك ، سبَّحتك لا بحولي وبقوتي ، كأنّه

---

١ ـ الشيخ الصدوق / علل الشرائع / باب ١١٧ ـ العلة التي من أجلها وجبت محبة الله تبارك وتعالى، ومحبة رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم على العباد / ١٤٠ .

يريد أن ذلك مما أقيم فيه السبب ، مقام المسبب .)[١] . إنتهى .

وكتب ابن الأثير ما يشبهه ، حيث قال :

((فسبح بحمد ربك) ، الباء هاهنا للالتباس والمخالطة ، كقوله تعالى (تنبت بالدهن) ، أي مختلطة وملتبسة به ، ومعناه ، اجعل تسبيح الله مختلطاً ، وملتبساً بحمده . وقيل الباء للتعدية ، كما يقال : اذهب به ، أي خذه معك في الذهاب ، كأنه قال : سبح ربك ، مع حمدك إياه . (س) ومنه الحديث الآخر (سبحان الله وبحمده) ، أي وبحمده سبحت . وقد تكرر ذكر الباء المفردة على تقدير عامل محذوف . والله تعالى أعلم .)[٢]

وقال في موضع آخر : (وفي حديث الدعاء (سبحانك اللهم وبحمدك)، أي وبحمدك أبتدئ . وقيل بحمدك سبحت . وقد تحذف الواو وتكون الباء للتسبيب ، أو للملابسة : أي التسبيح مسبب بالحمد ، أو ملابس له . ...)[٣].

بل لو تمعنا لرأينا التسبيح ، هو حمدٌ وربما يُفهم من التسبيحة الكبرى ، في الركوع، والسجود أنهُ أساس التسبيح وأنه سر التسبيح ، لأنَّ التسبيح يكون به.

فمن لم يفهم التسبيح ، لم يحمد الله حق حمده ، ومن لم يحمد الله لا يستطيع أن يُسبح .

---

١ _ فتح الباري شرح صحيح البخاري للامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ هج.– ٨٥٢ هج.) / الثالث عشر / ٤٥٢ / درر المعرفة للطباعة والنشر للطباعة والنشر بيروت – لبنان

٢ _ أنظر : النهاية في غريب الحديث والاثر تأليف الامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الاثير الاجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هج. / خرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبدالرحمه صلاح بن محمد بن عويضة / الجزء الاول / المحتوى: حرف الهمزة – حرف الحاء / ص١٧٤ / منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت. لبنان / ط١ / ١٩٩٧م.

٣ _ المصدر نفسه / ص٤٢٠ .

لماذا ؟

لأنّ التسبيح معناه ، تنزيه الله من كل نقص .

وتنزيهه من كل نقص ، معناه هو القوي العزيز الفعّال لما يريد ، بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير وشهيد .

فمَن بيده الخير هو مصدره ، وكل خير يعود إليه ، كما وضّحنا ذلك قبل قليل ، فيجب حمده .

وهكذا .

ومَن أراد أن يثني على الله تعالى ، فالحمد مفتاحه ، وهذا ما بيّنه دعاء الإفتتاح: (اللهمّ إني أفتتح الثناء بحمدك ....) .

والحمد له مراتبه ، وحيثياته الكثيرة والمتنوعة والمتشعبة وهاك بعض جوانبه:

منها ما يوضحها القران :

لأنه الخالق : ((الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور))[١]

لأنه المتفرد بالإنعام : ((وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا))[٢]

لأنه الرب : ((فلله الحمد رب السماوات ورب الارض رب العالمين))[٣]

---

١ ـ سورة الأنعام / الآية ١ .

٢ ـ سورة الإسراء / الآية ١١١ .

٣ ـ سورة الجاثية / الآية ٣٦ .

لأنه الحي : ((هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين))[١]

لأنه الهادي : ((وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق))[٢]

لأنه هو الذي بعث ، وأرسل : ((الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا))[٣]

بعض مواطن الحمد ، توضحها السنة

وما أبدع توضيح دعاء الإفتتاح ، ففيه مفتاح معرفة أسرار الحمد ، لِكشف كثير من حيثياته ، وهو الدعاء الذي ذكره محمد بن أبي قرة باسناده فقال : حدثني أبو الغنائم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسني قال : اخبرنا أبو عمرو محمد بن محمد بن نصر السكوني رضي الله عنه ، قال : سألت أبا بكر احمد بن محمد بن عثمان البغدادي رحمه الله ان يخرج إلي أدعية شهر رمضان التي كان عمه أبو جعفر محمد بن عثمان بن السعيد العمري رضي الله عنه وأرضاه يدعو بها ، فاخرج إلي دفترا مجلدا باحمر ، فنسخت منه أدعية كثيرة وكان من جملتها :

(الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها .

الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه ، ولا منازع له في أمره ،

الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه ولا شبيه له في عظمته .

---

١ ـ سورة غافر / الآية ٦٥ .

٢ ـ سورة الأعراف / الآية ٤٣ .

٣ ـ سورة الكهف / الآية ١ .

الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده ، الظاهر بالكرم مجده ، الباسط بالجود يده ، الذي لا تنقص خزائنه (ولا تزيده كثرة العطاء الا جودا وكرما) انه هو العزيز الوهاب.....) .

إلى أن يقول (الحمد لله مالك الملك مجري الفلك ، مسخر الرياح ، فالق الإصباح ديان الدين رب العالمين ،

الحمد لله على حلمه بعد علمه ،

الحمد لله على عفوه بعد قدرته ، الحمد لله على طول أناته في غضبه وهو القادر على ما يريد . الحمد لله خالق الخلق باسط الرزق ذي الجلال والإكرام والفضل والانعام ، الذي بعد فلا يرى وقرب فشهد النجوى تبارك وتعالى .

الحمد لله الذي ليس منازع يعادله ولا شبيه يشاكله ولا ظهير يعاضده ، قهر بعزته الأعزاء وتواضع لعظمته العظماء ، فبلغ بقدرته ما يشاء .

الحمد لله الذي يجيبني حين أناديه ، ويستر علي كل عورة وانا اعصيه ، ويعظم النعمة علي فلا أجازيه ، فكم من موهبة هنيئة قد أعطاني ، وعظيمة مخوفة قد كفاني ، وبهجة مونقة قد أراني، فاثني عليه حامدا واذكره مسبحا . الحمد لله الذي لا يتهك حجابه ولا يغلق بابه ، ولا يرد سائله ولا يخيب . آمله ،

الحمد لله الذي يؤمن الخائفين وينجي الصالحين ويرفع المستضعفين ، ويضع المستكبرين ، ويهلك ملوكا ويستخلف آخرين .

والحمد لله قاصم الجبارين ، مبير الظالمين ، مدرك الهاربين ، نكال الظالمين ، صريخ المستصرخين ، موضع

حاجات الطالبين ، معتمد المؤمنين ، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها وترجف الأرض وعمارها وتموج

البحار ومن يسبح في غمارتها . الحمد لله الذي يخلق ولم يخلق ، ويرزق ولم يرزق ، ويطعم ولا يطعم ، ويميت الأحياء

ويحيي الموتى ، وهو حي لا يموت بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير.)[1].

فانظر إلى تشعبات الحمد ، وتشقيقاته ، وتفرعاته البديعة المستساغة ، المرسلة المسترسلة ، المتفرعة اليانعة ، اللطيفة الظريفة ، الحلوة العذبة ، الرقيقة الدقيقة ، الجميلة البديعة ، الوارفة المتداخلة ، المبسوطة الممتدة ، الصافية المصفاة، الناعمة الزَّكيّة ، النقية المنتقاة .....

وانظر من أين يبدأ إلى أين ينتهي ، هذا الإمام الطاهر المطهر ، الصادق المصدّق .

وانظر إلى نص آخر فزاوية أخرى من جهات الحمد الممتدة بامتداد الخلق منذ نشوئه ، حتى ما يشاء الله .

(الْحَمْدُ لله الَّذي اَدْعوُهُ فَيُجيبُني ، وَ اِنْ كُنْتَ بَطيئاً حينَ يَدْعوُني ، وَ اَلْحَمْدُ لله الَّذي اَسْأَلُهُ فَيُعْطيني ، وَاِنْ كُنْتُ بَخيلاً حينَ يَسْتَقْرِضُني ، وَ الْحَمْدُ لله الَّذي اُنَاديهِ كُلَّما شِئْتُ لِحاجَتي ، وَ اَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفيع فَيَقْضِي لي حاجَتي ، اَلْحَمْدُ لله الَّذي لا اَدْعُو غَيْرَهُ وَ لَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لي دُعائي ، وَ الْحَمْدُ لله الَّذي لا اَرْجُو غَيْرَهُ وَ لَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لاَخْلَفَ رَجائي ، وَ الْحَمْدُ لله الَّذي وَكَلَني اِلَيْهِ فَاَكْرَمَني ، وَ لَمْ يَكِلْني اِلَى النّاسِ فَيُهينُوني ، وَ الْحَمْدُ لله الَّذي تَحَبَّبَ اِلَيَّ وَ هُوَ غَنِيٌّ عَنّي ، وَ الْحَمْدُ لله الَّذي يَحْلُمُ عَنّي حَتّى كَاَنّي لا ذَنْبَ لي ،

---

١ ــ السيد ابن طاووس الحسني / إقبال الأعمال / (وتدعو بهذا الدعاء في كل ليلة من شهر رمضان) ج ١ / ص ١٣٩ .

فَرَبِّي اَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدي وَ اَحَقُّ بِحَمْدي .)[١] .

هذه الجهات كلها مطويات بهذه الآية المباركة ، الشاملة لكل فرد ، فرد من البشرية ، بل من الخليقة ، بدلالة ((ربِّ العالمين)) . العامّة الشاملة ، والخاصة المتخصصة .

الحمد : لا يكون إلا للحي العاقل .

هو ثناء مطلق غير مقيد مع التقدير والتبجيل .

أي جنس الحمد ، كله ، لا أنك تحمده ولا أنتم كمجموعة ،. تحمدونه ، بل أي حمد فهو له دون غيره .

فإذ لا يصح أن يكون ثمة فاعل للحمد هنا ، إذ لو كان لانقصر عليه ، ولا يفيد عموماً ، مع أن الحمد كله لله .

١ ـ القمي / مفاتيح الجنان / دعاء أبي حمزة الثمالي ، وهو من أدعية السحر / ص٢٣٩ ؛ الشيخ الطوسي / المصباح .

المقطع الثاني ، من الآية الثانية :

ربِّ العالمين :

هنا "عالَمِين" ، وهو جمع مذكر سالم ، وهذا الجمع لعله خاص بالعقلاء دون غيرهم ، فكيف قلنا بشموليته لبقية العوالم كما أسلفنا ؟

بما أنا ذكرنا الحمد بدواً ، والظاهر استغراقه لكل مواطن الجمال ومظاهره ، الشامل لكل أفراده ، ومن مظاهر الجمال ، والنعم كل ما في الكون ، وأحببت أن أنقل من لسان القران وقَلَّبْتُ ، فظهرتْ أغلبُها في هذه الآيات المباركة المتسلسلة، تعداداً :

((وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ))

((وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ))

((وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))

((وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))

((وَعَلَى اللهَّ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ))

((هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءاً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)) ((يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))

((وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) ((وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ))

((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))

((وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))

((وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ))

((أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ))

((وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ .))

((وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ))[1].

فالأنعام ، السماء والماء الزرع والأشجار كلها والليل والنهار والكواكب والنجوم وما ذرأ الشامل لكل ما تحويه الأرض والبحر وعوالمه ورواسي الأرض وطرقها وأنهارها .

ثم اختصر وقال ((وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)) .

فكل هذه وغيرها المشار إليها بعدم قدرتنا على إحصائها داخلة ومشمولة بالحمد .

وحتّى عالَمُ الإسْرارِ والإعلان ، داخلٌ في ذلك كلِّه ، لِأنّهُ لو لَمْ يكنْ مِن إبْداعِهِ ، لَمَا اطَّلَعَ عَليه .

ولِما ذكرناه ، وقلنا أنها تشمل جميع المصاديق دخلت كلها ، فصحَّ قولنا أنَّ المقصود بِرَبِّ العالمين ، أي ربّ العوالم كلها .

كما أن العالم ، ربما كان كالخاتم مثلاً ، لكونه ما يختم به ، أو الجامع لِما يجتمع

---

١ ـ سورة النحل / الآيات (٥ . ١٩) .

فيه ، أو ما هو جامع للناس ، فكذلك العالم ، ما يعلم به ، ومدار العلم وأوله وآخره هو الله تعالى ، لذا فهو ما يُعلم به الله تعالى ، وهو غيره من الجواهر الأعراض .

وكل جوهر وعرض ، لو اعتبرناه عالماً ، أيضاً ، وهو رب كل واحد منها ، لذا بهذا يتبين لنا ما المقصود من "رب العالمين" .

ولذا قلنا من أنَّ العالمين ، يشمل كل شئ ، العوالم المعروفة والمجهولة .[١]

ويدل عليه : ما جاء في كتاب عيون الأخبار ، (حدثنا محمد بن القاسم الاسترآبادي المفسِّر رضي الله عنه ، قال : حدثنا يوسف بن محمد بن زياد ، وعلى بن محمد بن سيار ، عن ابويهما ، عن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام ، عن أبيه ، عن جده ، عليهم السلام ، قال : جاء رجل الى الرضا عليه السلام ، فقال له : يا بن رسول الله ، اخبرني عن قول الله عز وجل (الحمد لله رب العالمين) ما تفسيره؟

فقال : لقد حدثني أبي ، عن جدّي ، عن الباقر ، عن زين العابدين ، عن أبيه،عليهم السلام ، انَّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : اخبرني عن قول الله عز وجل :

((الحمد لله رب العالمين)) ، ما تفسيره ؟

---

١ ـ فقد ورد في النبوي الذي رواه بحر العلوم السمرقندي ت٣٧٥هج. ، في تفسيره أنه قال : إنَّ لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم ، وإنّ دنياكم منها عالم واحد .كما ورد عندنا أيضاً أن هناك ألف ألف آدم ، أو ألف ألف عالم ، على اختلاف الأخبار . وهي من الأحاديث المجهولة المعنى والصعبة من حيث الكيف ، والأين..إلخ . فضلاً عن مجهولية الصدور . ولعل كل ذلك أو غيره مما هو مسطور في عالمنا ، وغير منظور ، يتجسد في قوله تعالى ((....ويخلق ما لا تعلمون)) سورة النحل / الآية ٨ .

فقال : الحمد لله ، هو ان عرَّف عبادَهُ بعضَ نعمِهِ عليهم جُمَلاً ، إذ لا يقدرون على معرفةِ جميعها بالتفصيل ، لِأنها أكثر من أن تحصى ، أو تُعْرَف ، فقال لهم : قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا ربُّ العالمين ، وهمُ الجماعاتُ مِن كلِّ مخلوقٍ مِن الجمادات ، والحيوانات . وأمّا الحيوانات ، فهو يقلبها في قدرته ، ويغذوها مِن رزقه ، ويحوطها بِكَنَفِهِ ، ويدبِّر كُلًّا منها بمصلحته .

وامّا الجمادات ، فهو يمسكها بقدرته ، ويمسك المتصل منها أن يتهافت ، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض ، إلَّا باذنه ، ويمسك الأرض أن تنخسف ، إلَّا بأمره ، إنَّه بعباده لرؤوفٌ رحيم .

وقال عليه السلام : ربُّ العالمين ، مالكهم ، وخالقهم ، وسائق أرزاقهم إليهم ، من حيث يعلمون ، ومن حيث لا يعلمون ، فالرزق مقسوم ، وهو ياتي ابنَ آدم على أيِّ سِيرةٍ سارها من الدنيا ، ليس تقوى متقٍ بِزايده ، ولا فجورُ فاجرٍ بِناقِصِهِ، وبينهُ ، وبينَهُ ستر ، وهو طالبُهُ ، فلو أن احدكم يفرُّ مِن رزقه ، لَطَلَبَهُ رزقُهُ ، كما يطلبُهُ الموتُ ، فقال الله جل جلاله ، قولوا : الحمد لله على ما أنعم به علينا ، وذكرنا به من خيرٍ ، في كتب الأولين قبل أن نكون ، ففي هذا إيجابٌ على محمَّد وآلِ محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى شيعتِهِمْ ، أن يشكروه بما فَضَّلَهُمْ ....)[1].

١ ـ الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا عليه السلام / ص٢٥٤ . ٢٥٥ .

لماذا قال تعالى "العالمين" ، ولم يقل "العوالم" ؟ :

أولاً وقبل كل شئ نقول إنّ العالمين ، متناسقة مع بقية نهاية الآيات الشريفة الباقية ، فلها الموسيقى المتناغمة معها .

ثمَّ إنّه لو قال "العوالم" لاختل المراد ، لأنها وإن كانت تشمل العاقل وغيره، لكن ليس فيها تركيز على العاقل ، بينما العاقل ، هو القارئ وهو المتلقي ، فلابد من ذكر ما يدلّ عليه ، بصورة واضحة ، وما هو إلا لفظ "العالمين" .

وَهو وإن دلَّ عليه ، فهو قد دلَّ بالقرائن على غيره .

ولكن لتفضيله ، جاء بجمعه ، فعندهم أنه إذا اجتمع العاقل وغيره ، لك أن تجمع بصيغته ، فتأمّل .

ولم يقل رب العباد ، أو العبيد :

لأنه يُشعِر حينئذٍ باختصاص ربوبيته بهم دون بقية الخلائق ، كما لا ننس من أنه سيُشعر وكأنَّ الحمد قد صدر لكونه ربّاً لهم فقط ، ويكون الأمر مقتصراً عليهم ، وسيحدث توقف في بقية العالمين .

كما أن العلة الأولى ، موجودة هنا أيضاً ، فالفواصل سيختلُّ تجانسها ، فيقلّ إيقاعها في النفوس .

الآية الثالثة: الرحمن الرحيم

وقالوا إن الفرق بين الرحمن ، والرحيم :

إن الرحمن اسم خاص لمعنى عام ، والرحيم اسم عام لمعنى خاص .

ويقصدون بذلك : أن الرحمن من الأسماء الخاصة به تعالى ، وهو كذلك ، ومعناه عام ، فبهذه الرحمة يرحم المؤمنين ، والكافرين ، أو يرحم أهل الدنيا ، وأهل الآخرة .

أما الرحيم ، فإنه يطلق حتى على البشر ، وبه يرحم المؤمنين خاصة .

وقالوا إن الرحمن يدل على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم من جهة تعلقها بالمرحوم ، فالرحمن هو الموصوف بالرحمة ، والرحيم هو الراحم برحمته أي فاعلها .[1]

الرحمن الرحيم :

أقول : كلمة رحمن ، زنتها فعلان ، وهذا الوزن يدل على الحركة ، والنشاط، والاستمرار، والتجدد كغليان ، وفوران ، ودوران ، أو يدل على التلبس للشئ بالوصف وامتلائه به ، إذا صحَّ التعبير ، ليصح قولنا في مثل صفة غضبان أو نعسان ، أو جوعان ، أو عطشان ، لأنها بعيدة عن النشاط والحركة ، وإن كان القصد مفهوم في مثل هذه المعاني ، لكي لا يشكل أحدهم ، بأنَّ النعسان صفة ليس فيها النشاط والحركة ، وإن كان فيها ذلك ، أي نشاط تلك

---

١ ـ أنظر : ابن القيم / بدائع الفوائد / ج١ / ص٢٤ .

الصفة ، وحركة تلك الصفة ، فكأنها تتحرك في داخل الشئ وتملأه ، ولكنه بما إنه سيكون بعيداً عن بعض الأذهان لذا عبَّرنا بالتعبير الثاني ، وقلنا يدل على التلبس للشئ بالوصف وامتلائه به ، وإلا فهما نفس المعنى والمراد .

ولكن يمكن للغضبان أن يسكت عنه الغضب ، ويمكن للجوعان أن يشبع ، ويمكن للعطشان أن يرتوي ، فإذاً الصفة قد تزول ، وإن كانت بلغت أوجها وتكاملها .

فلذا نحتاج ما نثبتها به ، لو كانت ثابتة ، غير مفارقة .

فالرحمن لابد أن يكون رحيماً ، ورحيم ، على زنة فعيل ، كما سيأتي زيادة بيان ، وهذا الوزن أيضاً من أوزان المبالغة ، وتدلُّ بذلك على أنَّ هذه الصفة التي هي الرحمة ، ملازمة ودائمة ، فبجمعهما ، تكون الصفة ملازمة ودائمة ، مع هذا الإمتلاء بالرحمة .

إذ أن صفة رحيم على زنة فعيل ، وهذه الصيغة تدل على الثبوت ، فلذا صحَّ قولنا عندما نقول فلان فقيه ، للشخص المتلبس بالفقة الممارس له ، المتمكن منه ، وكذا الخطيب المتمكن من الخطابة الممارس لها ، لا الشخص المبتدأ بالفقه ، أو المبتدأ بالخطابة .

أو تكون عليها الصفات الأخر كطويل وقصير ، مثلاً .

فلذا صفة الرحيم ستكون كذلك لتدل على الصفة الثابتة التي يتصف بها الباري عز وجل ، فهو رحمن ممتلأ بالرحمة ، رحيم ثابتة له الرحمة لا يمكن لها أن تزول ، أو تتأخر ، لا يمكن أن تفارقه الصفة لأنه رحمن ، وهي صفة متجددة مستمرة ، رحيم ، وهي له صفة ثابتة ، وباجتماعهما تكون الرحمة الدائمة الثابتة التي لا تتخلف أبداً ، فتأمّل .

لأنه لو كان كما قالوا أن الرحمن صفة رحمته في الدنيا ، وتشمل البر والفاجر، وصفة الرحيم صفة رحمته في الآخرة ، وهي تكون للمؤمنين خاصة ، يوم القيامة :

لَمَا صحَّ ما جاء بالآثار عنهم عليهم السلام : يارحمن الدنيا والآخرة ، ورحيمها .

وقد وجدت كثيراً من الأدعية ترد فيها هذه العبارة منها لا على سبيل الحصر :

(دعاء آخر في هذه الليلة مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها، ويا جبار الدنيا ومالك الملوك، ويا رازق العباد، هذا شهر التوبة، وهذا شهر الثواب، وهذا شهر الرجاء، وأنت السميع العليم.

أسألك.....)[1] .

وكذلك ورد في : (وهذا مقام العائذ بك من النار يا فارج الهم ويا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين...)[2] .

كما إن هذه العبارة قد وردت في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة .

وحتى عند الطرف الآخر ، قد جاءت : (عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان

---

١ ـ السيد ابن طاووس / إقبال الأعمال / ج١ / ص٢٥٦ / الباب الثامن : فيما نذكره من زيارات ودعوات في الليلة الرابعة ويومها وفيها ما نختاره من عدة روايات منها : من كتاب محمد بن أبي قرة في عمل شهر رمضان في الليلة الرابعة :... ؛ وقد نقله عنه صاحب البحار : البحار / ج٩٨ / ص٢١.

٢ ـ السيد ابن طاووس / فلاح السائل / ص١٧٩ / آخر دعاء صلاة الظهر الذي يبدأ ب ص١٧٧.

عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك قل يا معاذ : "اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير.

رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك." . رواه الطبراني في الصغير بإسناد جيد .)[١] .

فالرحمة لولا وجودها وتحققها ، وبهذا يُسمى رحيما ، لَمَا عُرِفَتْ رحمانيته .

وصحيح إنه استعمل الرحيم بما يرحم به عباده المؤمنين خاصة كقوله تعالى: ((هو الذي يصلي عليكم وملائكته لِيُخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما)) . الأحزاب / ٤٣ .

ولكن انظر مثلا لسورة النحل ، فبعد أن عدّد ما عدّد من نعم الله التي في السموات والأرض قال تعالى : ((أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (١٨) .

فهنا استعمل صفة "الرحيم" ، ولم يستعمل " الرحمن " ، مع إن هذه النعم لا تختص بالمؤمنين ، فتأمّل فيه .

وإذا دقّقنا وتتبعنا استعمال صفة الرحمن نجدها لم تُستعمل إلا بالصفة الجامعة ، أو حتى أنها تقوم مقام الاسم للباري عز وجل ، دون الرحيم ، حيث استعملت كصفة دائماً .

ولم يسمع رحمن المؤمنين ، مثلاً ، بل جاء مطلقا .

---

١ ـ صحيح الترغيب والترهيب / ج٢ / ص١٧١ / رقم الحديث ١٨٢١ ، ووسمه بالحسن .

وهكذا لو نظرنا للمخلوق فإنه مهما سلك طريق الرحمة ، ورحم مَن رحم ، فهو رحيم .

ومَن أعلى مقاماً من محمد ﷺ، في الرحمة ؟

وهو بهذا المقام منها ، قال الله تعالى في كتابه : ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)) .

ولم يستعمل القران الكريم ، هذه اللفظة لغيره ﷺ، لأنه القائل ، وقوله الحق : ((وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين)) ، ونرجع للنقطة الأولى فهنا رحمة محمد ﷺ شاملة ، ولم تكن للمؤمنين خاصة ، إلا إنه لم يكن أكثر من رؤوف رحيم ، وهي من رأفة الله ورحمته ، فهي عامة ولكنها رحيمية ، كما ظهر .

فهذا يُثبت ما يلي :

١) : أنَّ صفة رحيم يُمكن أن يتصف بها غير الله سبحانه .

٢) : لا مفهوم للوصف كما قالوا ، فإذن عندما يقول ((بالمؤمنين رؤوف رحيم)) لا تعني أنها خاصة لهم ، ولا تشمل غيرهم مطلقاً ، بل هو أمر مسكوت عنه ، لأنه ليس محله الآن ، لأنه محل بيان كرامة المؤمنين خاصة .

فيمكن أن يكون رحيماً بهم ، ولكن بدرجاتٍ مختلفة ، وأشكال متنوعة .

خاصة والخطاب لعموم الناس ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ..)) فلاحظ ((مِنْ أَنفُسِكُمْ)) ، وبعدها لاحظ ((عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم)) ، أليس ذلك من الرحمة ؟

٣) : أنَّ صفة رحيم يمكن أن تستعمل ، لا للمؤمنين خاصة ، بل هي أعم كذلك كما هي صفة الرحمن ، ولهذا وردت في مقامات عدّة صفة لله سبحانه

وتعالى ، نعم لاحظنا أنه عندما ترد فلابد من صفة ثانية ملازمة لها عندما يوصف بها الباري عزّ وجلّ . وهذا الأمر جارٍ في صفات الباري عموماً ، فانتبه .

إلا صفة الرحمن ، إذ استعملت وحدها في كثير من المواضع .

بل استعملت بدل الاسم ، وكأنه لأنَّ الرحمانية خاصة بالله سبحانه ، وبما هي كذلك صارت كالاسم له سبحانه ، كما في قوله تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) ، ((ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا))) ،

وجاء : ((ورحمتي وسعت كل شئ)) ، وبما أن العرش محيط بكل شئ فناسب ذلك هذا ، فلذا قال تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) ، وقال ((ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا)) .

والعقل القاصر يدل عليه ، لأنه لا يمكن لنا أن نقصر صفة رحيميته على صنف دون آخر ، إلا بالدليل القاطع ، والبيان الساطع ، وخاصة ما قدّمنا يدل على الشمول ، والمعنى الذي قدّمناه يصلح كبيان للمعنيين ، ولا مندوحة عنه ، والله المسدّد ، والعالم بصفاته .

ولذا سوف ترى ما في إشكال العلامة الجليل السيد العلوي أيّده الله تعالى ، حيث علّق على ما قاله العلامة مغنية رحمه الله ، حيث قال الشيخ : (وفرّق أكثر المفسّرين أو الكثير منهم بين لفظة الرحمن ولفظة الرحيم بأنّ الرحمن مشتقّ من الرحمة الشاملة للمؤمن والكافر، والرحيم من الرحمة الخاصة بالمؤمن ، وفرّعوا على ذلک أن تقول : يا رحمن الدنيا والآخرة ، وأن تقول : يا رحيم الآخرة فقط دون الدنيا... أمّا أنا فأقول : يا رحمن يا رحيم الدنيا والآخرة ((أَهُمْ يُقَسِّمُونَ رَحْمَةَ رَبِّکَ)) .)[1] . إنتهى .

---

١ ـ مغنية / تفسيره .

وقد ردَّ قوله السيد العلوي بقوله : (ولكن نقول للشيخ : إنّ القرآن يفسّر بعضه بعضه ، كما إنّ الروايات ترجمان القرآن ، وهذا التقسيم في الرحمة العامة والخاصة إنّما هو باعتبار المؤمن والكافر لاباعتبار الدنيا والآخرة ، نعم ، إنّما يرحم اللهّ عباده برحمته العامة الشاملة للمؤمن والكافر في الدنيا، فإنّ الكافر بعيد عن رحمة اللهّ وإنّ له عذاباً وبئس المصير، وأمّا المؤمن المتّقي والمحسن فإنّ رحمة اللهّ الخاصة قريب منه في الدنيا والآخرة ، فاللهّ سبحانه رحمن رحيم في الدنيا والآخرة للمؤمنين كما ورد في الدعاء الشريف : يا رحمن يا رحيم الدنيا والآخرة، كما إنّ هذا التقسيم ورد في رواياتنا أيضاً، فتأمّل .)[1] . إنتهى .

فالرحمن والرحيم يصلحان للدنيا والآخرة كما بيّن الشيخ ، والتفصيل الذي جاء به السيد من الرحمة الخاصة صحيح قد وردت به الرواية ، وهو لا يمنع من العموم للرحمة كذلك ، كما وجّهنا ذلك في كلامنا وبيناه بصورة واضحة وجلية ، فراجع .

لماذا قدّم صفة الرحمن على الرحيم ؟ أي ، لماذا قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه ؟ :

قال صاحب الكشاف : (فإن قلت: فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض؟ قلت: لَمَّا قال [الرَّحْمَنِ] فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه (الرحيم) كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف.) .

---

١ ـ العلوي / ص٥٤ .

ونقول :

١) : قال الرحمن لأن صفة الرحمة فيه على أوجهـا وفي كمالهـا ، فهـي أحـق بالتقديم ، من هذه الجهة .

٢) : ومن جهة أخرى إن صفة الرحمن صفة خاصة ، لا يمكن أن يتصـف بها غيره ، سبحانه ، والرحيم صـفة عامـة ، يمكـن أن يتصـف بهـا غـيره ، فهنـا الخاص أولى بالتقديم من العام ، لأنَّ صفته السابقة كذلك لكي يكون التـوازن ، فهو رب العالمين ، لا رب سواه ، وهو الرحمن .

٣) : صفة الرحمن تكاد تكون اسماً لله ، فليس غيره كذلك ، ولذا قلنـا مـن انها برزخ بين الاسماء والصفات ، فهي أولى بالتقديم من الصفة المحضة ، فتأمّل.

ما علة تكرار " الرحمن الرحيم " ، في سورة الحمد ؟

قال برهان الدين الكرماني صاحب كتاب "أسرار التكرار في القران" :

(أول المتشابهات ، قوله "الرحمن الرحيم" ، فيمن جعل "بسـم الله الـرحمن الرحيم" ، آية من الفاتحة ، وفي تكراره ، قولان ، قال علي بن عيسـى : إنَّـما كـرَّر للتوكيد ، وأنشد قول الشاعر

هلا سألت جموع كندة يوم ولّوا أين أينا ...

وقال قاسم بن حبيب : إنّما كرر ، لِأنَّ المعنى ، وجب الحمد لله لأنه الـرحمن الرحيم .

قلت : إنّما كرّر ، لأن الرحمة هي الإنعام على المحتاج ، وذكر في الآية الأولى المُنْعِمَ ، ولم يذكر المنعَم علـيهم ، فأعادهـا مـع ذكـرهم ، وقـال : " ربّ العـالمين الرحمن " لهم جميعاً ، ينعم عليهم ، ويرزقهم ، "الـرحيم" بـالمؤمنين خاصـة يـوم

الدين ، ينعم عليهم ويغفر لهم .)[١]

وقال العلامة الطبرسي في تبيانه : (وإنما أعاد "الرحمن والرحيم" للمبالغة .

وقال علي بن عيسى الرمّاني : في الأول ، ذَكَرَ العبودية ، فوصل ذلك بشكر النعم التي بها يستحق العبادة ، وهاهنا ذَكَرَ الحمد ، فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم ، فليس فيه تكرار .)[٢] . إنتهى .

أقول : ثمَّ إنَّ الصفة هنا جاءت لتصف الذات ، إذا صح التعبير ، وذلك لأنها جاءت بعد صفة ربوبيته للعالمين ، فهو رب العالمين ، فهي إشارة للذات الإلهية ، لا للاسماء الإلهية ، خاصة أنها جاءت بعد قولنا الحمد لله ، وبنفس الآية المباركة ، فالذات هي الرب لا الاسم ، كقولك الحمد لله ، فالحمد للذات لا للاسم ، فرب العالمين هو الرحمن الرحيم ، وأما بالبسملة فقد جاءت صفة للاسم وليس للذات ، فتأمل ، لِأنّ مرجعَهما واحد .

فليس هناك من تكرار ، كما ارتبك بعضهم وظنَّ .

ثمَّ لقد جاءت هنا "الرحمن الرحيم" ، ليرشدنا إلى :

أولاً : أن مقام الربوبية ، هو الذي يقتضي الرحمة ، كما قلنا قبل قليل .

ونقول ثانياً : هنا بيان أن الرحمة مرتبطة بالربوبية ، وهي الخالقية والرعاية التامة ، لاستمرار الخليقة المعبر عنها بالربوبية ، في قوله تعالى "رب العالمين" .

---

١ ـ محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني ،٥٠٥ هـ ، والملقب بتاج القراء / كتاب: أسرار التكرار في القرآن ، وهو نفس كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن / وقد ترجم له ياقوت في معجم الأدباء – ١٩–١٢٥ . دار الاعتصام – القاهرة / الطبعة الثانية ، ١٣٩٦/ تحقيق: عبد القادر احمد عطا .

٢ ـ الطبرسي / مجمع البيان .

بينما الرحمة المذكورة في آية البسملة ، عبارة عن الرحمة الإلهية الكلية ، المدلول عليها بلفظ الجلالة ، فحسن ذكر الرحمة هنا .

وثالثاً : بما إن مقام الربوبية تستلزم أن تُبْلِغَ المربوبَ لكماله ، تدريجياً ، لأنَّها تربيه وتتبِّع أحواله ، منذ نشوئه ، إلّا إنّ هذا لا يُشير إلى الكيفية المراعاة في ذلك كله ، مع علمنا بتعقيد كثير من أمور الكون ، وخاصة الإنسان بما هو عاقل مدرك، فجاء بالرحمن الرحيم ، لِيدلنا أن تلك التربية ، تكون مع مراعاة هذا الجانب ودخوله ، ليدلنا على أن هذا كله سيكون بالرعاية التامة ، كلٌّ بما يناسبه ، وفي مرحلته التي هو فيها ، لا تفريط ، ولا إفراط ، لا تقصير ولا قصور ، فليس ثمّة من إجبارٍ يضر ، ولا إكراهٍ يقمع ، بل كلُّ ذلك مساقٌ ومحفوف بالرحمة ، ومتواصل معها .

رابعاً : خاصّة سيأتي بصفة أخرى لِيُمَهِدَ لِمَطْلَبٍ آخرٍ مهم ، وما هو إلا الحساب ، وملكية يومه لله تعالى ، فحسن قبل ذلك أيضاً توطيداً للإطمئنان ، أن تُذكر صفة الرحمة ، كما أشرنا إلى ذلك في موضع آخر .

فإذاً المجيئ بما ظاهره التكرار ، هو لأجل هذه المعاني النفيسة والأمور الدقيقة ، فتنبّه .

فلا تكرار في البين كما ادّعى بعضهم .

الآية الرابعة : مالك يوم الدين

هل قراءة "مَالِك" أولى ، أم قراءة "مَلِك" ؟ :

ويأتي هذا الحديث بعد التسليم أنَّ كلا القرائتين واردتان .

ولم أحب أن أتطرق لهذا الموضوع لأنه غير عملي بعد ثبوت كونهما قرائتين معروفتين ، ولكن أحد الأخوة الأعزاء عرض المطلب ، وجاء بكلام لأحد الأعلام يؤيد القراءة الثانية ، ولاحظت أن هذا العلامة الجليل يحاول إثباتها بشتى الطرق ، فنظرت ، وإذا المطلب غير ما يقول بالنظر القاصر .

لأنه مطلب علمي كتبت ما يفيد دفاعاً عن القراءة الأولى ، التي أرى من أنها هي الأولى ، وسيظهر لك ما تحب ، إن شاء الله تعالى .

مع أن (صفوة القول : أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت عليهم السلام .)[1] .

ولنأت لأدلة العلامة محمد حسين الطهراني رحمه الله تعالى في نور ملكوته :

قال بعد أن قدّم بعض معان المادة المشتقة منها كلتا الكلمتين في لغة العرب: (وعلى هذا الاساس نرى أنّ مالك يضاف إلى الاشياء الخارجيّة ، فيقال : مَالِكُ الدَّارِ ، و: مَالِك الدَّابَّةِ ، و: مَالِكُ العِقَارِ .

ما يضيفون مَلِك إلى النفوس ، والاقوام ، فيقولون : مَلِكُ القَوْمِ ، و: مَلِكُ العَرَبِ ، و: مَلِكُ إليمانِيِّينَ .

---

١ ـ السيد الخوئي / البيان في تفسير القران / ص١٦٨ .

يقال : مَلِك العصر الفلانيّ ، والـزمن الفـلانيّ ، ولا يقـال : مالِـك العصر ـ الفلانيّ

وعلى هذا فإنّ من الانسب في آية مَالِكِ يَـوْمِ الـدِّينِ أن يُقـال مَلِـكِ ، لانّـه ينسب إلى يَوْم ، ولا تستحسن نسبة مالك إلى يوم ، بخـلاف نسـبة ملـك إلـى يوم.

يُقال: حاكم وسلطان وآمر ذلك إليوم ، ولا يُقال : مالك ذلك إليوم .)[١] .

بالإضافة لقوله (وَالَّذِي تَعْرِفُهُ اللُّغَـةُ وَالعُـرْفُ أَنَّ الْمُلْـكَ بِضَـمِّ المِـيمِ هُـوَ المَنْسُوبُ إِلَى الزَّمَانِ يُقَالُ: مَلِكُ العَصْرِ الفُلاَنِيّ، وَلاَ يُقَالُ: مَالِكُ العَصْرِ الفُـلاَنِيّ إلاَّ بِعِنَايَةٍ بَعِيدَةٍ.

وَقَدْ قَالَ تعالى : « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ » ، فَنَسَبَهُ إِلَى إليوْمِ .

وَقَالَ أَيْضاً : « لِمَنِ الْمُلْكُ إليوْمَ للهِّ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ »[٢] .)[٣] . إنتهى .

هذا ما استدل به .

وأضاف إليه ما استدل به استاذه العلامة السيد محمد حسـين الطباطبـائي ، صاحب الميزان ، وقوّاه بما كان يقرأ أسـتاذ أسـتاذه العـارف الكبـير السـيد عـلي القاضي رحمة الله تعالى عليهم جميعاً ، وقد ذكر قبل هذا ، وبعد ذاك بتصرف غير مخل . :

(مضافاً إلى ذلك أنّ بإمكاننا الاسـتدلال علـى أقربيّـة مَلِـكِ يَـوْمِ الـدِّينِ بثلاث جهات من القرآن الكريم :

---

١ ـ الطهراني / نور الملكوت / ج٤ / بحثٌ في قراءَتَي مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، ومالك يوم الدين .

٢ ـ سورة غافر / الآية ١٦ .

٣ ـ الطهراني / الملكوت .

الأُولى : قوله تعالى : ((لِّمَنِ الْمُلْكُ إليوْمَ للهَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ))[١] .

حيث نُسب المُلك فيه إلى إليوم ، وجُعل للهّ تعالى ، وهو تماماً بمثابة مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، لانّ الالف واللام في إليوْمِ بمعنى العهد .

الثانية : أنّ صيغة مالك قد وردت في القرآن الكريم في موضع واحد من القرآن الكريم في وصف الله تعالى:

((قُلِ اللَهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

حيث جاء مالك هنا بمعني مَلِك ، لا نّه نُسب إلى المُلك .

وفي الحقيقة فإنّ مالكَ المُلْكِ ، يمثّل القدرة والسيطرة على الحكومة والأمر، وهو مساوق للمُلك ، ومتّحد معه .

أمّا في المواضع الأُخر ، فقد ورد فيها ، تعبير مَلِك ، مثل قوله تعالى : فَتَعَـٰلَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ .

ومثل : هُوَ اللهُ الَّذِي لآ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ.

وقوله : الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

وقوله : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ

والثالثة : أنّ القرآن الكريم قد نسب المُلك ـ وليس المِلك إلى الله تعالى، كقوله تعالى :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.

وقوله: وَللهِّ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ.

---

١ ـ سورة غافر / الآية ١٦ .

وقوله: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ولم يُشاهد في أيّ موضع من القرآن الكريم أنّ المِلك قد نُسب إلى الله تعالى.

والعلّة في ذلك ـ حسب قول الزمخشريّ أنّ: المُلْك يَعُمُّ ، والمِلْك يَخُصُّ .)[1]

(قال الشوكاني : وقد اختلف العلماء أيهما أبلغ مِلك أو مالك ؟

فقيل : إن ملك أعم وأبلغ ، إذ كل مِلك مالك ، وليس كل مالك ملكا ، ولأن أمر المِلك نافذ على المالك في مُلْكِه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير المِلك قاله أبو عبيد ، والمبرد ، ورجّحه الزمخشري .)[2] . إنتهى .

أقول :

والعجيب أن كلامهم إذا دققت كلام في بحر الكلمتين مجرَّدتين .

فلاحظ قول الشوكاني ، بعد أن يبين علّة تقديم ملك على مالك ، كما سنذكر عبارته ، بعد قليل ، بعد قوله المتقدم لتقديم مالك عليه : " فالمالك أقوى من المِلك في بعض الأمور، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور" ، وكأنَّ الكلام منصب عليهما فقط ، دون تركيب الجملة التي وردت فيه هذه الكلمة ، أو تلك ، وأيّها أتم بلاغة في هذا الاستعمال ، لا على سعة المعنى وضيقه ، ودلالته وقوته بحد ذاته .

وأتصور أن الأمر فاتهم مِن هنا ، فدقِّق في كلماتهم .

---

١ ـ نفس المصدر / ج٤ / جُملةً من المطالب بعنوان تنبيهات / التنبيه الخامس / ٣٩٧ .

٢ ـ أنظر محمود النجدي / النهج الأسمى / ١/ ٩٧ .

ردُّ استدلال كلٍّ مِن العلّامتين السيد الطهراني ، وأستاذه السيد الطباطبائي في أن "ملك" ، أولى من "مالك" ، هنا في سورة الحمد :

بعد ما قدّمنا قبل أسطر قليلة ، مِن أين فات الأغلب ، العلة في هذه المسألة بالذات ، نقول :

يردّ ما استدل به كلا العلامتين رحمهما الله تعالى باختصار غير مخل أن الذي يتكلمان عنه أنه ملك أو مالك هو المحدود ، أي ملكية ومالكية الأشخاص ، لا ملكية ومالكية اللامحدود ، الكبير المتعال ، فملكية الله مطلقة ، ومالكيته كذلك ، فبين الحديثين فرق شاسع .

وهو ما ذكره الشوكاني بعد قوله الذي نقلناه قبل قليل :

(وقيل مالك أبلغ لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم ، فالمالك أبلغ في مدح الخالق من ملِك ، وملِك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك لأن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملِك ، وإذا كان الله تعالى مالكا كان ملِكاً ، واختار هذا القاضي أبو بكر بن العربي .) .

(« ثم قال الشوكاني » : الحق أن لكل واحد من الوصفين ، نوع أخصية ، لا يوجد في الآخر ، فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملِك من التصرفات بما هو مالك له ، بالبيع والهبة والعتق ونحوها ، والملِك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك ، وحياطته ورعاية مصالح الرعية ، فالمالك أقوى من الملِك في بعض الأمور ، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور ، والفرق بين الوصفين ، بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته ،

والمالك صفة لفعله .)[١] .

وأما قوله قال تعالى ((لِمَن الملك اليوم)) فسيأتي الحديث عنه .

ثم نأتي لما استدل به استاذه العلامة الطباطبائي صاحب الميزان رحمة الله عليهما ، والردود على ما استدل به :

دليله الأول : قوله تعالى : ((لِّمَنِ الْمُلْكُ إليوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ))[٢] .

ويرده : إنَّ هذه الآية المباركة في مقام إظهار جبروت الله ، وقوته ، وسطوته، وهذه لا تتم بكونه مالكاً ، بل بكونه ملكاً ، وموضع قضاء ، فلاحظ الآية التي بعدها ((اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب)) ، فهذه يناسبها الملك كما هو بين .

دليله الثاني : سنتطرق إليه ، عند ختام المطلب ، لأنه يصلح للختام .

دليله الثالث : كثرة الاستعمال القراني لوصف الله بالمَلك دون المالك ، واستشهد بآيات عدة .

وكأنّ الآيات القرانية تثبت ملكه ، ولم تتعرض لمالكيته .

وأنت ترى ما فيه ، فهذا لا يعني أنه لو أتى لفظ نشك بأنه من أي الإستعمالين ، لنا أن نرجح الأكثر استعمالاً .

وبكلمة مختصرة ، تردُّ الدليل الثالث ، والقسم الثاني من الثاني : الإستعمال الأكثر لا يصلح أن يكون دليلاً كما هو واضح ، وخاصة في الإستعمال القراني فهو دقيق جداً ، فعلينا أن نلاحظ مجموع القرائن المحيطة بالكلام ، وخاصة أن

---

١ ـ محمود النجدي / النهج الأسمى / ١ / ٩٧ .

٢ ـ سورة غافر / الآية ١٦ .

القران العظيم دقيق حتى باستعمال الحروف فضلاً عن الكلمات .

فخذ مثلاً الشهادة : الشهيد لغةً : مَن يؤدّي الشهادة ، والحاضر ، والذي لا يغيب عن علمه شئ .

والشهيد له معنى اصطلاحي شرعي معروفٌ عندنا .

والقران قد ورد فيه لفظ "الشهادة" في "٢٦" موضعاً ، وورد "الشهيد" على اختلاف صيغه في الإفراد والتثنية والجمع ، في "٥٦" موضع ، أغلبها جاء بالمعنى اللغوي ، فهل من الإنصاف لو شككنا في مورد أنها بأي المعنيين وردت أن نرجّح المعنى اللغوي بدلاً من الإصطلاحي ، لأنّ وروده أكثر ، أم علينا أن نرجع للقرائن المكتنفة بالكلمة ، والسياق أو سبب النزول ، إلى آخر ذلك من القرائن ؟

مثلاً : قوله تعالى {وَلِيَعْلَمَ الله الذين ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ والله لاَ يُحِبُّ الظالمين}[1] أو قوله تعالى : ((وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عَلَيَّ إذ لم أكن معهم شهيداً))[2]

فهل يصح أن نستند لكثرة استعمال القران في المعنى اللغوي ، لترجيحه على الإصطلاحي فيهما ؟!

فإذا قلنا أنه لا يصح ، فهنا أيضاً لا يصح أن نستند على هذا المسند ، بل نرجع للمعاني والقرائن الحافّة بالكلام ، ولعلّ الأمر سيتجلى بصورة أوضح في المناقشة التالية .

---

١ ـ سورة آل عمران / الآية ١٤٠ .

٢ ـ سورة النساء / الآية ٧٢ .

مناقشة دليله الثاني ، ومنها سيظهر الحق :

وأخيراً قال تعالى ((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير))[١].

وقد جاء "قدّس الله نفسه الطاهرة" بهذه الآية ليدل على أن مالك لم تأت إلا مرة واحدة هنا ، وهي على القدرة والسيطرة دلت ، وهي أقرب للملكية ، كما قال: (وفي الحقيقة فإنّ مالكَ المُلْكِ يمثّل القدرة والسيطرة على الحكومة والأمر، وهو مساوق للمُلك ، ومتّحد معه .) .

فإذاً ملك في ذلك كله أولى من مالك .

نقول في ردِّه : إذا كان كذلك مطلقاً فلماذا استعمله هنا ، أي في آية الملك دون ملك ، مع أنها أكثر مناسبة ، على ما وضّح قلمه الشريف ؟

نقول استعمل صيغة اسم الفاعل مالك ، بل مالك دون ملك ، ليدل على الثبات والتصرف الحق ، والعدل ، فكم من ملك جائر يتحكم في غير ما يملكه ويتصرف فيه ، لكنه هنا يريد أن يثبت القدرة والسيطرة والملكية الحقيقية ، فهو ليس ملكاً على الملوك ، بل هو مالك للأمر كله ، للسلطة كلها ، ليدل على الهيمنة الكلية ، فهو ليس ملكاً ، ولكنه مالك وملك ، يملك ذلك الملك الذي هو ملك عليه ، ويتقلب الملوك باختياره ، فهو ليس ملكاً عليهم بل هو مالك لهم ، ولشؤونهم ، فحلت مالك دون ملك .

وهنا نلاحظ "مالك الملك" ، "تؤتي الملك" ، "تنزع الملك" ، "تعز" ، "تذل" ، استعمالات عجيبة ، جاءت لتدل على الربوبية التامة .

---

١ ــ سورة آل عمران / الآية ٢٦ .

هذه الربوبية الشاملة هي التي لابدّ أن تكون في سورة الحمد ، إذ قال فيها "الحمد لله رب العالمين" ، فهذا يقتضي ليس الملك مجرداً بل هو مالك للملك جميعاً ، وحيثياته ، حتى أنه مالك للظرف الزماني الذي يقع فيه الحساب الذي يقع فيه إيتاء الملك الحقيقي ونزعه ، والعز الحقيقي ، والذل الحقيقي فتنبه ، وتأمل ، فهو حري بذلك .

وفي آية "مالك الملك " من تفريعاتها الآيةُ التي جاءت بعدها ، وفيها يظهر التصرف في الزمان ((تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ...)) ، فلاحظ ودقق .

وما أروع ما قاله الزجّاج في كتابه " تفسير أسماء الله تعالى " :

(قال أصحاب المعاني : الملك النافذ الأمر في ملكه ، إذ ليس كل مالك ينفذ أمره وتصرفه فيما يملكه ، فالملك أعم من المالك ، والله تعالى مالك المالكين ملهم، والمُلَّاك إنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى .) . إنتهى .

وهو بنفسه أي العلامة الطهراني قد قال : (مالك الملك الله تعالى ، يملك الملك يعطيه من يشاء ، وهو مالك الملوك والملاك يصرفهم تحت أمره ونهيه ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع .) .

فلماذا إذاً مَلِك ، وقد تمَّ البيان بمالك ؟ فتأمّل .

وبعد قوله تعالى : ((مالك المُلك)) فاللهُ قال ، ومَن أحسن من الله قيلاً .

مع هذا البيان الجلي ، هناك أدلة وقرائن تدل على ترجيح الأول منهما :

للاستيناس نقول : إذا كانت القراءة ثوابها على عدد الحروف ، ف"مالك" حروفه أزيد مِن "ملك" بحرف واحد ، فثوابه أكثر .

وهناك يوم القيامة ملوك كثر ولو على جهة المجاز، ولا مالك يومئذٍ إلا الله.

وقال صاحب الصِّحاح في اللغة : (والملكوت من المُلْكِ ، كالرَهَبوتِ من الرَهْبَةِ .

يُقال : له مَلَكوتُ العراق، ومَلْكُوَةُ العراق أيضاً : وهو المُلْكُ والعِزُّ ، فهو مَليكٌ ، ومَلِكٌ ومَلْكٌ ، كأنَّ المَلْكَ مخفَّفٌ من مَلكٍ ، والمَلِكَ مقصورٌ من مالِكٍ أو مَليكٍ ...)[١] .

والتام أولى من المقصور ، لأنه أتم .

وإن لم يكن ، وكانت قاعدة زيادة المعاني لزيادة المباني ، فمالك أولى .

وحتى صاحب لسان العرب الظاهر منه الميل لمالك دون ملك ، وعلله بما يلي :

١ : كل مَن يملك فهو مالك .

٢ : مالك يوم الدين ، أي يملك إقامة ذلك اليوم .

٣ : قوله : ((مالك المُلك)) أي أنه يملك الأشياء كلها .

٤ : (وأما مَلِكُ الناس ، وسيد الناس ، ورب الناس ، فإنه أَراد أَفضل مِن هؤلاء ، ولم يرد أَنه يملك هؤلاء .)[٢] .

وذكر كذلك صاحب لسان العرب في مادة "ربب" : (الرَّبُّ : هو اللهّ عزّ وجل ، هو رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه ، وله الرُّبوبيَّة على جميع الخَلْق ، لا شريك له ، وهو رَبُّ الأَرْبابِ ، ومالِكُ المُلوكِ والأَمْلاكِ .)[٣] .

---

١ _ الصحاح / مادة ملك .

٢ _ أنظر بن منظور / لسان العرب / مادة ملك .

٣ _ المصدر نفسه / مادة ربب .

فنشاهد أن صاحب لسان العرب قد عبّر ب"مالك" دون "ملك" في مقام الربوبية ، وسورة الفاتحة لها نفس المقام ، فالذوق العربي أقرب لمالك منه لملك ، فتأمل .

ثم نضيف :

١ : المَلِك يحكم الناس ، وليس من الضرورة أن يكونوا عبيداً له ، بل هم رعيّة له .

والمالك لأيّ إنسان يكون ذلك الإنسان عبداً له ، وحال العبودية بالنسبة للناس بالإضافة للربِّ أولى من حال كونهم رعية ، فانظر تجد العجب .

٢ : ومادمنا في مقام معنى الملك والمالكية ، فللإنسان أن يخرج عن ملك فلان وسلطانه ، ولكن لا يمكنه أن يخرج عن مالكيته وسلطنته إذا كان مملوكاً .

٣ : وكما نعلم ما دمنا في هذا المقام ، المَلِك يكون مسؤولاً عن رعيته ، ولكن هيمنته عليهم ضمن حدود ، فليس له الإطاعة المطلقة حتّى في شؤون المقربين ، وأما المالك فعلى عبيده الإطاعة المطلقة ، وليس لهم الإستقلال بشئ ، ولذا هنا أي في هذه السورة المباركة يكون مجئ طلب الهداية من المالك أنسب من الملك .

٤ : ثم الملك لا ترجو منه إلا أن يكون عادلاً ، والإنسان يرجو من المالك ما لا يرجوه من الملك : إذ يرجو من مالكه الأكل والشرب وحتى أبسط الأشياء فضلاً عن أعلاها ، وكلها نَكِلُها إلى رحمته ، ونحن لا نطلب أن يعاملنا الله بعدله أصلاً ، وهي المذكورة في سورة الفاتحة ، فناسب هذا هذا .

٥ : فللمالك الرحمة ، وللملك السطوة والقسوة والهيمنة ، حتى وإن صدرت في بعض الأحيان الرحمة ، فهي محدودة ، وأما رحمة المالك فواسعة

تشمل جميع التقلبات ، في جميع الأزمنة والأمكنة والأحوال ، كما ظهر من كثير ممّا بينا الآن ، وهذا أنسب للربوبية المذكورة أولاً .

٦ : ثم نقول الهيمنة والجبروت والرهبة والسلطنة والقوة والعظمة التي تظهر في المَلِك دون المالك على إطلاقهما ، هذه أيضاً هنا لا تفوت ولا تختفي ، بل تظهر بقوّة في قولنا "مالك يوم الدين " ، فهو مالك ليوم الحساب ، وفي يوم الحساب كلُّ ما ذكرنا ، كما ظهر ذلك كله في آية الملك بلا فرق ، فانتبه ، تجد التناسق العجيب .

من هذا كله نرجّح قراءة " مالك يوم الدين " ، دون " ملك " ، خلاف ما ذهب إليه الأعلام المذكورون وغيرهم ، والله أعلم بكلماته ، والحمد لله رب العالمين .

الآية الخامسة : إيّاك نعبد وإيّاك نستعين

بعض ما تحويه هذه الآية المباركة((إياك نعبد وإيّاك نستعين)) من دقّة في التأليف والتركيب :

لماذا استعمل الضمير المنفصل :

يُمكن ان تكون الجملة نعبدك ، وكذلك نستعينك ، كفعل وفاعل ومفعول، ولو كانت كذلك ، لدلّت على العبادة والإستعانة ، لا غير .

ولكن ببركة تقديم الضمير ، حصل لنا معنى إضافيٌّ ، دلّ على الحصر ، فالآية بهذا أشارت ودلت ليس على العبادة وحدها ، بل إلى العبادة ، وتمّ حصر تلك العبادة بالمعبود فقط ، فلا معبود سواه ، وهكذا الكلام والحديث حول الإستعانة.

لماذا كرر إياك ، أي لم يقل : إياك نعبد ونستعين ؟

ولا يفوتنا من أنه في مواضع أخر قد اقتصر على ذكر أحد المفعولين ، كما في قوله تعالى ((ما ودّعك ربك وما قلى)) ولم يقل وما قلاك .

وربما يظهر سر ذلك بالتأمل فيما ذكرنا ، ولكن للإطناب نقول :

وقد كرّر هنا ، لأنه لو حذف لأصبحت الجملة : إياك نعبد ونستعين ، ولو كانت كذلك لقصرت دلالتها ، لأنها إمّا أن تكون بمعنى حصر العبادة به فقط حينئذٍ ، ولكنّ الإستعانة لا يكون فيها هذا الحصر ، أي أنها قد تكون به وبغيره ، أو تفيد حصر العبادة مع الإستعانة فقط به ، لا العبادة مطلقاً ولا الإستعانة ،

وأما في حال تكرار الضمير المنفصل ، فسيظهر أن العبادة محصورة به دون غيره ، وكذلك الإستعانة .

ثمّ الإستعانة :

فِعْلُها ، يمكن أن يكون متعـديّاً بنفسـه ، أي بـلا حـرف جـرٍّ ، ويمكـن أن يتعدى بحرف الجر ، كقولك : اسـتعنت بـالقلم ، أو اسـتعنت بـه ، ويمكـن أن يكون متعدياً بنفسه كقولك : استعنته ، أو استعانه .

فلماذا لم يقل نستعين بك ، أو بك نستعين ؟

ولكن سبحان الله ، دقة اللغة العربية ، وعمقها ، يُجلي لنا معانٍ دقيقة ، بهذه التراكيب المختلفة ، إذ في حالة تعدي الفعل بحرف جر لا يدل هذا التركيـب إلّا على الإستعانة المحدودة ، أي استعان به لِأمرٍ ما ، مثلاً : استعنت بالقلم ، لكتابة الرسالة ، واستعنت بك لقضاء الحاجة الكذائية ، واستعان بالعصا لِهَشِّ غنمه .

وأما لو تعدى بنفسه ، فستكون الإستعانة شمولية .

فحينئذٍ لو قال : بك نستعين : أي نستعين بك في الجملة ، لا في كل الأمور ، بينما بقولنا إيّاك بلا حرف جـر ، يكـون المعنـى نسـتعين بـك في جميـع حالاتنـا ، وشؤوننا ، عموماً ، وإطلاقاً .

الالتفات ، وأنواعه :

عرّفوه : من أنه تحويل وجه الكلام من حالة في الكلام ، لأخرى ، وتحويل وجه الكلام من الغيبة إلى الحاضر أحد أمثالها ، إذ هناك :

الالتفات من التكلم إلى المخاطبة :

أي من المتكلم إلى المخاطب :

وبعد قوله تعالى : ((إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)) ، قال ((ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)) .

ولم يقل لنغفر لك ، أو لأغفر لك .

وكقوله تعالى ((إنّا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر))[1].

فلاحظ الباري يتكلم ، وإذا به يقول له ، ((فصلِّ لِربك ..)) ، بدل أن يقول له ، مثلاً ، "فصل لي" .

الالتفات من التكلم إلى الغيبة :

أي من المتكلم إلى الغائب :

((قل يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم)) .... إلى أن يقول ((فآمنوا بالله ورسوله))

ولم يقل فآمنوا بالله وبي .

١ــ . الكوثر / ٢.١.

الالتفات من الغيبة إلى التكلم

عكس السابق : ((ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل)) ، ثم يقول سبحانه مباشرة ، ((وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً))[١]

الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة :

كقوله تعالى : ((حتى إذا كنتم في الفلك)) فهو يخاطب ، وإذا به يتم ((وجرين بهم))[٢].

وأخيراً الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

كما في آياتنا المباركات :

((الحمد لله رب العالمين....مالك يوم الدين)) ، ثم مباشرة نقول ((إياك نعبد وإياك نستعين)) .

تحول إسلوب الكلام من الغيبة إلى المخاطبة ، مع الله تعالى .

ولا ننس من أن هناك التفات آخر ، ألحق بهذا كله وهو الإلتفات المتعلق بالإفراد والتثنية والجمع .

وهذا التحويل في الكلام له فوائد بلاغية ، تتفاوت فيه أقدار البلاغيين :

منها ، جلب انتباه المتلقي لتغير الأسلوب .

وبهذا يحرز عدم ملل المتلقي ، فربما سيشعر بالملل لو استمرت رتابة الأسلوب .

---

١ ـ سورة المائدة / الآية ١٢ .

٢ ـ سورة يونس / الآية ٢٢ .

تنبيه المخاطب ، لأمر ما ، ونكتة معينة ، لا يريدها أن تفوته .

جعل المتلقي يفكر في هذا التغيير وسببه ، فيزداد تفكيراً في المعنى .

وهذه كلها أسباب كلية ، ويمكن أن يكون في الكلام سر آخر :

كما في قوله تعالى ((فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين رحمة من ربك ..))[١] ، ولم يقل رحمة منا .

ليبين أنَّ هذه الرحمة مربوطة بك ، يا أيها الرسول الكريم ، ولعلَّه إشارة لارتباط ليلة القدر به وبآله الكرام البررة شخصياً ، لأنها نزلت لتبين مقام هذه الليلة العظيمة ، فسبحان الله .

ولذا أضاف الرب إلى الضمير العائد إليه ، وليس هذا فحسب بل أضافه لضمير المخاطب ، ليبين قرب رسوله منه سبحانه أكثر .

وهنا أتم الباري عز وجل مقصوده بهذا التغيير بالأسلوب :

لِأنَّ الثناء المتقدم أولى به أن يكون للغائب ، فتذكر ذلك الغائب بالخير .

ثّمَّ إنَّ الكلام المصوغ بصيغة الدعاء ، أولى أن يكون بصيغة المخاطب ، الذي هو حاضر ، لِتكون المباشرة الحقيقية بين الداعي والمدعو ، فانتبه .

---

١ ــ سورة الدخان / الآيات (٤ . ٦) .

الآية السادسة : إهدنا الصراط المستقيم

قال تعالى : ((إن ربي على صراط مستقيم)) [1].

وقال : ((إنك على صراط مستقيم))[2].

وقال : ((وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم))[3].

المعنى الجامع لهذه الآية المباركة :

الهداية : قال الراغب : الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهدية .

والفرق بين الدلالة ، والهدية ، الهمزة في أول الفعل : فالدلالة : مجردة (هديت) ، والهدية : (أهديت) .[4]

واشتقاقات هذه الكلمة في القران الكريم جاءت بحدود (٢٥٠) مورداً ، أي أنها جاءت في هذه الموارد بصيغ مختلفة ، كلها تَنْصَبُّ نحو هذا المعنى .

ومن ذلك المعنى يكون الإرشاد ، التسديد ، التوفيق والإلهام ..الخ. .

وكلها تنبيك عن السرور ، والحبور ، والفوز ، حتى فيما نقل الله تعالى مقول المستكبرين : ((ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً))[5] . فبهذه المعاني ، إلا في موضع واحد ، واستعمال فارد ، في قوله تعالى : ((فاهدوهم

---

١ ـ سورة هود / ٥٦.

٢ ـ سورة الزخرف / ٤٣ .

٣ ـ سورة يس / ٦٢.

٤ ـ أنظر الراغب في مفرداته .

٥ ـ سورة النساء / الآية ٥١ .

إلى سواء الجحيم))[١].

والظاهر إنه من باب التهكم بهم ، بعد أن رفضوا الهداية الحقيقية المطلوبة ، نحو رحمة الله وجنانه الواسعة ، ورضوانه الأكبر .

فالكون كله مهدي : ((أعطى كل شئ خلقه ثم هدى))[٢].

((والذي قدّر وهدى))[٣].

والهداية بما هي هي ملتقى الرسالات السماوية ، فكلها جاءت لهداية الناس.

ولكن الهداية لِمَنْ ؟

الهداية إلى الصراط المستقيم ، ومن هنا برز لنا عنوان آخر هو :

الصراط المستقيم : الذي هو طريق الله ، الذي هو دين الله ، وهو ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ عن الله سبحانه وتعالى .

((وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم))[٤] .

لماذا يقول القائل : ((إهدنا الصراط المستقيم))، والمفروض أنه عليه ، فهو مهدي إليه ؟

فسّر الطبري في تفسيره، قوله تعالى(إهدنا الصراط) بالتوفيق للثبات عليه.

ثم تسائل : متى وجدت العرب تتكلم كذلك ؟ جاء بشواهد تدل على ذلك، منها قوله تعالى : ((والله لا يهدي القوم الظالمين)) في غير آية من تنزيله ،

---

١ ـ سورة الصافات / الآية ١٢٧ .

٢ ـ سورة طه / ٥٠ .

٣ ـ سورة الأعلى / ٣ .

٤ ـ سورة الشورى / الآية ٥٢ .

على حد تعبيره .

ووجّه مَن قال زدنا هداية إلى ذلك أيضاً .

إلى أن قال : (فكذلك قوله «اهدنا» ، إنما هو مسألة الثبات على الهدى فيما بقي من عمره . والعرب تقول : هديت فلاناً الطريق ، وهديته للطريق ، وهديته إلى الطريق ، إذا أرشدته إليه ، وسددته له .

وبكل ذلك جاء القرآن ، قال الله جل ثناؤه : { وقالُوا الحَمْدُ للهِّ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } ، وقال في موضع آخر : { اجْتبَاهُ وَهَدَاهُ إلى صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ } ، وقال: { اهْدِنا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ } ، وكل ذلك فاشٍ في منطقها ، موجود في كلامها .)[١] .

وقال صاحب الكشاف : (ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون ، طلب زيادة الهدى ، بمنح الألطاف ، كقوله تعالى ((والذين اهتدوا زادهم هدى))[٢].)[٣] .

وهكذا كان مسلك المفسرين الآخرين .

من كل ما تقدم تبين لنا أنَّ معنى طَلَب الهُدَى منه تعالى ، وقد هَداهُم ، أَنهم قد رَغِبُوا منه تعالى التثبيت على الهدى .

وبذلك نطق القران حيث قال تعالى : ((وهُدُوا إلى الطَّيِّب من القَوْل وهُدُوا إلى صِراطِ الحَميد)) ، كما قال تعالى : ((وإنك لَتَهْدِي إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم.)) .

لأنَّ : الهاء والدال ، والحرف المعتلّ : أصلانِ [أحدهما] التقدُّمُ للإرشاد ،

---

١ _الطبري ، ت٣١٠ هج. / جامع البيان / في تفسير هذه الآية المباركة .

٢ _ سورة محمد / الآية ١٧ .

٣ _ تفسير الكشاف / في تفسير هذه الآية المباركة .

والآخر بَعثة لَطَفٍ ، فالأوَّل قولُهم : هدَيتُه الطَّريق هِدايةً ، أي تقدّمتُه لأرشـدَه . وكلُّ متقدِّمٍ لذلك هادٍ .

والأصل الآخر الهَدِيّة : ما أهدَيْتَ من لَطَف إلى ذي مَودَّة.[١]

التي جمعهما الراغب في مفرداته ، كما ذكرنا ذلك قبل قليل من أنه دلالة بلطف .

وكلاهما حَسَنٌ هنا .

وبما أن هناك طريقاً مستقيماً كما ظهر وقلناه وأكدنا عليه مراراً ، فالعالَمون :

بين من يعرفه ولا يأتي إليه ويختار لنفسه طريقاً هو يسلكه من عندياته مصراً عليه ، فهو من المغضوب عليه أيّاً كان .

وبين من لا يعلمه بتقصيرٍ منه ، لأنَّ الله تعالى ابتدأنا بمقدمات معرفته ، كما ابتدأ سوره بذلك ، من دون طلب منا ، بل برحمته الواسعة ، الدال عليها كتابه الناطق بها بدواً من دون مقدمات ، فهو تائه عنه ، قد ضلّ عنه ، فهو من الضالين.

وبين من عرفه فاتبعه ، واصرَّ أن يكون عليه ، ودعا بقوله كذلك ، بعد اعتقاده وعمله :

((اهدنا الصراط المستقيم)) ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم ، فهنيئاً له .

بقي شئ لماذا قال " اهدنا الصراط المستقيم " ، ولم يقل اهدنا إلى الصراط المستقيم ؟ أولاً : الاستعمال الثاني ربما يشير إلى فرد خارج عن الصراط ، يريد أن

---

١ _المصدر نفسه / مادة هدي .

يكون عليه .

وبعد الإقرار بالحمد والثناء على الله تعالى بما هو أهل له ، وحصر العبادة به، والتوكل كذلك به ، وهذه كلها من صفات أهل الصراط ، فكيف يكون خارجاً عنه ، وهو قد أقرَّ بها كلها ؟

فكأنّه بإقراره بهذا كله ، يُثبت أنه من أهل الصراط ، ولكنه يدعو الله عزَّ وجلَّ أن يثبته عليه.

فحينئذٍ لا يحسن استعمال الصيغة الثانية ، ويحسن استعمال الصيغة الأولى .

ثانياً : الهداية الحقيقية تكون بالهداية إلى الله ، لا إلى الصراط ، والصراط لو دعونا بالهداية إليه ، فلأنه يؤدي إلى الله ، فإذاً الهداية من الصراط لأهل الصراط إلى الله تعالى ، فحسن ألا يستعمل هنا حرف الجر ، فانتبه .

قال تعالى : ((ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً)) فالهداية إليه ، بواسطة الصراط المستقيم .

فالهدف الله تعالى ((إنَّا لله وإنا إليه راجعون)) .

لماذا قال الصراط ، ولم يستعمل لا السبيل ، ولا الطريق ، مثلاً ؟

لو علمنا : أنّ الطريق ما يُسلك مطلقاً .

والسِّراطُ : السبيل الواضح ، والصِّراط لغة في السراط .[١]

السين ، والراء ، والطاء ، أصلٌ صحيح واحد ، يدلُّ على غَيبة في مَرٍّ وذَهاب. من ذلك : سَرَطْتُ الطّعام ، إذا بَلعْته ؛ لأنَّه إذا سُرِطَ غاب .

---

١ _المصدر نفسه / مادة سرط .

وبعضُ أهل العلم يقول : السِّراط مشتقٌّ من ذلك ، لأنَّ الذاهبَ فيه يغيب غيبةَ الطعام المُستَرَط .

والسُّراطُ : السّيف القاطع الماضِي في الضَّريبة .

كأن الذي يمضي فيه ، يمضي فيه من دون رجعة .

وأما السبيل فهو الطريق ، وما وضح منه .[١]

وخاصة أن السبيل ما هو مُعتاد السلوك .

قالوا : السين ، والباء ، واللام ، أصلٌ واحد يدلُّ على إرسال شيءٍ من عُلو إلى سُفل . وعلى امتداد شيء . فالأول من قِيلِكَ : أسبلتُ السِّتْرَ، وأسبلَتِ السَّحابةُ ماءَها وبمائِها .

والسَّبَل المطر الجَوْد . وسِبال الإنسان من هذا ، لأنّه شعر منسدل . وقولهم لأعالي الدَّلو أسبْال ، من هذا، كأنَّها شُبِّهَت بالذي ذكرناه من الإنسان . قال :

إِذْ أرسَلوني ماتحاً بدلائهمْ فملأْتُها عَلَقاً إلى أسبالِها

والممتدُّ طولاً : السّبيل ، وهو الطَّريق ، سمِّي بذلك لامتداده .

والسَّابلة : المختلِفَةُ في السُّبُل جائيةً وذاهبة .

وسمِّي السُّنْبُل سُنْبُلا لامتداده . يُقال أَسبَلَ الزّرعُ ، إذا خَرَج سُنبله . قال أبو عبيد : سَبَلُ الزَّرعِ وسُنْبُلُه سواء.

وقد سَبَلَ وأَسْبَلَ.[٢]

ولعله من هنا لم يرد هنا ، لأنَّ فيه معنى التردد ، وفيه معنى الهبوط ، ومعنى

---

١ _أنظر لسان العرب / مادة سبل .

٢ _أنظر أحمد بن فارس / مقاييس اللغة / مادة سبل .

المد ، وهو دلالة على البعد ، فليس من المستحسن استعمال ذلك هنا .

وأما الطريق :

الطاء ، والراء ، والقاف ، أربعة أصول : أحدها الإتيان مَسَاءً ، والثاني الضَّرْب ، ومنه المطرقة ، والثالث جنسٌ من استرخاء الشيء ، ومنه أطْرَق فلانٌ في نَظَره .

والمُطْرِق : المسترخِي العَين . والرابع خَصْف شيء يقال : نعلٌ مُطارَقة ، أي مخصوفة .

وتُرسٌ مُطرَّق ، إذا طورِق بجلدٍ على قَدْره .[1]

ففيها معنى الطرق ، وهو الضرب مع استرخاء ، وخصف ، ونوعٌ من الخفاء ، قلنا ذلك لأن من جملة المعاني الإتيان ليلاً ، ولعله لذا لم يذكر هنا .

ولا ننس أخيراً أن الصراط أخصّ المذكورات .

ولذلك استحسن استعماله هنا ، ولم يستعمل الأخريات .

وهناك شئ : إذا علمنا من أنَّ الصراط هو ما لا اعوجاج فيه ، يمنة ، أو يسرة ، فما فائدة نعته بالمستقيم ؟

قيل : لأنّ الصراط يطلق على ما فيه صعود أو هبوط ، أيضاً .

والمستقيم ما لا ميل فيه إلى شيء من الجوانب .

وخاصة إذا علمنا من أنَّ أصل الاستقامة ، تكون في الشخص القائم ، فهو خالٍ من الانحراف مطلقاً ، وعارٍ منه ، لا يمين ولا شمال ، ولا أعلى ولا أسفل، بل هو صراط مستقيم بمعنى الكلمة ، فتأمّل .

---

١ _المصدر نفسه / مادة طرق .

الآية السابعة : صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

بدل : من الصراط المستقيم .

أو عطف بيان .

فلماذا جاء كذلك ، ولم يأت بالإضافة الموصوفة مثلاً : أي بصيغة : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم المستقيم ، اختصاراً للكلام ، مثلاً ؟

الجواب : كما انه قد لا يكون صفة الصراط في محلها ، حينئذٍ ، لأنّ واقع الذين أنعم عليهم لابد أن يكون طريق وصولهم مستقيماً ، وهو الاقرب للوصول إلى الله تعالى ، فلا يكون له وقعه ، ويكون عبارة عن حشو للكلام ، بينما تصف الصراط بالمستقيم ، ثم تتبعه بأنه صراط مَن هو ، يكون أوقع تأثيراً وأوضح بياناً ، وأسلم تركيباً .

سيكون ذلك بياناً للصراط ، وليس للعباد ، وللصراط .

ولعل الله تعالى يريد أن يبين صفة صراطه ، وصفة عباده ، الذين أنعم عليهم، فلا يصلح هذا التركيب لذلك .

لأنه تعالى كان في مقام بيان العبودية الكاملة ، لِمَن أراد يريد أن يقتدي بهم القارئ للقران ، والمتدبر فيه ، وبنفس الوقت يريد أن يبين كيفية الطلب منه للقارئ بأن يهديه هذا ، صراطهم هذا .

كما ان الصيغة الثانية ستربك الارتباط بينهم وبين الآخرين ، والنسبة بينهما.

ولأنَّ أصل الهداية ، هو الطريق الموصل ، وأخصر ـ الطرق هو المستقيم ، فلابد من بيانه أولاً ، بصورة مركّزة وواضحة ، ظهرت في قوله ((إهدنا الصراط المستقيم)) .

ولتمكين المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي .

كيف ؟

فإجمالٌ ، وبعد ذلك بيان ، يكون وقعه أحسن في ألآذان وفي الأذهان ، من قول مباشر .

لأنَّ النفس ستتوجه إلى معرفة ذلك الصراط الأقرب للوصول إلى الحريم ، والنعيم ، لأنه وصفه بالمستقيم فهو الأقرب .

وبعد توجه النفس والقلب ، سيظهر البيان .

كما أنه سيؤكد المعنى المراد ، وكأنه قد كرّر .

وللإعتناء أولاً بالصراط ، وثانياً بالذين هُدوا إليه ، بالإنعام من الله عليهم، فيطمعون بهذا النعيم ، أكثر ، وليقتدوا بهم ، لأنه قد بُيّن فضلهم ، وصفتهم .

ثم ستكون صفة الصراط ـ المستقيم ـ ، فاصلةً واضحةً ، بين الذين أنعم عليهم ، وصفتهم بكونهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فانتبه .

ففي البدلية ، كأنّما يكون ثمّة تكرارٌ ، فهو توكيد لطلب الهداية .

وكما ذكرنا التفصيل بعد الإجمال كأنه توكيد معنوي .

كما أنه بالتركيب النازل من السماء ، إذا دققت ، وكما نوهنا لذلك ، وإن كان خافياً على كثير ممن فسّر هذه الآية المباركة ، إن لم يكن كلهم ، من أنه في واقع الأمر من عظيم رحمته لم يذكر إلّا المنعم عليهم في هذه السورة المباركة ، وما أرادَ

أن يذكر الصنفين الآخرين ، كوجود مستقل .

كيف ؟ إذا دققت ، لرأيت بأنه ذكرهما بصفة كونهما منفيين عن الذين أنعم عليهم ، فعرفنا بوجودهما بنفيهما ، وهذا من أبدع التراكيب وأعمقها .

ولذا نرجّح كون " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ، صفة لهؤلاء المذكورين بقوله تعالى : " الذين أنعمت عليهم " .

وكأنه لا وجود لهم ، سوى بالإشارة البعيدة .

ولعله من هنا كان إصرار "الفرّاء" هنا ، إذ أُبى أَن يكون "غير" ، نعتاً إلا ل"الّذين" ، لأَنها بمنزلة النكرة .[1]

فتكون السورة رحمة برحمة ، من أولها إلى آخرها .

((غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) :

بدل من الذين ، ويكون المعنى حينئذٍ : إهدنا صراط غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

أو بدل من الهاء والميم في "عليهم " : صراط الذين هم غير المغضوب عليهم....

أو صفة للذين أنعم الله عليهم ، فهم منعم عليهم وهم يتصفون بأنّهم غير مغضوب عليهم ولا ضالين ، بمعنى آخر ، هم قد جمعوا بين الإنعام عليهم ، وكونهم غير مغضوب عليهم ولا هم من الضالين ، بأن تكون "غير" ، بإضافتها إلى "المغضوب عليهم" ، والتي هيَ معرفةٌ بالألف واللام ، تكون معرفة أيضاً بالإضافة ، فصحَّ أن نقول إنها صفة للمعرفة التي هي اسم الموصول "الذين" في

---

١ _أنظر : لسان العرب / مادة غير .

قوله تعالى ((...الذين أنعمت عليهم)) .

وربما يريد بعضهم أن يورد على هذا الأخير ، بأنّ "غير" صفة ، متمحضة بالتنكير ، فهي لا تتعرف بالإضافة ، والموصوف "اسم موصول" ، وهو معرفة، فكيف توصف المعرفة بالنكرة ؟

والجواب عن ذلك : إنّ "غير" إذا وقعت بين معرفتين ، وكانتا متضادتين ، عُرّفت بالإضافة .

والذين هم منعم عليهم ، ضِدٌّ للمغضوب عليهم ، فصحَّ بذلك ، أن تكون "غير" ، صفة للمعرفة .

فلماذا الإصرار من كثير من المفسرين على إنهما اليهود والنصارى ؟

وإن جاء في تفسيرهما أنهما اليهود والنصارى ، إلا أنّ القرائن تدل على العموم ، ومنها السياق ، وقد ذُكِرا كذلك للتعريض بهم .

وقد جاء ذلك مروياً عند الفريقين ، ولذا أكثر التفاسير القديمة تميل إلى ذلك، بل ادعى بعضهم الغجماع عليه : (وقد أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود ، والضالين أراد به النصارى ، فإن قيل : أليس النصارى من المغضوب عليهم ؟ واليهود أيضاً من الضالين ؟ فكيف صرف المغضوب إلى اليهود ، وصرف الضالين إلى النصارى ؟ قيل له : إنّما عرف ذلك بالخبر واستدلالاً بالآية .

فأمّا الخبر ، فما روي عن رسول الله ، ﷺ، أنَّ رجلاً سأله وهو بوادي القرى: من المغضوب عليهم ؟ قال: اليهود . قال : ومن الضالين ؟ فقال: النصارى .

وأمّا الآية ، فلأن الله تعالى قال في قصّة اليهود : {فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} ، وقال تعالى في قصّة النَّصارى: { قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ }[١] . إنتهى .

وأنت ترى ما فيه .

وقال الآخر : ({غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} أَيْ : غير الذين غضبتَ عليهم ، وهم اليهود ، ومعنى الغضب من الله تعالى : إرادةُ العقوبة {ولا الضَّالين} أَيْ : ولا الذين ضلُّوا ، وهم النَّصارى ، فكأنَّ المسلمين سألوا الله تعالى أن يهديهم طريق الذين أنعم عليهم ، ولم يغضب عليهم كما غضب على اليهود ، ولم يضلُّوا عن الحقِّ كما ضلَّت النَّصارى.][٢].

وقال آخر : [اخْتُلِفَ فِي {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} وَ {الضَّالِّينَ} مَنْ هُمْ، فَالْجُمْهُورُ أَنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وَالضَّالِّينَ النَّصَارَى، وَجَاءَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَقِصَّةِ إِسْلَامِهِ.][٣] . إنتهى.

وهكذا .[٤]

---

١ _أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ): بحر العلوم، دار الفكر بيروت،ج١ – صـ١٩.

٢ _أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم بيروت، ط١ – صـ٨٩.

٣ _شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط٢ ، ج١ – صـ١٥٠.

٤ _ أنظر لكل مِن : صدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي (ت ٧٩٢ هـ): شرح العقيدة الطحاوية، وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية، ط١ – صـ٥٣٣، ٥٤٤ .// إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ): الاعْتِصَام، دار ابن الجوزي بالسعودية، ط١ ، ج١ – صـ٢٤٢ . // بكر بن عبد الله أبو زيد (ت

إلا أن بعضهم عبّر : [وَقَوْلُهُ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، قَالَ جَمَاهِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ: {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} الْيَهُودُ، وَ {الضَّالُّونَ} النَّصَارَى.].[١]

وهذا لا يعدم قول العموم منهم ، فبعض يظهر منه ذلك ولو بالقيل : فهذا صاحب التسهيل لعلوم التنزيل يقول :

{الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} اليهود، و {الضَّالِّينَ} : النَّصارى، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: ذلك عامٌّ في كلّ مغضوب عليه، وكلّ ضال، والأول أرجح .) .[٢]

ولكنّ ظاهر العلامة الرازي ت٦٠٦ ، في مفاتيح غيبه أنهما للعموم ، وربما يظهر ذلك من المتأخرين منهم ، إلى أن يصل الأمر إلى أمثال صاحب المنار ، حيث يقول : (وأما وصفه تعالى الذين أنعم عليهم بأنهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فالمختار فيه أن المغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به ، والذين بلغهم شرع الله ودينه فرفضوه ولم يتقبلوه ، إنصرافاً عن الدليل ، ورضاءاً بما ورثوه من القيل ، ووقوفاً على التقليد ، وعكوفاً على هوىً غير رشيد .)[٣] .

١٤٢٩ هـ): الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، دار العاصمة، ط١ – صـ٥٠.

١ ـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر ببيروت، ج١ – صـ٩.

٢ ـ أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١ هـ): التسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ببيروت، ط١، ج١ – صـ٦٦.

٣ ـ محمد رشيد رضا الحسيني . ت١٣٥٤هج. / تفسير المنار / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ج١ ص٥٧ .

ومثله ابن عاشور ، حيث يقول بصريح العبارة : [فالمغضوب عَلَيْهِم: جنس لِلْفِرَق الَّتِي تَعَمّدت ذَلِك، واستخفت بالدِّيانة عَن عَمْد أَو تَأْوِيل بعيد جداً، والضّالون: جنس لِلْفِرَق الَّتِي أَخْطَأت الدَّين عَن سوء فهم وَقلة إصغاء، وكلا الْفَرِيقَيْنِ مَذْمُوم، لأَنَّنا مأمورون بِاتِّبَاع سَبِيل الْحق وَصرف الْجهد إِلَى إِصَابَته، وَالْيَهُود من الْفَرِيق الأول، وَالنَّصَارَى من الْفَرِيق الثَّانِي، وَمَا ورد فِي الْأَثر مِمَّا ظَاهره تَفْسِير {المغضوب عَلَيْهِم} باليهود، و {الضَّالّين} بالنصارى، فَهُوَ إِشَارَة إِلَى أَنَّ فِي الْآيَة تعريضًا بِهَاذَيْن الْفَرِيقَيْنِ اللَّذين حق عَلَيْهِمَا هَذَانِ الوصفان، لِأَن كلا مِنْهُمَا صَار عَلَماً فِيمَا أُرِيد التَّعْرِيض بِهِ فِيهِ.][1] .

وهناك عديد من المفسرين ذهبوا لهذا .[2]

بل نرى أن محمد بن عبد الوهاب النجدي يقول : (وجعله للعموم ، لأنه لا معنى للدعاء به ، إذا ظن أنه كان مخصوصاً بهما ، وجعل القائل به ممن ظنّ السوء بالله .)[3] .

---

١ _ محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ):التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الجزء الأول – صـ٧٤٨.

٢ _ أنظر مثلاً : محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ت١٤٠٢هـج. / أوضح التفاسير / ط ٦ / المطبعة المصرية / ص٣.٢ . // محمد متولي الشعراوي ت١٤١٨ هج. / تفسير الشعراوي. الخواطر. / ط أخبار اليوم / ج١ / ص٨٩ . // عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت١٣٧٦هج./ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران / وزارة الشؤون الاسلامية بالسعودية / ط١ / / ص١٢ . وهكذا : تفسير بن عيثمين ت١٤٢١هج. / تفسير الفاتحة والبقرة / دار ابن الجوزي / ط١ /ص١٧ .

٣ _ أنظر محمد بن عبد الوهاب النجدي ت١٢٠٦ / تفسير آيات من القران الكريم / جمعه الامام محمد بن سعود بالرياض/ص١٨ .

ومن جملة قرائن العموم :

إهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

فأنت تطلب من الله أن يهديك للصراط المستقيم ، وتوضحه من انه صراط المنعم عليهم ، فما معنى قولك غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، بعد ذلك ؟

فهل صراط المغضوب عليهم والضالين مستقيم ؟ لكي ترفع اللبس ؟!

بل هل يتصور أن يكون طريق المغضوب عليهم والضالين مستقيماً أصلاً؟!

فالهداية ضد للضلال ، ولا يمكن أن يجتمعا بأي حال من الأحوال .

والهداية ليست فيها غضب من الله لِمَن سلكها ، فما معنى هذا القيد ؟

ولذا لطف هنا أن نكرر سؤالاً طرحه الفخر الرازي في تفسيره ، لكي يتبين الحق صراحاً ، بالإضافة التي أضفناها لجوابه ، لأنَّ إجابته عليه لم تكن كاملة ، فإنه قال :

(الفائدة التاسعة :

في الآية سؤال آخر ، وهو أن من أنعم الله عليه ، امتنع أن يكون مغضوبا عليه ، وأن يكون من الضالين ؛ فلما ذكر قوله أنعمت عليهم فما الفائدة في أن ذكر عقيبه " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ؟

والجواب : الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف ، كما قال عليه السلام : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ، فقوله "صراط الذين أنعمت عليهم " ، يوجب الرجاء الكامل ، وقوله " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ، يوجب الخوف

الكامل ، وحينئذ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه وينتهي إلى حد الكمال .)[١] .إنتهى.

والأحسن منه ، جوابه الذي كان في الفائدة الثالثة ، حيث قال :

(الفائدة الثالثة : قوله : " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ، يدل على أن أحداً من الملائكة والأنبياء عليهم السلام ، ما أقدم على عمل يخالف قول الذين أنعم الله عليهم ، ولا على اعتقاد الذين أنعم الله عليهم ، لأنه لو صدر عنه ذلك لكان قد ضلَّ عن الحق ، لقوله تعالى : " فماذا بعد الحق إلا الضلال "[٢] ، ولو كانوا ضالين لما جاز الاقتداء بهم ، ولا الاقتداء بطريقهم ، ولكانوا خارجين عن قوله " أنعمت عليهم " ، ولمَّا كان ذلك باطلاً ، علمنا بهذه الآية عصمة الأنبياء والملائكة عليهم السلام.)[٣] . إنتهى .

فإذاً فائدة ذكر ذلك لكي تبيّن أن الذين أنعمت عليهم هم بنفس الوقت ما كانوا ولن يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين ، ولا آناً من الآنات ، ولا لحظة من اللحظات ، إي هم معصومون .

فذكر هذا القيد لبيان عصمة هؤلاء بالذات ، وهذا ما أكّدنا عليه سابقاً .

وثالثاً : كما أكدنا ذلك أيضاً ، من أن سورة الحمد تفيض رحمة من أولها إلى آخرها ؛ ومن رحمة الله علينا ، أنه لم يُذكر فيها العذاب ، بل ذكر فيها للتذكير ، يوم الدين ، الذي هو يوم القيامة ، الذي شدَّتُه قد أزيلت بذكر صفتي " الرحمن الرحيم " ، قبلها ، بعد ذكر الربوبية لله تعالى ، ولذا حسن أن ندعوه ، للاستمرار

---

١ ــ الرازي / التفسير الكبير / ج١ / ص٢١٢ .

٢ ــ سورة يونس / الآية ٣٢ .

٣ ــ الفخر الرازي / التفسير الكبير / في قوله تعالى : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وفيه فوائد / ج١ / ص٢١١ . / دار الكتب العلمية / سنة النشر ٢٠٠٤م.. ١٤٢٥هج. .

على الهداية ، والثبات على الصراط المستقيم .

وقد ذكر ، المغضوب عليهم ، والضالين ، استطراداً ، لِيُذَكِّر بوجود صنفين آخرين بعيدين عن أجواء هذه السورة المباركة ، كبعد المنعم عليهم منهما ، لئلا تزل القدم من الصراط ، إليهما ، فتأمّل ، فهو من أبدع الإشارات ، وأحسنها ، وللأسف لم أر أحداً التفت إلى هذه النكتة بالذات .

مناقشة الطبري في تطبيقه لهذه الآية المباركة :

وقد قال الطبري في تفسيره : (والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ، أعني : { اهْدِنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } أن يكون معنياً به : وَفِّقنا للثبات على ما ارتضيته ، ووفقتَ له من أنعمتَ عليه من عبادك من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن مَن وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، فقد وفق للإسلام ، وتصديق الرسل ، والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمر الله به ، والانزجار عمّا زجره عنه ، واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وكلِّ عبد لله صالح . وكل ذلك من الصراط المستقيم .)[١] .

هذه الكلية ممنوعة جزماً وحتماً ، لأنَّ الصراط المستقيم قد فسّره الله تعالى في كتابه ، وتفسيره نصب عينيه ، ولكن زاغ البصر ، وشطح الفكر ، فأي منهاج لأبي بكر وعمر وعثمان أمرنا باتباعه ؟ هل منهاجهما قبل الإسلام ، وهو الكفر والشرك المحض ؟ أم منهاجهما بعد الإسلام ، وهم قد شطحوا في كثير من المواقف وزلّوا في كثير من الموارد ؟! هل موقف أحدهما كراراً ، وهو يخاطب رسول الله ﷺ ، أهذا منك أم من الله ؟ أم صدّه عن كتابة الكتاب الذي لا

---

١ ـ الطبري ، ت٣١٠ هج. / جامع البيان / في تفسير هذه الآية المباركة .

ضلال بعده لو كان قد كتب ، أم منهاجهم بالإنفراد بالخلافة دون المسلمين ؟ أم بما ادعوه أنه كان بالشورى ؟ أم منهاجهم بالإختيار لأنفسهم ، بعد اختيار الله سبحانه ، ورسوله صلى الله عليه وآله ؟ أم بمنع الزهراء فدك ؟ أم من مواقفهم التي كثرت ، وزلّاتهم التي تعددت ، بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى أن مثل فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليها السلام تموت وهي واجدة عليهم .[1]

وهم كانوا قبل ذلك من المشركين ، العابدين للاوثان ، المتسخين بالأصنام، وإن كان الإسلام يجبُّ ما قبله ، ولكنهم قد اتسخوا ، وكانوا وثنيين ، فكيف يكونون هم المعنيين ، أو يكون المعني غيرهم من المسلمين ، غير المعصومين ، الذين قد يرتكبون الصغائر ، بل الكبائر ، وإن تابوا وأصلحوا ، فأي صراط هذا مستقيم ؟

وخاصةً وهم قد تمنّوا أن يكونوا بعرة في نهاية حياتهم ، فانظر إليهم ، وإلى صراطهم الذي هم فيه ، فإنه قد اعوج في أي معصية قد ارتكبوا ، وأما صراط الحق الذي هو في سورة الحمد ، فهو صراط مستقيم من بدايته لنهايته ، لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف ، والمسلم ، بل المؤمن قد ينحرف وقد يزوغ ، ثم يرجع ، فهو ليس باستقامة تامة كاملة ، إلا مَن عصم الله .

ثم إنَّ الله قد بيّن هذا الصراط ، وأوضحه بقوله ((صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) ، فهو عرّفه بأهله ، وما هم إلا الذين أنعم الله عليهم على طول الخط من أوله لآخره ، بدليل صفتهم أنهم ((غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) مطلقاً ، وأبداً ، فهو صفة لهم كما قلنا ، ويكون بذلك صفة له .

---

١ _ أنظر الصحاح في ذلك .

يقول صاحب تفسير الكشاف : (والذين أنعمت عليهم : هم المؤمنون) ، بعد أن يبين معنى الصراط بقوله : (والمراد طريق الحق ، وهو ملة الإسلام .)[١] .

ولكن صاحب التفسير الكبير ، يتعمق أكثر في هذه العبارة ، لذا نراه يصرَّح بعصمة هؤلاء ، المذكورين .

إذ قال : (الفائدة الثالثة : قوله : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، يدل على أن أحداً من الملائكة والأنبياء ، عليهم السلام ما أقدم على عمل يخالف قول الذين أنعم الله عليهم ، ولا على اعتقاد الذين أنعم الله عليهم ، لأنه لو صدر عنه ذلك ، لكان قد ضل عن الحق ، لقوله تعالى: : (فماذا بعد الحق إلا الضلال)[٢]، ولو كانوا ضالين لما جاز الاقتداء بهم ، ولا الاقتداء بطريقهم ، ولكانوا خارجين عن قوله : (أنعمت عليهم) .

ولَّما كان ذلك باطلاً ، علمنا بهذه الآية ، عصمة الأنبياء ، والملائكة عليهم السلام .)[٣] .

وبعض الذين ذكرهم الطبري ، من الذين قال أنهم هم المعنيون ، وذكرناهم ، لم يدَّع لهم العصمة أحد قطّ ، لا سابقاً ، ولا لاحقاً ، حتّى وإن كان يُناقش فيما قدّمنا بعض الذي كانوا فيه ، فانتبه .

فيكونون جزماً وحتماً خارجين عن المشار إليهم في هذه الآيات المباركات هذا من جهة . ومن جهة ثانية تظهر الدلالة الواضحة على وجود مجموعة في أمة

---

١ ـ الزمخشري ت ٥٣٨هج. / تفسير الكشاف .

٢ ـ سورة يونس / الآية ٣٢ .

٣ ـ الرازي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل / التفسير الكبير/ (في قوله تعالى : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وفيه فوائد) / ص٢١١ / دار الكتب العلمية ببيروت / سنة النشر : ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ .

محمد ﷺ متصفون بالعصمة ، فهل هم الأنبياء والملائكة كما ذكر صاحب التفسير الكبير ، أم هم ومجموعة من أمة محمد ﷺ ، إن لم تكن الإشارة لهذه المجموعة بالذات .

من هم أهل الصراط المستقيم ، المنعوتون ب" الذين أنعمت عليهم..." ؟

ممّا تقدّم يتبين لنا أنّهم قوم مخصوصون ، ليسوا هم كل المنعم عليهم ، بل هم جزء خاص كائن فيهم .

وذلك لأن الذين أنعم الله عليهم المذكورين في القران الكريم عدّة أقسام :

١ : هؤلاء الداخلون بالعموم العام للإنعام .

قال تعالى : ((وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)).

وهذا يشمل الخلق كله .

ولا يمكن أن يكون ذلك ، لأنَّ الكافر داخل فيهم ، فلا خصوصية أصلاً ، ولا يعقل أن ندعوا لنكون على طريقهم .

٢ : قال تعالى : ((...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ..))[١] .

وهؤلاء هم المسلمون والمؤمنون بقضِّهم وقضيضهم .

والمصداق هنا بطبيعة الحال أضيق من الأول ، مع هذا لا يمكن أن يكونوا هم ، وذلك ، لأنَّ الله هنا بصريح العبارة يبين ويوضِّح بأنه قد أتمَّ نعمته عليهم ، فهو مشمول ، فما معنى أن يدعو ليكون منهم ، وهو منهم على الحقيقة ،

---

١ ـ سورة المائدة :الآية / ٣.

والواقع، بإخبار من الله جلَّ وعلا ؟ .

٣ : قال تعالى ((وَمَن يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا))[١] .

وهذا أضيق منهما .

مع هذا ، فهو أيضاً لا يمكن .

وكان من الممكن أن يصحَّ هذا ، لو لم يأت قيد "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" .

لكن بوجوده ، تبين لنا أن هؤلاء من الذين أنعم عليهم الله تعالى بخصوص نعمته الخاصة ، وهم من المعصومين ، إذ لم يكونوا من المغضوب عليهم ، ولم يكونوا من الضالين ، مطلقاً وعلى طول الخط ، فانتبه لذلك .

وقد مرَّ عليك توكيد العلامة الكبير الفخر الرازي على عصمة هؤلاء ، قبل قليل ، فارجع إلى البحث تارة أخرى إن كنت لا زلت على ترددك في هذا كله .

ولو دققنا في الأمر لرأينا أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال في بيان هذه الآية المباركة :

(ارشدنا ، للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك ، والمبلغ إلى دينك ، والمانع أن نتبع أهواءنا ، فنعطب ، أو أن نأخذ بآرائنا ، فنهلك .)[٢] .

وقال الإمام العسكري عليه السلام : (فأما الصراط المستقيم في الدنيا ، فهو ما قصر عن الغلو ، وارتفع عن التقصير ، واستقام فلم يعدل إلى شيءٍ من الباطل .)[٣] .

١ــ سورة النساء : ٦٩ .

٢ــ المجلسي / بحار الأنوار / ج٢٤ / ب٢٤ / ص٩ / عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام (ص١٥ . ١٦) . وكذلك عن معاني الأخبار / ص١٤ .

٣ ــ نفس المصدر .

وقال القوم : (ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول .)[١].

فإذا كانت المتابعة هي الصراط فإذاً : هي ظاهرة في قوله تعالى : ((أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم)) ، المبين بقوله تعالى ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) ، والواضح في قول رسوله الكريم ﷺ (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي .) . وإلا ما كانت متابعة لا لله ولا لرسوله ، فلا صراط .

وقد فسرّها أهل البيت عليهم السلام بذلك .

ولذا قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام عندما سأله المفضَّلُ ، عن الصراط قال :

(هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل ، وهما صراطان : صراط في الدنيا ، وصراط في الآخرة ، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفروض الطاعة ، مَن عرفه في الدنيا ، واقتدى بهداه ، مرَّ على الصراط ، الذي هو جسر جهنم في الآخرة ، ومَن لم يعرفه في الدنيا زلَّت قدمه عن الصراط في الآخرة ، فتردى في نار جهنم .)[٢] .

وقد ورد عنه عليه السلام: (قول الله عز وجل في الحمد: (صراط الذين أنعمت عليهم) يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم)[٣] .

و عن المفضل ، عن الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : (ليس بين الله

---

١ ـ ابن كثير / تفسير / سورة الحمد / اهدنا الصراط المستقيم .

٢ ـ المجلسي / بحار الأنوار / ج٢٤ / ب٢٤ / ص١١ / عن معاني الأخبار / ص١٣ . ١٤ .

٣ ـ نفس المصدر / ص١٣ / عن المعاني / ص١٥.

وبين حجته حجاب ، فلا لله دون حجته ستر ، نحن أبواب الله ، ونحن الصراط المستقيم ، ونحن عيبة علمه ، ونحن تراجمة وحيه ، ونحن أركان توحيده ، ونحن موضع سره .)[١] .

وفي هذا المعنى ، وتوكيده ، وردت روايات كثيرة .

وببركة أحاديث رسول الله ﷺ، والثبوت المتواتر عند المسلمين قاطبة لِما يُعرف بالخلفاء الأثني عشر ، يكون المقصود هو وهم ، وهم مجتمعون معه في أكثر من مورد وحالة ، منذ بدء الرسالة .

فمنهم من خصَّه بالمبيت في فراشه ، وهذا ما لا يحوزه كل أحد ، ومن آخاه وجعله الله تعالى نفسه في محكم كتابه .

ومنهم بضعته ، وروحه التي بين جنبيه ، ومع هذا وذاك فهي أمُّ أبيها .

ومنهم ، مَن جعله سيد شباب أهل الجنة ، وأهل الجنة فيهم الأنبياء والمرسلون .

وإذا دققنا رأينا من أنَّ هؤلاء هم وحدهم مَن جلَّلهم بالكساء اليماني ، وأفردهم فيه دون الخلق أجمعين .

وهم نفسهم مَن أخرجهم للمباهلة مع نصارى نجران ، مع وجود المهاجرين والأنصار ، قاطبة ، وفيهم زوجاته واقرباؤه الآخرون .

وهم من كانوا آخر مَن يودعهم إذا خرج من المدينة ، وأول من يسلم عليهم من أهلها إذا رجع .

فهم الصراط المستقيم وبهم تمت النعمة ، وأتلفت الفرقة لو تبعهم الناس .

---

١ ـ المصدر نفسه / ص١٢ / عن المعاني / ص١٤ .

قال تعالى : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) .

وهذه الآية هي التي نزلت في منطقة ما يسمى ب"غدير خم" ، في حجة الوداع ، بعد أن جمّع المسلمين قاطبة ، وقال " مَن كنت مولاه فهذا علي مولاه ..." إلى آخر ما قال ، فانظر لِ "أتممت عليكم نعمتي" ، فيها ، و ((صراط الذين أنعمت عليهم)) .

فتكون بذلك سورة الحمد مجسدة لرواية السلسلة الذهبية ، التي جاء فيها :

(لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي) ، وقول الإمام الرضا عليه السلام بعدها بشرطها وشروطها ، وأنا من شروطها .

واللبيب يفهم ، والجاهل يتعنت ، ويصر على الضلال ، فإما هو ضال ، لم يهتدِ لما هداه الله إليه ، أو يعرف ويحرِّف فهو من المغضوب عليهم ، كما ظهر ذلك جلياً في سورة الحمد .

والحمد لله رب العالمين .

تتمة فائدة ليتم تطابق ، ما فهمناه من الآية الكريمة ، وما جاء به النقل عن آل بيت العصمة عليهم السلام ، ولذا فتحنا باباً بمعنى الصراط :

١ـ عن المفضل بن عمر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط.

فقال : هو الطريق إلى معرفة الله عزوجل ، وها صراطان : صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة .

وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة ، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ، ومن لم

يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم[١].

٣ ـ حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم رحمه الله ، قال حدّثنا أبي عن جدي ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته ، والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام ، قوله عزوجل : « وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم[١] »[٢] ، وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله عزوجل : « اهدنا الصراط المستقيم ».

٤ ـ حدثنا محمد بن القاسم الاسترآبادي المفسر ، قال : حدثني يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن يسار ، عن أبويهما ، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا.

والصراط المستقيم هو صراطان : صراط في الدنيا ، و صراط في الآخرة.

وأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو ، وارتفع عن التقصير ، واستقام فلم يعدل إلى شئ من الباطل . وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة.

قال : وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ، في قوله عزوجل : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : يقول أرشدنا [إلى] الصراط المستقيم أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك ، والمبلغ [إلى] دينك والمانع من أن نتبع أهواءنا

---

١ ـ الشيخ الصدوق / معاني الأخبار/ ص ٣٢ / باب معنى الصراط / ح ١ .

٢ ـ سورة الزخرف / الآية ٤ .

فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك.

ثم قال عليه السلام : فإن من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجلٍ سمعتُ غثاء العامة تعظمه ، وتسفه فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لأنظر مقداره ومحله ، فرأيته قد أحدق به خلق من غثاء العامة ، فوقفت منتبذاً عنهم ، متغشيا بلثام ، أنظر إليه وإليهم ، فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم ، وفارقهم ، ولم يقر ، فتفرقت العوام عنه لحوائجهم ، وتبعته أقتفي أثره ، فلم يلبث أن مر بخبازٍ ، فتغفله ، فأخذ من دكانه رغيفين ، مُسارقة ، فتعجبت منه ، ثم قلت في نفسي : لعلّه معاملة ، ثم مر بعده بصاحب رمان ، فما زال به ، حتى تغفله ، فأخذ من عنده رمانتين مسارقة ، فتعجبت منه ، ثم قلت في نفسي : لعله معاملة ، ثم أقول: وما حاجته إذاً إلى المسارقة ؟ ثم لم أزل أتبعه ، حتى مر بمريضٍ ، فوضع الرغيفين، والرمانتين ، بين يديه ، ومضى .

وتبعته حتى استقر في بقعة من الصحراء ، فقلت له : يا عبد الله لقد سمعت بك ، وأحببت لقاءك ، فلقيتك ، ولكنني رأيت منك ما شغل قلبي ! وإني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي . قال : ما هو ؟ قلت : رأيتك مررت بخبازٍ ، وسرقت منه رغيفين ، ثم بصاحب الرمان ، وسرقت منه رمانتين !

قال : فقال لي : قبل كل شئ ، حدثني مَن أنت ؟

قلت : رجل من ولد آدم عليه السلام ، من أمة محمد صلى الله عليه وآله .

قال حدِّثْني مَن أنت ؟ قلت : رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. قال : أين بلدك ؟ قلت : المدينة . قال : لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم . قلت : بلى .

فقال لي : فما ينفعك شرف أصلك ، مع جهلك بما شُرِّفْتَ به ، وتركك علم

جدك وأبيك ، لئلا تنكر ما يجب أن يحمد ويمدح عليه فاعله ؟ قلت : وما هو ؟

قال : القرآن كتاب الله ! قلت : وما الذي جهلت منه ؟ قال : قول الله عزوجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها»[١].

وأني لمّا سرقت الرغيفين كانت سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه أربع سيئات ، فلمّا تصدَّقتُ بكل [واحد] منهما كان لي [بها] أربعين [٤] حسنة ، فانتقص من أربعين حسنة ، أربع بأربع سيئات بقي لي ست وثلاثون حسنة .

قلت : ثكلتك أمك ! أنت الجاهل بكتاب الله ، أما سمعت أنه عزوجل يقول: « إنما يتقبل الله من المتقين »[٢]. إنك لما سرقت رغيفين ، كانت سيئتين ، ولمّا سرقت رمانتين ، كانت أيضا سيئتين ، ولما دفعتهما إلى غير صاحبيهما ، بغير أمر صاحبيهما ، كنت إنما أضفت أربع سيئات ، إلى أربع سيئات ، ولم تضف أربعين حسنة ، إلى أربع سيئات ، فجعل يلاحظني ، فانصرفت ، وتركته .

قال الصادق عليه السلام: بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضلون ، ويُضِلُّون ، وهذا نحو تأويل معاوية [لعنه الله] ، لما قَتَلَ عمار بن ياسر ـ رحمه الله ـ ، فارتعدت فرائص خلقٍ كثير ، وقالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عمار تقتله الفئة الباغية . فدخل عمرو على معاوية [لعنه الله] وقال : يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا . قال : لماذا ؟ قال : قُتِلَ عمار . فقال معاوية [لعنه الله] : قتل عمار ، فماذا ؟ .

---

١ ـ سورة الأنعام / الآية ١٦٢ .

٢ ـ سورة المائدة / الآية ٣١ .

قال : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [عمار] تقتله الفئة الباغية؟ .

فقال له معاوية [لعنه الله] : دُحِضْتَ في قولك ، أنحن قتلناه ؟ إنّما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا ! .

فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه‌السلام ، فقال : إذاً رسول الله صلى الله عليه وآله ، هو الذي قتل حمزة لمّا ألقاه بين رماح المشركين !.....

٥ ـ حدثنا أبي ـ رحمه‌الله ـ قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر ، قال : حدثني ثابت الثمالي ، عن سيد العابدين علي بن الحسين عليهما‌السلام قال : ليس بين الله وبين حجته حجاب ، فلا لله دون حجته ستر ، نحن أبواب الله ، ونحن الصراط المستقيم ، ونحن عيبة علمه ، ونحن تراجمة وحيه ، ونحن أركان توحيده ، ونحن موضع سره[1] .

٦ ـ حدثنا أبي ـ رحمه الله ـ قال : حدثني سعد بن عبد الله ، عن إبراهيم بن هاشم عن عبيد الله بن موسى العبسي ، عن سعد بن طريف ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط ، فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءةٌ ، بولايتك .

٧ ـ حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي ، قال : حدثنا فرات بن إبراهيم الكوفي ، قال : حدثني محمد بن الحسن بن إبراهيم ، قال : حدثنا ألوان بن محمد ، قال : حدثنا حنان بن سدير ، عن جعفر بن محمد عليهما‌السلام قال : قول الله عزوجل في الحمد : « صراط الذين أنعمت عليهم » يعني محمدا وذريته صلوات الله عليهم .

---

١ ـ الشيخ الصدوق / معاني الأخبار / ص ٣٥ .

إلى أن يصل الأمر إلى العموم :

٨ ـ عبيد بن يحيى بن مهران العطار ، قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن أبيه، عن جده قال : قال رسول الله صلى‌الله عليه وآله ، في قول الله عزوجل : « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : شيعة علي عليه السلام الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، لم يغضب عليهم، ولم يضلوا .

٩ ـ حدثنا محمد بن القاسم الاسترآبادي المفسر ، قال : حدثني يوسف بن محمد بن زياد ، وعلي بن محمد بن سيار ، عن أبويهما ، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، في قول الله عزوجل : ((صراط الذين أنعمت عليهم)) ، أي قولوا : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم ، بالتوفيق لدينك وطاعتك ، وهم الذين قال الله عزوجل : ((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا))[1] . وحُكِيَ هذا بعينه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

قال : ثم قال : ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال ، وصحة البدن ، وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة ، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفارا أو فساقا ؟

فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم ، وإنما أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالايمان [بالله] ، وتصديق رسوله ، وبالولاية لمحمد وآله الطاهرين ، وأصحابه الخيّرين المنتجبين ، وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شر عباد الله ، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم ، بأن

---

١ ـ سورة النساء / الآية ٧١ .

تداريهم ولا تغريهم بأذاك وأذى المؤمنين ، وبالمعرفة بحقوق الاخوان من المؤمنين، فإنه ما مِن عبدٍ ولا أمةٍ ، والى محمداً وآلَ محمد ، عليهم السلام ، وعادى مَن عاداهم ، إلا كان قد اتخذ من عذاب الله حصناً منيعاً ، وجُنَّةً حصينة ، وما من عبد ولا أمة ، دارى عباد الله ، فأحسن المداراة ، فلم يدخل بها في باطل ، ولم يخرج من حق ، إلا جعل الله عزوجل نَفَسَهُ تسبيحا ، وزكى عمله ، وأعطاه بصيرة على كتمان سرنا ، واحتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا ، ثواب المتشحط بدمه في سبيل الله .

وما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه ، ، فوفَّاهم حقوقهم جهده ، وأعطاهم ممكنه ، ورضي عنهم بعفوهم ، وترك الاستقصاء عليهم ، فيما يكون من زللهم ، واغتفرها لهم ، إلا قال الله له يوم يلقاه : يا عبدي قضيت حقوق إخوانك، ولم تستقص عليهم فيما لك عليهم ، فأنا أجود وأكرم وأولى بمثل ما فعلته من المسامحة والكرم ، فإني أقضيك اليوم على حقٍ وعدتك به ، وأزيدك من فضلي الواسع ، ولا أستقصي عليك في تقصيرك في بعض حقوقي .

قال : فيلحقهم بمحمد وآله ، ويجعله في خيار شيعتهم .

ثم قال : قال رسول الله ﷺ، لبعض أصحابه ، ذات يوم : يا عبد الله ، أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله ، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصيامه ، حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا ، عليها يتوادون، وعليها يتباغضون ، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئا .

فقال الرجل : يا رسول الله فكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله؟ وَمَن وليُّ الله حتى أواليه ؟ ومن عدوه حتى أعاديه ؟

فأشار له رسول الله ﷺ، إلى علي عليه السلام ، فقال : أترى هذا ؟

قال : بلى .

قال : وليُّ هذا ، وليُّ الله ، فوالِهْ ، وعدو هذا ، عـدو الله ، فعـادِهْ ، ووالِ وليَّ هذا ، ولو أنَّه قاتل أبيك [وولدك] ، وعادِ عدوَّ هذا ، ولو أنَّه أبوك ، أو ولدك .

قول "آمين" :

آمين : اسم فعلٍ بمعنى استجب .

وقال القوم : (ليس من القرآن وفاقا، لكن يُسَنُّ ختم السورة به)[1].

ويأتي بروايات لتؤيد ما قاله .

وهوَ ، أي (آمين : صوت سمي به الفعل الذي هو استجب ، كما أنّ «رويد، وحيهل، وهلم» أصوات ، سُمِّيَتْ بها الأفعال التي هي «أمهل، وأسرع، وأقبل» .

وعن ابن عباس : سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين ، فقال: «افعل» .

وفيه لغتان : مدّ ألفه ، وقصرها . قال : وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْداً قالَ آمِينَا ، وقال : أَمِينَ فَزَادَ اللهُ ما بَيْنَنَا بُعْدَاً .

وعن النبي ﷺ : " لقنني جبريل عليه السلام آمين ، عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب " .

وقال : " إنه كالختم على الكتاب " .

وليس من القرآن ، بدليل أنه لم يثبت في المصاحف.)[2] .

وقال آخر : (فصل : وأما "آمين" ، فاسم للفعل ، ومعناها اللهم استجب،..... وفيه لغتان : القصر وهو الأصل ، والمد وليس من الأبنية العربية، بل هو من الأبنية الأعجمية ، كهابيل وقابيل .

---

١ ـ الطبري / جامع البيان .

٢ ـ الزمخشري ت٥٣٨ هج. / تفسير الكشاف / ص٥.٤ .

والوجه فيه أن يكون أشبع فتحة الهمزة ، فنشأت الألف ، فعلى هذا لا تخرج عن الأبنية العربية .)[١] .

وثبت القول عندهم باستحباب الإتيان به بعد قراءة الحمد ، في أي صلاة ، وبالجماعة بعد قراءة الإمام ، بروايات أمثال ما قدَّمنا ؛ وعكس ذلك ، ثبت عندنا بطلان الصلاة به ، بروايات عن أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة .

وأحببت أن أبسط القول ، وأحدّ النظر ، للتمعن والتدبر ، من حيث الأدب الشرعي ، والأمر الظاهري ، فظهر لي أنه :

يتبين من الدليل القاطع أنه لا يجوز ذلك ، وحتى لو ورد في ذلك الروايات، لأنها ستخالف الشرع والقواعد ، وتخالف كتاب الله أصلاً ، وذلك :

آمين ليست من القران باتفاق الجميع .

فلا معنى لإيصالها مع السورة دائماً وأبداً مع كل قراءة ، ولو كان ذلك صحيحاً لجعله الله قراناً . أو يكون القران ناقصاً ، فنكمله نحن ، إتماماً للمعنى ، أو دعاءاً أدباً .

والإصرار على التكرار دائماً ، كأنّه يُرشد إلى نقيصة في القران علينا ان نتممها، لأنه عند من يقول بها ، لابدّ مِن ذِكرها ، عند كل قراءة لهذه السورة المباركة ، فالمسلمون ملتزمون بها أكثر من التزامهم بأكثر المستحبات ، بل لعلّهم يتركون الواجبات ولا يتركونها .

ومع الإغماض عن أن آمين اسم فعل للدعاء ، وليس بدعاء ، كما صرّح

---

١ ـ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري / التبيان في إعراب القران / / ص٦ / دار الفكر / سنة النشر: ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

بذلك صاحب المسالك[١].

فلا يجوز ذلك لأنّ الأمر لا يخلو من أمرين :

الأمر الأول : إما أن تؤمِّن على القران نفسه .

الأمر الثاني : أو تؤمِّن على الدعاء الذي فيه .

والأول بديهي البطلان .

والثاني لا يجوز فيه المقدَّم ، لأنّك إن قصدت به الدعاء دون القرانية فصلاتك باطلة ، لأنَّ المسنون في الصلاة هو قراءة القران لا الدعاء ، فانتبه .

وإذا قلت من أني أقصد قراءة القرآن ، إلّا أني الهج به كالدعاء ، فيرجع للأول .

ثمَّ أكثر مِن هذا ، وبه تتضح الصورة على أتمّ وجه ، وأتصور أن من يلتزم بهذا القول من العلماء سوف يتركه ، عند قرائته ، والتمعن فيه :

ماذا بعد الحق إلّا الضلال .

وكل أمر ينتهي إلى الله تعالى .

وإذا انتهى إليه ، فلا مجال لأحد أن تكون له الخيرة :

قال تعالى ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[٢] . وقال تعالى ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ))[٣]. وقال تعالى ((وتمّت كلمة ربك صدقاً

---

١ ـ المسالك / ج١ / ص٢١٠ .

٢ ـ سورة القصص / الآية ٦٨ .

٣ ـ سورة الأحزاب / الآية ٣٦ .

وعدلاً لا مبدِّل لكلماته))[١] . وقال تعالى ((واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته))[٢].

وقال تعالى ((والله يحكم لا معقب لحكمه))[٣].

فيجب التسليم لله ، والتصديق ، وعلينا الطاعة المطلقة .

فماذا تعني كلمة آمين بعد أيِّ قولٍ لهُ تعالى ؟ .

ولا ننس من أنَّ القران هو كلام الله ، فسورة الحمد هي قول الله ، وكلماته ، فما تعني ، آمين بعد قوله سبحانه .

أي هل يحتاج قوله تعالى لتأمين

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

هو اختار هذه الكلمات ، وهذه المعاني ، وهذه الجمل ، فما قيمة قولنا بعد قوله ؟.

وللذي لم يفهم لحد الآن نقول :

معنى " لا معقِّبَ لحكمه " ، أي أنَّه لا يُمكن لِأحد أن يُعلِّقَ على أيِّ أمرٍ صدر منه ، أي لا أحد يوقع بعد توقيعه كما يقولون ، فكيف أأمِّن على دعاءٍ في كتابه ؟

ألم تلحظ أن رسول الله ﷺ عندما ظهر إلى المباهلة لم يُخرج معه إلا أهل بيته المعصومين الطاهرين المطهرين ، وهم أهل الكساء ، ولم يُخْرِجْ أحداً غيرهم معه

---

١ ـ سورة الانعام / الآية ١١٥ .

٢ ـ سورة الكهف / الآية ٢٧ .

٣ ـ سورة الرعد / الآية ٤١ .

ليؤمِّنوا على دعائه ، فلا أحد يمكن له أن يؤمِّن على دعاء الرسول المعصوم ، إلا المعصوم مثله ، قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ((قل تعالوا ندعوا ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ...)) .

فإذا لا ، ولم يصح ذاك ، هناك ، فهذا أولى بأن لا يصح ، هنا ، فلا أحد له أن يؤمِّن على كلامٍ صدر من الله تعالى ، فانتبهوا إيها المسلمون !!!!!!!!!

قال تعالى ((وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لِكلماته وهو السميع العليم))[1] . فكلام الله تعالى تامّ ، ليس بناقصٍ حتى يحتاج إلى مَن يكمله .

إذْ الله جلَّ جلاله ، وعظم شأنه ، صادق في إخباره ، عادلٌ في حكمه . لا مبدِّل لِكلماته ، فما معنى قولك آمين بعد كلماته ؟

فكِّر في هذا فهو سبيل نجاتك .

ونضرب مثلاً ربما يُقرِّبُ ما نقول : لو قال الله تعالى لأحدٍ ادخل الجنّة ، هل يصح له أن يقول آمين ؟!

لأنه بقول الله تعالى تحقق الدخول ، فما معنى آمين حينئذٍ ؟

وهل العبد يؤمّن على أمرٍ المولى ؟ مالكم كيف تحكمون ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ثم لو لم يفد ذلك كله ، نذكر ما ذكره السيد المرتضى قدس الله نفسه الشريفة حيث قال :

((مسألة) [٤١] [قول آمين في الصلاة] :

وممّا انفردت به الإمامية : إيثار ترك لفظة " آمين " بعد قراءة الفاتحة ، لأنّ باقي الفقهاء يذهبون إلى أنها سنة .[2]

---

١ ـ سورة الأنعام / الآية ١١٥ .

٢ ـ المحلى: ج ٣ ص ٢٦٤، اللباب: ج ١ / ٦٩ الأم ج ١ / ١٠٩، المجموع ج ٣ / ٣٦٨،

دليلنا على ما ذهبنا إليه : إجماع الطائفة على أن هـذه اللفظـة بدعـة وقاطعـة للصلاة .

وطريقة الاحتياط أيضا : لأنه لا خلاف في أنه من ترك هذه اللفظة لا يكون عاصياً ، ولا مفسداً لِصلاته ، وقد اختلفوا فيمن فعلها ، فذهبت الإمامية إلى أنه قاطع لصلاته ، والأحوط تركها .)) .[1]

(وأيضا ، فلا خـلاف في أن هـذه اللفظـة ليسـت مـن جملـة القـرآن ، ولا مستقلة بنفسها في كونها دعاءاً ، وتسبيحاً ، فجرى التلفظ بهـا مجـرى كـلِّ كـلامٍ خارجٍ عن القرآن والتسبيح .

فإذا قيل : هي تأمين على كل دعاء سابق لها ، وهو قوله جل ثناؤه : (اهـدنا الصراط المستقيم) .

قلنا : الدعاء إنما يكون دعاءاً بالقصد ، ومَن يقرأ الفاتحة ، إنَّما قصدُهُ التلاوةُ دونَ الدعاء ، وقد يجوز أن يُعْرى مِـن قصـد الـدعاء ، ومخالفنـا يـذهب إلى أنهـا مسنونة لكلِّ مُصَلٍّ ، مِن غير اعتبار قصده إلى الدعاء .

وإذا ثبت بطلانُ استعمالِها فيمَن لمْ يقصدْ إلى الدعاء ، ثبت ذلك في الجميع ، لأنَّ أحداً لم يفرِّق بين الأمرين.) .[2] إنتهى .

الفتاوى الهندية: ج ١ / ٧٤ المغني لابن قدامة: ج ١ / ٥٢٨ شرح فتح القدير: ج ١ / ٢٥٦، مغني المحتاج: ج ١ / ١٦١، اختلاف العلماء: ص ٤١، سنن الترمذي: ج ٢ / ٢٨.

١ ـ الإنتصار / السيد المرتضى / ج١ / ص١٤٤ .

٢ ـ نفس المصدر / ص١٤٥ .

فصل : تمعنٌ في سورة الحمد من جهة الربوبية :

التي تظهر بقولنا "رب العالمين" ، بعد الحمد لله ، وخاصة إنّها جاءت بنفس الآية المباركة .

بعض خصائص رب العالمين المذكورة في القران الكريم :

الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، له العبودية ، وبه الإستعانة ،

قال تعالى : ((إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))[1] .

يجب التسليم له ، وهذه واضحة في كثير من الآيات الأخَر ، فحينئذٍ يجب الإذعان لشرعه .

وقال عزَّ مِن قائل : ((قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))[2] .

وقال : ((لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ))[3] .

إذن يجب الخوف منه .

وقال سبحانه : ((فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

١ _ سورة البقرة / الآية ١٣١ .

٢ _ سورة الأنعام / الآية ٧١ .

٣ _ سورة المائدة / ٢٨ .

الْعَالَمِينَ))[1].

ويجب الحمد له ، عند كل نعمة وخير .

وقال : ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[2] .

العبادة تكون له ، بل الحياة ، والممات .

وهاك ما في سورة الأعراف :

((إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) . ٥٤ .

الخلق له ، والأمر له .

((قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ٦١ .

عليه إرسال الرسل ، وأن يكونوا مستقيمين ، فلا يكون واحدهم صاحب ضلالة ، كما هو ظاهر هذه الآية المباركة ، ولا سفاهة كذلك ، إذ قال تعالى على لسان أحدٍ من رسله الآخرين : ((قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ٦٧ .

((وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٠٤ .

((قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٢١ .

يجب الإيمان به ، قولاً ، وعملاً ، كما مرَّ ، وسيأتي .

سورة يونس :

---

١ ـ سورة الأنعام / ٤٥ .

٢ ـ سورة الأنعام / ١٦٢ .

((دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ١٠ .

((وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ٣٧ .

سورة الشعراء :

((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)) . ٢٣ .

وجواب موسى كان له : رب السموات والأرض وما بينهما ؛ وبعد غطرسته قال له : ورب كل المخاطبين من ملوك وغيرهم ، وهو ربُّ آبائهم الأولين ؛ ثم عندما أصرَّ بطغيانه ، قال له : رب المشرق والمغرب وما بينهما ، لِيسدَّ عليه جميع المنافذ ، والطرق .

وقال تعالى : ((قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ٤٧ .

((فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ)) . ٧٧ .

((إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ٩٨ .

((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٠٩ .

((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٢٧ .

((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٤٥ .

((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٦٤ .

((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٨٠ .

((وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) . ١٩٢ .

النمل :

((فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))٨ .

((قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين))٤٤ .

القصص :

((فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) ٣٠ .

عندما عرّف نفسه قال إني أنا الله ، رب العالمين . أول مراحل التعريف .

السجدة :

((تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٢ .

الصافات :

((فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٨٧ .

((وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))١٨٢ .

الزمر :

((وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٧٥ .

غافر :

((اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٦٤))

يدل على ربوبيته وشموليتها للأرض والسماء وما فيهن وإتقان خلقه .

((هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))٦٥ .

((قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))٦٦ .

فصلت :

((قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) ٩ .

الزخرف :

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٤٦ .

الجاثية :

((فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٣٦ . فهو رب السماء ورب الأرض .

الواقعة :

((تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٨٠ .

الحشر :

((كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)) ٦١ .

الحاقة :

((تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٤٣ .

التكوير :

((وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) ٢٩ . لا يحدث شيء إلا بمشيئته .

المطففين :

((يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)) ٦ . والآخرة له .

..... المجموع : مع الحمد : ٤٢ .

قال فيما قال وأخبر ، أنه عندما خلق الخلق أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم، ليقروا ويعترفوا : ((ألستُ بربكم)) ، ف((قالوا بلى)) .

هذا ما كان من أمر الخلق الأول ، فحينئذٍ لو أردنا أن نبدأ بحمده سبحانه ، ولِتأصيل ذلك الإعتراف الأول يُستحسن أن نحمدَ الله ، الذي أنطقنا ومكننا من حمده ، ولنشهد له بحمده أنه الذي أشهدنا على أنفسنا ألستُ بربكم فقلنا بلى، وليس هذا بل بما أننا أصبحنا في جملة هذه العوالم اللامحدودة بالنسبة إلينا فحري أن نعترف بالربوبية بصورة تستوجب إظهار إيماننا به ، وهو الذي خاطبنا جمعاً ((ألست بربكم)) كان علينا أن نقول ونقر بعد الحمد ضمناً ، ونعترف ونقول ((الحمد لله رب العالمين)) ، ليظهر جلياً مكمن الحمد وسببه وشاهده ، فقول ودليل وشاهد ، فسبحان الله .

ثم جاء بالرب دون غيره من صفاته وأسمائه ، لا لأجل هذا فقط ، بل لأن إظهار بأنه رب ، لتظهر العبودية وتتجلى ليس بنا بل في العوالم كلها ، باعتراف منا، يدل على الألوهية .

وحينئذٍ سيظهر جلياً تحقيق الهدف الإلهي من الخلق ، فقوله تعالى ((ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) ، سيظهر من خلال هذه الكلمات المباركة ويتجلى ، بقولك الحمد لله رب العالمين .

فالرب هو المعلم والمرشد والهادي والدال والنافع والمعين لأنه القيم والمسؤول والمرشد

ألا تلاحظ في سورة الضحى كيف بدأ وكيف انتهى حيث قال تعالى بعد البسملة والقسم ((ما ودّعك ربك وما قلى)) فإذاً الآخرة بيده كما الأولى ، ولذا أخبره بما أخبره ، وإلا لم يصح الإخبار ، ولا الإمتنان ، فهو العائل لليتيم ، ومنه الهداية ، فهو الهادي ، ومنه الغنى بسعة متعلقاته ، فهو الغني ، وكل هذا أكده أنه من ربه حيث قال : ((وأما بنعمة ربك فحدِّث)) ، فمن هنا أيضاً يتبين لك سعة مدلول الرب .

بل يدل على ارتباطه العملي بالمربوب على الدوام .

ولعله لذا كان ذكر الركوع والسجود لسعة دلالته بالتسبيح للرب المضاف لياء المتكلم " سبحان ربي العظيم وبحمده " ، " سبحان ربي الأعلى وبحمده " ، في الصلاة اليومية ، فهي عملية تتكرر مع الليل والنهار ، فتأمل .

والآيات التاليات في سورة الانشراح توسع وتبين المعاني أكثر ، وهما كالسورة الواحدة ، ((ألم نشرح لك صدرك)) ((ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك)) ((ورفعنا لك ذكرك)) فإذاً حتى الأمور المعنوية تقويمها وإكمالها من الرب ، فسبحان ربنا العظيم وبحمده ، وبهذه الكلمة الجليلة ختمها، ((وإلى ربك فانصب)) .

وكأن متعلق العبادة أكثر ما تفيدها الربوبية .

فتبين لنا حينئذ لماذا جاء بعد الحمد لله ، صفة الربوبية بالنسبة للعالمين كلهم، إذ ((ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى)) .

ثم الرب هو القيم والمربي ، والمسؤول المحافظ على الشئ ، فناسب أن يأتي بهذه الكلمة الجليلة ، لأن أجواء السورة كلها رحمة ، ليطمأنّ المتلقي ، الذي يقرأ.

وبما أن السورة لو دققت بها لرأيتها كلها عطاء ، وكرم من الله تعالى ، من البداية باسمه إلى ربوبيته الشامله مروراً بحمده ، فرحمته السابقة واللاحقة ، لما سيعطيه في اليوم الآخر ، للعبادة والإستعانة به لها وعليها ، لاعطاء الطلب والهداية والصراط ناسب كل ذلك الإعطاء "رب العالمين " ، فجاء الحمد لله " رب العالمين " ، أول الصفات ، ومتناغمة مع الآيات كلها ، ولم يفردها لأن الصفة ملازمة له .

ومن العجيب أن العطاء لم يذكر إلا مع هذه الخصوصية في القران الكريم ((ولسوف يعطيك ربك فترضى)) ، ((إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر)) ، ((وما كان عطاء ربك محظورا)) ، وهكذا .

والرب عنده الحزم والشدة ، فيريد أن يطمأن الخلق ، بأنه رحمن رحيم ، جاء بهاتين الصفتين الكريمتين ، بعد ذلك ، ولكي تكونان كالسلمين للإطمئنان من ذلك اليوم ، فمن هذه صفته هو مالك ذلك يوم .

فتأمل تر العجب . ...

ويمكن أن يُقال ، ولم أجد أحداً قاله : أحمد بسبب اسم الله الرحمن الرحيم . إن جعلناها سببية .

وإن جعلناها صلةً لِذكر اسمه ، فسيكون المعنى الحمد يتم باسم الله الرحمن الرحيم .

وحينئذ سيكون الحمد أعمَّ من كونه لأجلها ، فإنه من الممكن أن يكون لها ولغيرها ، أو لغيرها أساساً ، وذُكِرَت تبركاً ، ويتم الحمد بها .

الحمد للنعمة ، والحمد للقدرة ، ويترتب عل القدرة العبودية ، فالحمد للنعمة ، والعبودية باعتبار قدرته على كل شئ ، وتصرفه به ، وخالقيته له .

هنا جَدِّدِ النظرَ ، للآيات المذكورة فيها الحمد ، وجدده كذلك لِدعاء الافتتاح، تجد كل ما ذكرنا وسنذكر ، هو سبب بِحَدِّ ذاتِهِ لِحمده ، فسبحان الله .

وهو مجتمع في ربِّ العالمين ، ومالك يوم الدين ، متفرق مِن رحمته ، وفي رحمته .

ولأنه قاهر ، فما وُجِدَ مُمْكِنٌ ، وهو أي الممكن رهن إشارته ، ولا وجودَ له إلّا به ، فهو قاهرٌ له ، فإطاعته لازمة ، ومن علامات الإمكان ، ولو جُعِلَ الإختيارُ لِمخلوقٍ ، فهو بمشيئته قد جعلها له ، وهو الذي يستطيع أن يقهره ، فيسلبها منه ، فمِن هنا ، كلُّ شيءٍ مطيعٌ له ، ومنقاد .

ومن رحمته أنه بعد جَعْلِ الإختيار ، جَعَلَ هناك جنةً أو نارا .

وهو المالك لهما فهو ذو السلطان القاهر .

فكيف حوتهما سورة الحمد ؟

وبما إنه ذو الكمال فأيُّ برهانٍ له ساطع ، وأيُّ دليلٍ له قاطع .

فبذا تكون الهداية به ، ومنه .

أولاً طَلَبُنا الهداية ، هو بعينه هداية .

وبهذه الهداية نطلب منه ، أن يهدينا إلى الصراط المستقيم .

الذي هو صراط الذين أنعم الله عليهم فهم بنعمته كانوا كذلك مهتدين ،

الذين صفتهم أن كانوا غير مغضوب عليهم ، ولا من الضالين ، من هنا علمنا بوجود هذين الشريحتين إستطراداً ، لا على المباشرة ، لأننا نتكلم في مقام الرحمة، مقام الرحمانية والرحيمية ، فما أكرمه من رحمن رحيم .

فعلينا أن نطلب ونعيش الصراط المستقيم ، ويُشار إلى من حل عليه غضب الله بعمله ، ومن كان ضالاً في طريقه ، وبطريقه .

وكأنه إشارة إلى أن الهداية تأتي مِن هؤلاء ، لأنَّ صفتهم غير مغضوب عليهم ، ولا ضالين .

فعدم الغضب يدل على الرضا .

وإن كان أعم ، فالفقرة التالية تحصر الأمر ، فسبحان الله مِن ترتيب .

إذ أنَّ عدم الضلالة يدل على الهداية .

والهداية ملازمة للذين أنعم عليهم .

والمنعم عليهم ، جزماً هم في مقام الرضا .

وبما إننا رغبنا بصراطه ، الذي هو صراطهم ، ورهبنا منه سبحانه ، لدلالة رغبتنا بألا نكون مع المغضوب عليهم والضالين ، وصراط الغضب والضلال ما هو إلا صراط الجحيم ، وقد تبينت رهبتنا منه ، بذلك وبما ذكرنا بأنّا نؤمن بملكه سبحانه ليوم الحساب .

إذن هناك رغبة ، ورهبة .

وكأنَّ العبودية هنا ، في سورة الحمد ، ليست مبنية على طمعٍ أبداً ، فلا يريد مَنْ حَمَدَ اللهَ سبحانه ، جنَّة ، ولا ثواباً ، بل يريد ألّا يكون مِن بعيدٍ ، فضلاً أن يكون من قريب ، لا من المغضوب عليهم ، ولا من الضالين .

فرغبته فيه . وجاء الإحسان منه لازماً ، والرضوان .

فسبحان الله .

فهو يريد الهداية ، فقط .

وهذه الهداية هي صراط الذين أنعم عليهم ، فلم يطلب سوى الهداية ، التي تؤدي إلى نِعَمِ الله ، من الجنة والرضوان الأكبر ، فتمعّنْ .

فالرغبة ب"اهدنا" ، والرهبة تظهر من بين محاور الرغبة ، ب"غير المغضوب عليهم ولا الضالين" ، فهو الموسوم ب " يامن رحمته سبقت غضبه ".

وسبحان الله أخفى غضبه ونقمته هنا ، بل أظهر الهداية والرحمة ، لأنه في مجال الرحمة والعطف .

ولا يمكن لمخلوق أن ينقطع عن الخالق ، فلذا المساعدة والعون تطلب منه كل آن .

وبما أنه كذلك لذا طلبنا منه ذلك ، حتى يوفقنا لمرضاته ، وسلوك نهج أوليائه ، الذي هو الصراط المستقيم .

وبما أن المالكية ليوم الدين ، لا معنى لها لولا ربوبيته للعالمين ، ليحكم بينهم، لذا جاءت هذه ملتصقة بلفظ الجلالة أولاً ، وجاءت تلك مفصولة ، بعدها ، ثمّ لتخفيف وقعها ، سبقتها صفتا الرحمانية والرحيمية .

فالحمد لله رب العالمين .

هذا هو ما ظهر لنا من السورة المباركة ، وربما هناك من يوفقه الله تعالى ، أو وفقه فعلاً ، لكي يدخل أعمق من ذلك في المعاني والدلالات ، ولظهر لنا أمر أوضح ، ومن الله التسديد فهو صاحب البيان والعرفان .

بعض فوائد الحمد في روايات أهل البيت عليهم السلام ، وبيان عظمته :

قَالَ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "مَنْ قَالَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ إِذَا أَصْبَحَ ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ ، وَ مَنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ" .[1]

رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وآله أنهُ قَالَ : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ فِي نُورِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الْأَعْظَمِ : مَنْ كَانَ عِصْمَةُ أَمْرِهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ .

وَ مَنْ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ ، قَالَ : إِنَّا للهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَ مَنْ إِذَا أَصَابَ خَيْراً ، قَالَ : الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَ مَنْ إِذَا أَصَابَ خَطِيئَةً ، قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ".[2]

عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ ، قَالَ : خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام مِنَ الْمَسْجِدِ وَقَدْ ضَاعَتْ دَابَّتُهُ .

فَقَالَ : " لَئِنْ رَدَّهَا اللهُ عَلَيَّ ، لَأَشْكُرَنَّ اللهَ حَقَّ شُكْرِهِ " .

---

١ ـ الكافي : ٢ / ٥٠٣ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني ، المُلَقَّب بثقة الإسلام ، المتوفى سنة : ٣٢٩ هجرية ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، سنة : ١٣٦٥ هجرية / شمسية، طهران / إيران

٢ ـ من لا يحضره الفقيه : ١ / ١٧٥ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ، المولود سنة : ٣٠٥ هجرية بقم ، و المتوفى سنة : ٣٨١ هجرية ، طبعة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة الثالثة ، سنة : ١٤١٣ هجرية ، قم / إيران .

قَالَ : فَمَا لَبِثَ أَنْ أُتِيَ بِهَا .

فَقَالَ : " الْحَمْدُ للهِ " .

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَلَيْسَ قُلْتَ لَأَشْكُرَنَّ اللهَ حَقَّ شُكْرِهِ ؟!

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: " أَ لَمْ تَسْمَعْنِي قُلْتُ الْحَمْدُ للهِ " .[1]

عَنِ الْمُثَنَّى الْحَنَّاطِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أنهُ قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَسُرُّهُ قَالَ : الْحَمْدُ للهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَغْتَمُّ بِهِ قَالَ : الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ " .[2]

وعن الشيخ الصدوق ، في أماليه ، عن الصادق ، عن آبائه ، عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا عطس المرء المسلم ، ثم سكتَ ، لِعلَّةٍ تكون به ، قالت الملائكة عنه : الحمد لله رب العالمين ، فإن قال : الحمد لله رب العالمين ، قالت الملائكة : يغفر الله لك .[3]

وقد نقلها عنه صاحب البحار في بحار أنواره ، ومعها عدة روايات فيها الحمد لله في باب العطاس والتسميت .[4]

---

١ ـ المصدر نفسه / ص٩٧ .

٢ ـ المصدر نفسه .

٣ ـ الشيخ الصدوق / الأمالي / ص١٨١ .

٤ ـ المجلسي / الجزء ٧٣ / ص٥١ ـ ٥٦ .

القراءة : يدل على الوجوب

١) : قال تعالى : ((فاقرَءُوا ما تيسَّرَ منه)) ، والضمير المجرور يعود على القران الكريم ، كما هو واضح .

ولا ننس بأنَ حرف الجر " مِن " يدل على التبعيض .

والأمر يدل على الوجوب ، ولا وجوب في قراءة بعض القران إلا في الصلاة، المعلوم من الخارج .

فهذا دل على وجوب قراءة بعض القران في الصلاة ، في الجملة .

٢) : قام الإجماع على وجوب قراءة سورة الفاتحة في الصلاة ، نقل هذا الإجماع صاحب المستند[١] ، بل ادّعى (التسالم ، بل إنّ نقله مستفيض ، بل متواتر من الأصحاب ، بل من سائر فرق المسلمين ، إذ لم ينقل فيه خلاف معتدّ به ، بل لعله يُعدّ من الواضحات والضروريات التي لا يعتريها شوب الاشكال .)[٢] .

٣) : الروايات الصحيحة الدالة على وجوب قراءة سورة الحمد .

كصحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : «سألته عن الذي لا يقرأ بفاتحة الكتاب في صلاته ، قال : لا صلاة له إلاّ أن يقرأ بها في جهر أو إخفات»[٣] .

ولذا قال صاحب كشف اللثام { (ويجب) قراءة (الحمد) بالإجماع ،

---

١ ــ أنظر كتاب المستند في شرح العروة الوثقى / ج٤ / الصلاة / ص٢٦٢ .

٢ ــ المصدر نفسه .

٣ ــ الوسائل ٦ : ٨٨ / أبواب القراءة في الصلاة ب ٢٧ ح ٤ .

والنصوص . }[١] . وقوله : « لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب »[٢] .

٤) : السيرة ، بتفصيل لطيف ، من أراده فلينظر للمستند ، الجزء الرابع[٣] .

(فهل الصحيح المجزي قراءتُهُ هو ما وافق العربية مطلقا ، أو إحدى القراءات كذلك ، ولو كانت شاذّة ، أو العشر ، أو السبع ، أو بالجميع عند الاختلاف ؟.

ليس الأول ولا الأخير ، بالإجماع القطعي ، وأمرهم عليهم‌السلام بالقراءة كما يقرأ الناس ، وكما تعلّموا ، ولا شك أنّ الناس لا يتجاوزون القراءات.

ومنه يظهر بطلان الثاني أيضا.

فالحق جواز القراءة بإحدى العشر .)٤ . إنتهى .

---

١ ــ محمد بن الحسن الاصفهانى المعروف بـ (الفاضل الهندي) / كشف اللثام عن قواعد الاحكام / (ج ٤) / (الفصل الرابع) / (القراءة) / ص٥ / تحقيق : مؤسسة النشر الاسلامي / الطبعة: الاولى / التاريخ: ١٤١٦ هـ. / مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

٢ ــ عوالي اللئالي / ج١ / ص١٩٦ / ح٢ . // ج٢ / ص٢١٨ / ح١٣ . // ج٣ / ص٨٢ / ح٦٥ .

٣ ــ السيد الخوئي / المستند في شرح العروة الوثقى / ج٤ / ص٢٦٢ .

٤ ــ أحمد بن محمّد مهدي النّراقي ت ١٢٤٥هجـ. / مستند الشيعة في أحكام الشريعة / ج٥ / ٧٩ / ط مؤسسة آل البيت عليهم‌السلام.

الخلاصة :

لابدَّ أن تأتي الخلاصة من المعصوم عليه السلام.

روى المحدث الأكبر والشيخ الأقدم الشيخ الصدوق ، في كتابه "عيون أخبار الرضا عليه السلام ، في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنه سمعها من الرضا علي بن موسى عليه السلام ، مرة بعده مرة ، وشيئا بعد شئ ، فجمعها، وأطلق لعلي بن محمد بن قتيبة النيسابوري ، روايتها عنه ، عن الرضا عليه السلام ، في الرواية الأولى ، في جملة ما ذكر :

(... فإن قال : فلِمَ بدءَ ب"الحمد" في كلِّ قراءةٍ ، دون سائر السور ؟

قيل : لِأَنَّه ليس شئٌ في القرآنِ ، والكلامُ جُمِعَ فيه جوامعُ الخيرِ والحكمةِ ، ما جُمِعَ في سورة الحمد .

وذلك : أنَّ قوله تعالى ((الحمد لله)) ، إنَّما هو أداءٌ لِما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر ، وشكره لِما وفَّقَ عبدَهُ لِلخير .

((ربِّ العالمين)) ، تمجيد له ، وتحميد وإقرار ، وأنه هو الخالق المالك لا غيره .

((الرحمن الرحيم)) ، استعطافٌ ، وذكرٌ لِآلائهِ ونعمائه على جميع خلقه .

((مالك يوم الدين)) ، إقرار له بالبعث والنشور ، والحساب والمجازاة ، وإيجابٌ له ملك الاخرة ، كما أوجب له ملك الدنيا .

((إيّاك نعبد)) ، رغبةٌ وتقرّبٌ إلى الله عز وجل ، وإخلاصٌ بالعمل له ، دون غيره .

((وإيّاك نستعين)) ، استزادة توفيقه وعبادته ، واستدامته لما أنعم الله ،

وبَصَّرَهُ .

((إهدنا الصراط المستقيم)) ، إسترشاد لِأَدَبِهِ ، واعتصامٌ بحبله ، واستزادة في المعرفة بربه ، وبعظمته ، وبكبريائه .

((صراط الذين أنعمت عليهم)) ، توكيدٌ في السؤال والرغبة ، وذِكْرٌ لما تقدم من أياديه ونعمه على أوليائه ، ورغبة في مثل تلك النعم .

((غير المغضوب عليهم)) ، استعاذة من أن يكون من المعاندين ، الكافرين، المستخفِّين به ، وبأمره ونهيه .

((ولا الضالين)) ، إعتصام من أن يكون من الضالين ، الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة ، و ((.. يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا))[1] .

فقد إجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة ، في أمر الاخرة والدنيا ، ما لا يجمعه من الاشياء .)[2] .

---

١ ـ سورة الكهف من الآية ١٠٤.

٢ ـ والرواية طويلة أخذنا منها موضع الحاجة ، أنظر : عيون أخبار الرضا عليه السلام/ للشيخ الاقدم والمحدث الاكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى قده المتوفى سنه ٣٨١ هج. / صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الاعلمي / ج٢ / ب٣٣ / ص١١٤ / مؤسسة الاعلمي ٢٠١٣م. .

المصادر:

القران الكريم .

١. أ.د. رفعت هزيم ، رئيس قسم النقوش بجامعة اليرموك سابقاً ، ورئيس قسم اللغة العربيّة بجامعة تعز سابقاً / النَّحْت في العربيّة قديماً وحديثاً / بحث منشور على صفحة الأنترنيت لمجمع اللغة العربية الأردني .

٢. ابن هشام الأنصاري المصري/ مغني اللبيب .

٣. أبو الخير ابن الجزري / "النشر في القراءات العشر" .

٤. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي المعروف بـ(ابن كثير) ت٧٧٤هج. / تفسير .

٥. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ، ت ٥٣٨هـ / الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل .

٦. ابو النظر محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي المتوفى ٣٢٠ هـ/.تفسير العياشي .

٧. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت١٧٠هـ / العين .

٨. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي ت٦٠٦هج، الشافعي ، الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي / التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب .

٩. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت٥٤٨هـج. / مجمع البيان في تفسير القران .

١٠. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري / الصحاح .

١١. أبوهلال العسكري ، و نور الدين الجزائري / معجم الفروق اللغوية .

١٢. الامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ت ٧٧٣ هـج.- ٨٥٢ هج. / فتح الباري شرح صحيح البخاري .

١٣. الإمام القشيري / لطائف الإشارات .

١٤. الإمام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الأنباري، النحوي ، (٥٣١ هـج . ٥٧٧ هـج. / الإنصاف في مسائل الخلافبين النحويين البصريين والكوفيين / تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد .

١٥. الامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الاثير الاجزري ت سنة ٦٠٦ هج. / النهاية في غريب الحديث والاثر .

١٦. السيد هاشم البحراني / البرهان .

١٧. البصائر / تفسير .

١٨. تفسير بن عيثمين ت١٤٢١هج. / تفسير الفاتحة والبقرة .

١٩. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / الإتقان في علوم القرآن.

٢٠. الجوهري / لسان العرب .

٢١. الحر العاملي / الوسائل .

٢٢. الزركشي / البرهان .

٢٣. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٤٨ هـ - ١٨٠ هـ / ٧٦٥ - ٧٩٦م) / الكتاب .

٢٤. السيد ابن طاووس الحسني / إقبال الأعمال .

٢٥. السيد أبو القاسم الخوئي (١٨٩٩ــ ١٩٩٢م.) (١٣١٧-١٤١٣هج.)/البيان في تفسير القران .

٢٦. السيد أبو القاسم الخوئي / المستند في شرح العروة الوثقى .

٢٧. السيد جعفر مرتضى العاملي / تفسير الفاتحة .

٢٨. السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي الموسوي السبزواري (١٣٢٩-١٤١٤هـ). / مواهب الرحمن في تفسير القران .

٢٩. السيد عبد الله شبر ، ت ١٣٤٢هج. / مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار .

٣٠. السيد محمد حسين الحسيني الطهراني ت١٤١٦هج. / نور ملكوت القران.

٣١. السيد محمد حسين الطباطبائي / القران في الإسلام / تعريب السيد أحمد الحسيني .

٣٢. السيوطي / معترك الأقران .

٣٣. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) / روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .

٣٤. الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي ٧٣٤-٧٨٦ هج. / ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة .

٣٥. الشيخ الصدوق / التوحيد .

٣٦. الشيخ الصدوق / علل الشرائع .

٣٧. الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا عليه السلام .

٣٨. الشيخ عباس القمي / مفاتيح الجنان .

٣٩. الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني / الكافي .

٤٠. الشيخ محمد جواد مغنية (١٣٢٢هـ "١٩٠٤م." ـ ١٤٠٠هـ. "١٩٧٩م.".) / تفسير الكاشف.

٤١. الشيخ ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) / تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل .

٤٢. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري / صحيح مسلم .

٤٣. عبد الرحمن / الحاوي في تفسير القران / . مفتتح تفسير سورة الفاتحة .

٤٤. عبد الرحمن بن محمد القماش / الحاوي في تفسير القرآن الكريم / فصل : أسماء السور .

٤٥. عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت١٣٧٦هـج./ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران / وزارة الشؤون الاسلامية بالسعودية .

٤٦. عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت١٣٧٦هـج./ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران / وزارة الشؤون الاسلامية بالسعودية .

٤٧. عبد علي العروسي الحويزي ،توفي ١١١٢ هـ / نور الثقلين

٤٨. العلامة المجلسي / بحار الأنوار .

٤٩. العلامة النوري / مستدرك الوسائل .

٥٠. غاية المريد في علم التجويد (باللغة العربية) .

٥١. الفيض الكاشاني / الوافي .

٥٢. مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي المتوفى سنة ، ٨١٧ هـ/ القاموس المحيط .

٥٣. محمد الشوكاني / نيل الأوطار .

٥٤. محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ) / التحرير والتنوير .

٥٥. محمد بن الحسن الاصفهانى المعروف بـ (الفاضل الهندي) / كشف اللثام عن قواعد الأحكام / تحقيق : مؤسسة النشر الاسلامي / مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

٥٦. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)/ جامع البيان في تأويل القرآن .

٥٧. محمد بن عبد الوهاب النجدي ت١٢٠٦ / تفسير آيات من القران الكريم ، جَمَعَهُ الامام محمد بن سعود بالرياض .

٥٨. محمد حسين الأنصاري / الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، وأثرها في النشأتين .

٥٩. محمد متولي الشعراوي ت١٤١٨ هج. / تفسير الشعراوي . الخواطر . .

٦٠. محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب ت١٤٠٢هج. / أوضح التفاسير .

٦١. محمد محمود النجدي / النهج الأسمى في أسماء الله الحسنى .

٦٢. محمد ناصر الدين الألباني / صحيح الترغيب والترهيب .
أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري / التبيان في إعراب القران .

٦٣. النراقي / مستند الشيعة .

٦٤. نهاية القول المفيد في علم التجويد (باللغة العربية)

٦٥. النيشابوري / غرائب القرآن ورغائب الفرقان .

المحتويات

التفسير المُبَسَّط ---------- ١١

التفسير البدوي ---------- ١٣

ما هي طريقة النحت ؟ : ---------- ١٣

هل البسملة آية من سورة الحمد ؟ : ---------- ١٦

لماذا نرجّح مذهب أهل البيت عليهم السلام ؟ : ---------- ١٧

شرح مختصر لكلمات السورة ---------- ١٩

المرحلة الأولى من التفسير ---------- ٢٣

المرحلة الثانية من التفسير : ---------- ٣١

نأتي لتراكيب البسملة ---------- ٣١

القول في تأويل ((بسم الله)) ---------- ٣٣

الإرتباك الواقع عند المفسرين في متعلق الباء ، ومعنى الباء : ---------- ٣٣

احتمالات صاحب مجمع البيان في المعنى في الجملة ---------- ٣٧

النتيجة ماهي ؟ : ---------- ٤٦

المطلب الأول/ معاني حرف الباء في لغة العرب : ---------- ٥١

المطلب الثاني / متعلق الباء : ---------- ٥٧

ثانياً : اسم :---------- ٥٩

اشتقاق الاسم لغةً :---------- ٥٩

الله : ---------- ٦٣

الرحمن الرحيم : ---------- ٦٤

البسملة هل هي آية من سورة الفاتحة ؟ ---------- ٦٦

فصل : صورة القوم عن هذه الآية المباركة ---------- ٦٧

أدلة ابن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير) على أنها ليست بآيةٍ ، وردُّها :--- ٦٧

فصل : ويمكن أن نبين حجة المثبتين للبسملة بما يلي :-------- ٧٥
إثبات الثبات خاصّة ، على طريقة علماء العامّة :---------- ٧٧
التفسير الشامل ---------- ٨٥
المرحلة الأولى خصائصها ---------- ٨٥
خصائص آية ((بسم الله الرحمن الرحيم)) ---------- ٨٥
بعض خصائص سورة الحمد ككل ---------- ٨٨
أسماؤها :---------- ٩٧
بعض صفاتها---------- ٩٨
الآية الأولى : بسم الله الرحمن الرحيم ---------- ١٠١
مقدمة لشرح الآية الأولى : ---------- ١٠١
نبدأ بلفظ الجلالة (الله) : ---------- ١٠٣
لماذا سقطت ألف (بسم الله) بالكتابة ؟ : ---------- ١٠٣
وإنما قال بسم الله ، ولم يقل باسم ربي ، أو ما أشبه بذلك : ---------- ١٠٤
وقال بسم الله ، ولم يقل بالله : ---------- ١٠٥
قالوا : ---------- ١٠٥
ولكنّا نقول ، والله أعلم : لعلّ كل ذلك كان :---------- ١٠٧
ثم نضيف إلى كل ما قلناه ، وهدانا الله إليه ، وله المنة ، بإسلوب آخر : --- ١١٠
حكم البسملة ---------- ١١٤
الآية الثانية : الحمد لله رب العامين ---------- ١١٥
المعنى اللغوي للحمد---------- ١١٥
معنى الحمد ومغزاه وبُعده ---------- ١١٩
لماذا جاء الحمد بهذه الصيغة دون (أحمد الله)---------- ١٢١
فنقول بعد هذه المقدمات ---------- ١٢٥
بعض مواطن الحمد ، توضحها السنة---------- ١٣٠

المقطع الثاني ، من الآية الثانية ربِّ العالمين :---------- ١٣٤
لماذا قال تعالى "العالمين" ، ولم يقل "العوالم" ؟ : ---------- ١٣٨
ولم يقل رب العباد ، أو العبيد : ---------- ١٣٨
الآية الثالثة : الرحمن الرحيم ---------- ١٣٩
وقالوا إن الفرق بين الرحمن ، والرحيم : ---------- ١٣٩
الرحمن الرحيم : ---------- ١٣٩
لماذا قدّم صفة الرحمن على الرحيم ؟ ---------- ١٤٥
ما علة تكرار " الرحمن الرحيم " ، في سورة الحمد ؟ ---------- ١٤٦
الآية الرابعة : مالك يوم الدين ---------- ١٤٩
هل قراءة "مَالِك" أولى ، أم قراءة "مَلِك" ؟ : ---------- ١٤٩
ردُّ استدلال كلٍّ مِن العلّامتين السيد الطهراني ، و السيد الطباطبائي------ ١٥٣
ما استدل به استاذه العلامة الطباطبائي صاحب الميزان ، والردود عليه : ---- ١٥٤
مناقشة دليله الثاني ، ومنها سيظهر الحق :---------- ١٥٦
الآية الخامسة : إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ---------- ١٦١
لماذا استعمل الضمير المنفصل :---------- ١٦١
لماذا كرر إياك ، أي لم يقل : إياك نعبد ونستعين ؟---------- ١٦١
ثمّ الإستعانة : ---------- ١٦٢
فلماذا لم يقل نستعين بك ، أو بك نستعين ؟---------- ١٦٢
الالتفات ، وأنواعه :---------- ١٦٣
التحويل في الكلام له فوائد بلاغية ، تتفاوت فيه أقدار البلاغيين : ------- ١٦٤
الآية السادسة : إهدنا الصراط المستقيم ---------- ١٦٧
المعنى الجامع لهذه الآية المباركة :---------- ١٦٧
لماذا يقول القائل : ((إهدنا الصراط المستقيم)) ---------- ١٦٨
وبما أن هناك طريقاً مستقيماً كما ظهر وقلناه وأكدنا عليه مراراً ، فالعالَمون :- ١٧٠

لماذا قال الصراط ، ولم يستعمل لا السبيل ، ولا الطريق ، مثلاً ؟ -------- ١٧١
وأما الطريق :---------- ١٧٣
وهناك شئ ---------- ١٧٣
الآية السابعة : صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ---------- ١٧٥
فلماذا الإصرار من كثير من المفسرين على إنهما اليهود والنصارى ؟ ------ ١٧٨
ومن جملة قرائن العموم : ---------- ١٨٢
مناقشة الطبري في تطبيقه لهذه الآية المباركة : ---------- ١٨٤
من هم أهل الصراط المستقيم ، المنعوتون ب" الذين أنعمت عليهم..." ؟ --- ١٨٧
تتمة فائدة ---------- ١٩١
قول (آمين) : ---------- ١٩٩
فصل : تمعنٌ في سورة الحمد من جهة الربوبية : ---------- ٢٠٥
بعض خصائص رب العالمين المذكورة في القران الكريم : ---------- ٢٠٥
بعض فوائد الحمد في روايات أهل البيت عليهم السلام، وبيان عظمته : - ٢١٦
القراءة : يدل على الوجوب ---------- ٢١٩
الخلاصة : ---------- ٢٢١
المصادر : ---------- ٢٢٣
المحتويات---------- ٢٢٩